(Print) ISSN 2691 - 2619
(Online) ISSN 2691 - 2627

الجامعة الإسلامية بمنيسوتا
Islamic University of Minnesota

مجلة الجامعة الإسلامية بمنيسوتا بأمريكا للبحوث العلمية والدراسات الأكاديمية المحكّمة

Journal of Islamic University of Minnesota USA of Scientific Researches and Academic Studies :Peer Reviewed Journal

تحت إشراف
الجامعة الإسلامية بمنيسوتا بأمريكا / الفرع الرئيسي
برئاسة الدكتور جراح محمد محمود الجراح
نائب رئيس الجامعة للشؤون التعليمية و الأكاديمية

مجلة علمية محكمة متخصصة

تصدر عن عمادة البحث العلمي و الدراسات العليا في الجامعة الإسلامية
بولاية منيسوتا – أمريكا

المجلد الثالث، العدد الثامن : ٢٠٢٢ م / ١٤٤٣ هـ

مجلة الجامعة الإسلامية بمنيسوتا
بأمريكا للبحوث العلمية
والدراسات الأكاديمية المحكّمة

Journal of Islamic University of Minnesota USA of Scientific Researches and Academic Studies :Peer Reviewed Journal

المجلد الثالث، العدد الثامن
٢٠٢٢ م / ١٤٤٣ هـ

رئيس الجامعة الإسلامية
أ. د. وليد إدريس المنيسي

مؤسس المجلة ورئيس هيئة التحرير
د. جراح محمد الجراح

نائبا رئيس هيئة التحرير
أ.د. صالح فليح زعل المذهان
د. تامر محمد الذيب

هيئة التحرير
د. علي عفيفي علي غازي
د. وليد أحمد حمود
د. محمد خميس محمد السيد
د. جهاد سلمان العجالين
د. سمية رمضان رزق أبو النور
د. وليد خالد بكليزي
د. عطوة محمد القريناوي
د. علي القضاة
د. عبدالرحيم الدادني
د. رنا عبدالناصر زنون
د. وسام محمود جبر الطيطي
د. سلطان سليمان الجبور
د. اسامه عبدالله عطا
د. محمد حمزة بكّار
د. محمود المنير
د. محمد سعد
د. احمد العجمي

أعضاء اللجنة العلمية

أ.د. صالح المذهان	رئيس اللجنة العلمية	د. جهاد العجالين	مدير اللجنة العلمية
د. محمود القاسم	د. مالك القواسمي	د. طارق محمود	د. شريف التشادي
د. فرحان النويران	د. محمد المقابلة	د. فرحان الياصجين	د. رائد الشوابكة
د. مي محمد حسن	د. كامل صبحي أحمد معوض	د.عبير كامل	د. نجوى قراقيش
د. عثمان فاضل	د. أحلام أحمد عبد الوهاب	د. أحمود اللصاصمة	د. زهراء ياسر
د. محمد مكى	د. أمجد عبد ربه	د ياسر محمد الكومي	د. اسمهان جعفر
د. حسن جلال	د. بلال الذيب	د. فايد محمد سعيد فايد	د. عبد الجوادالسيوطي
د. عبد الحميد الحصري	د. خالد ملحم	د. حنان شيخون	د. إسماعيل ملا محمد
د. عبد الشدايده	د.طه حسين	د. سليمان عوض قيمان	د. السيد مختار
د علي الأسمري	د. محمد نصر الدين حساس	د. أكرم أبو جامع	د . فؤاد الصوفي
د. عبد القادر الحسيني	د عبدالرحيم الدادني	د.عبد المجيد الوهابي	د. محمد سعد
د. حذيفة بن احترام أحمد	د المرسي محمد المرسي	د. عمار عودة	د. إسماعيل أبو شطرة
د. جاكلين الشربيني	د. علي صالح	د. إيمان أبو سمرة	د. عوض الدويري
د. محمد عبد العظيم	د. الشربيني عبد الهادي	د. محمد القاسم	د. أشرف علي
د سعيد أبو رحمه	د. رشاد لاشين	د. محمود فؤاد	د. إبراهيم أبو العدس
د. عطوة القريناوي	د. على عفيفى	د. إيهاب السعيد	د. محمود إبراهيم
د. أحمد أبو المجد الدكروري	د. محمود السيد	د.ياسر البدرى	د. محمد عبد الراضي
د. اسامة التاية	د. أحمد سليمان	د. أحمد العجمي	د.محمد الأسود
د. محمود خلف البادي	د. عادل شعبان	د. عبد العزيز الصلاحي	د. السالك فال ألمين
د. وفاء بن سعيد	د. عمار عودة	د. علي الحجر	د. محمود عبد العزيز
د. السيد عبد السميع	د.عبد الله القفيلي	د. جلال حسن	د. اسلام أحمد
د. محمد خلف	د. سحر طلعت الصمادي	د. طاهر الأركاني	د. طه الفارس
د. وليد حمود	د. تامر الجراح	د. ميسون سليمان مرازيق	د.يوسف القطعان
د. رنا زنون	د. باسم مكاوي	د. محمود النمر	د. عبدالرحيم الدادني
د إسلام زين العابدين	د. أمجد درادكة	د. ذوقان عبيدات.	د. أحمد هاشم
د. علي ساموه	د. صالح محروس	د. أحمد الهاشمي	د. انتصار السيد
د. محمد الرشيدي	د. أسامة عبد الله عطا	د.طه حسين	د. عرفة بن طنطاوي
د. سيد السليماني	د. عمار عودة	د. عادل الغرياني	د. عبد الفتاح المغربي
د. حمزة إبراهيم	د. محمد سيد صالح	د.محمد فوزي السرحي	د. إسلام زين العابدين
د. مسعد البلتاجي	د. صلاح فياض	د. محمد بكار	د. أحمد حسين
د. هاجر العرابي	د. أحمد معوض	د. إبراهيم أبو العدس	د. حسن ميقات
د. أنتل حكيم شفيق	د.رغدة أحمد	د. عقاب الشدايدة	د. أبو بكر القاضي
د محمود المنير	د. حياة فطاني	د. محمد عبد الله بني موسى	د. ياسر الطعامنة
د. ماجد الدلالعة	د. تامر عبد رب المزين	د. غادة رشاد	د. هناء عبد الرشيد
د. عبد الرحمن هاني	د. أحمد مكاوي	د. انتصار السيد	د. ديار سعيد
د. فارس العصيمي	د. طاهر الأركاني	د. علي عمران	د. عالية سليمان
د.عزة عبد الرشيد	د.شيماء محمود	د.شفيق كستيرو	د. عمر البون
د. محمد سعد جادالله	د. وليد أحمد عبد الغني	د. باسمة القضاة	د. عبد الله بن أحمد
د. أويس إسماعيل	د. محمد خميس	د. فؤاد الصوفي	د. عبد الباقي القطان
د. غادة مصطفى	د. إكرام المصري	د. عقاب الشدايدة	د. أشرف أبو سبيت
د. فاروق الجراح	د. حسيب الحراحشة	د.عبد الله الجاموس	د. محمد عمايرة
د.محمد موهدا	د. مروان	د. حمزه مقدادي	د. نضال التميمي
د. احمد اسماعيل السليمان	د عبدالمجيد الوهابي	د. آيات السليم	د. ياسر الطعامنة
د. كامل صبحي	د. أسامة عبدالله عطا	د. عبد الله أبو السعود	د. هبة محمد
د. زكريا حبيشي	د. عمرو ماهر الجزار	د.سليمان الشجراوي	د. محمود عبدة الدلالعة
د. حسن اللصاصمه	د. طه العواجي	د. طارق التميمي	د. ليث العزب
د. وليد حاجي	د. خالد عطية	د. رزق الغرابلي	د. سميرة عامر
د. ثامر النويران	د. أحلام الغليلات	د. محمد الرشدان	د. عبدالرحيم الدادني
د. محمد مايغا	د. أحمد بني سلمان	د. تامر مكي	د. خلف العنزي
د. هالة الزغول	د. رشاد الكيلاني	د. عبد الرحمن الجراح	د. أشرف أبو سبيت
د. سامي عطا الله	د. محمد علي الجعيدي	د. عبد الله المغلاج	د. عمر رضا

قواعد النشر:

تقبل الأعمال المقدمة للنشر في مجلة الجامعة الإسلامية بمنيسوتا بأمريكا للبحوث العلمية والدراسات الأكاديمية المحكمة حسب المواصفات الآتية:

- يرسل الباحث المادة العلمية إلى إدارة المجلة بالبريد الإلكتروني للمجلة Journaliumu@gmail.com
- يطبع البحث على برنامج Microsoft word بنوع خط (Arabic Traditional) للغة العربية نمط (18) غامق للعناوين الرئيسية، و (14) للحواشي، بتباعد بين الأسطر بقدر (1)، وللغة الإنجليزية نمط (18) غامق للعناوين الرئيسية، و (14) للعناوين الفرعية، و 18 لباقي البحث بتباعد بين الأسطر بقدر(1) على وجه واحد، على ألا يزيد حجم البحث عن خمس وعشرين صفحة، بما في ذلك المراجع والملاحق والجداول، وبهوامش (1.25 سم كحد أدنى) لكل من أعلى وأسفل وجانبي الصفحة.

عناصر البحث:

يُنظم الباحث بحثه وفق مقتضيات (منهج البحث العلمي) كالتالي:

- كتابة مقدمة تحتوي على: (موضوع البحث، ومشكلته، وأسئلته، وحدوده، وأهدافه، ومنهجه، وإجراءاته، وخطة البحث).
- تبيين الدراسات السابقة – إن وجدت– وإضافته العلمية عليها.
- تقسيم البحث إلى أقسام (مباحث) وفق (خطة البحث) بحيث تكون مترابطة.
- يكتب البحث بصياغة علمية متقنة، خالية من الأخطاء اللغوية والنحوية، مع الدقة في التوثيق.
- كتابة خاتمة بخلاصة شاملة للبحث تتضمن أهم النتائج والتوصيات.

قائمة المصادر والمراجع

- يكتب بيانات البحث باللغتين العربية والإنجليزية (عنوان البحث، اسم الباحث الرباعي والتعريف به: القسم، الكلية، الجامعة، المدينة، الدولة وإيميل الباحث، وإن كان لا يعمل بجامعة: جهة العمل، المدينة، الدولة، وإيميل الباحث).
- ترقم صفحات البحث ترقيمًا متسلسلًا، بما في ذلك الجداول والأشكال والصور وقائمة المراجع.
- لا تقل جودة الصور عن 300 ميجا بكسل.
- لا يتجاوز عدد كلمات المستخلص (250) كلمة، ويتضمن العناصر الآتية: (موضوع البحث، وأهدافه، ومنهجه، وأهم النتائج، وأهم التوصيات) مع العناية بتحريرها تحريرا دقيقاً.
- تُذكر الكلمات الدالة (المفتاحية) المعبرة بدقة عن موضوع البحث بعد كل ملخص سواء باللغة العربية كُتب أم باللغة الإنجليزية، والقضايا الرئيسة التي تناولها، بحيث لا يتجاوز عددها (6) كلمات.
- يجب أن يكون البحث سليماً خالياً من الأخطاء اللغوية والنحوية، مع مراعاة علامات الترقيم المعتمدة في اللغة المكتوبة، وضبط الكلمات التي تحتاج إلى ضبط الأسلوب ومتانته، مع التركيز على وضوح الفكرة، واستخدام المصطلحات المشهورة، والمقرّة في المجاميع العربية، ويستحسن ما يقابله باللغة الإنجليزية في البحوث المكتوبة باللغة العربية.
- تحتفظ هيئة التحرير بحقّها في أن تحذف بعض الألفاظ أو الكلمات أو تعيد صياغتها بما يتلاءم مع أسلوبها في النشر، مع مراعاة المحافظة على الفكرة الأصلية دون المساس بها.
- تعرض المصادر والمراجع في نهاية البحث، على أن ترتب هجائياً حسب عنوان الكتاب أو المقال، متبوعًا باسم المؤلف كاملا، فاسم الناشر (في حالة الكتاب) أو اسم المجلة (في حالة المقال)، ثم مكان النشر (في حالة الكتاب) وتاريخ النشر. أما في حال المقال فيضاف رقم المجلة، أو العدد، والسنة، وأرقام الصفحات.
- يعد البحث مقبولاً للنشر ويزود الباحث بقرار هيئة التحرير بقبوله بعد عرضه على محكّمين من ذوي الاختصاص، لبيان مدى أصالته، وجودته، وقيمة نتائجه، وسلامة لغته، وصلاحيته للنشر، وبعدها لا يجوز للباحث أن يطلب عدم نشر بحثه إلّا لأسباب تقتنع بها هيئة التحرير.
- يمنح الباحث نسخة إلكترونية من العدد الذي صدر فيه بحثه.
- إذا اعتُذر عن قبول البحث فلا يعاد لصاحبه ولا تلتزم المجلة بتوضيح أسباب الرفض.
- تعبر المواد المقدمة للنشر عن آراء مؤلفيها، ويتحمل أصحابها مسؤولية صحة المعلومات والاستنتاجات ودقتها. وجميع حقوق الطبع محفوظة للناشر (مجلة الجامعة الإسلامية بمنيسوتا بأمريكا للبحوث العلمية والدراسات الأكاديمية المحكّمة)، وعند قبول البحث للنشر تنتقل ملكية النشر من المؤلف إلى المجلة.
- لا يجوز نشر أيّ جزء من هذه المجلة أو اقتباسه دون الحصول على موافقة مسبقة من رئيس التحرير، وما يرد فيها يعبر عن آراء أصحابه ولا يعكس بالضرورة آراء هيئة التحرير أو سياسة الجامعة.

ترسل البحوث إلى رئيس هيئة تحرير مجلة الجامعة الإسلامية بمنيسوتا بأمريكا للبحوث العلمية والدراسات الأكاديمية المحكّمة:

عمادة البحث العلمي و الدراسات العليا في الجامعة الإسلامية بولاية منيسوتا – أمريكا

/ ولاية منيسوتا– أمريكا

هاتف: ٨٧٨٧٨٨٥ (٩٧٢) ١+ **Email: Journaliumu@gmail.com**

Deanship of Research and Graduate Studies
Website: https://iuminnesotausa.com

رقم الدوريات المعياري_الدولي للنسخة الورقية و النسخة الإلكترونية.

International Standard Serial Number(ISSN)

الرقم الدولي للنسخة_الورقية للمجلة (Print) ISSN 2691 - 2619

و الرقم الدولي للنسخة_الإلكترونية للمجلة (Online) ISSN 2691 - 2627

المحتويات:

المشروع الحداثي لقراءة السنة النبوية: إنكار وحيية السنة ومفهوم الأنسنة
د. حنان خياطي: (ص ١٣٦-١٤٩)

مغالطات الحداثيين بين مزاعم نقد التراث وإنكار حجية السنة النبوية
د. طه حميد حريش الفهداوي (ص ١١٤- ١٣٥)

منزلة السنة من الدين وكشف أصناف المكذبين والمستهزئين
د. عادل بن إبراهيم غَـــرُو (ص ٩٦- ١١٣)

العصرانيون في مواجهة السنة النبوية (دراسة منهجية)
أ.م.د. عبدالرحمن عبدالناصر سيد (ص ٨١-٩٨)

السنة النبوية من منظور الاتجاهات النسوية
مينة بستاني، طالبة باحثة بسلك الدكتوراه (ص ٦٨- ٨٠)

أَسَاليبْ السنّة النَبوية فيْ عِلاج الخِلافات الزوجية
أ.د. برزان مُيّسر حامد الحميد (ص ٥٠-٦٧)

منهج السنة النبوية في المحافظة على هوية الأمة وتطبيقاته الفقهية المعاصرة
د. محمد محمود حسن محمد (ص ٣٨-٤٩)

جهود المغاربة في الرد على المشككين في السنة المطهرة.. (لعلامة محمد الحسن الحجوي الثعالبي نموذجاً)
د.محمد بن عبد اللّه دامي (ص ٢١ -٣٧)

مبشرات النصر من الودودبين أصحاب عيسى وأصحاب الأخدود
أ.د. فاتح حسني عبد الكريم (ص ٥- ٢٠)

The Conformity of Milk Products to the Jordanian Standards and Safety Requirements in Alaqaba, Jordan (2018 -2017)
Ihsan Mohammad Mahmoud Al-Jarrah1; Elrashied Elgaili Mohamed Ali; Arafa Elgorashi. M (P. 150 : 159)

البحث الأول

مبشرات النصر من الودود
بين أصحاب عيسى وأصحاب الأخدود

Glad tidings form (al wadood) Between the companions of Jesus and the companions of the trench

الأستاذ الدكتور فاتح حسني عبد الكريم

الأستاذ في كلية الدراسات الإسلامية

قسم القرآن وعلومه/ الجامعة الإسلامية بمينيسوتا / أمريكا.

Dr. Fateh Hosni Abdel Karim

Associate Professor at the College of Islamic Studies

Department of the Qur›an and its sciences- Islamic University of Minnesota USA

ملخص البحث

في هذا البحث حاول الباحث استجلاء وبيان مبشرات النصر والتمكين من خلال القرآن الكريم، وبيّن الباحث أنّ هذه المبشرات وهذه العطاءات مبنيةٌ ومتلازمة مع شروطٍ وأفعال لا غنى عنها، بل ولا تنفك عن هذه المبشرات، وأنّ التعاطي مع مبشرات النصر لا يكون بمنأىً عن أسبابه ولوازمه وسننه، وبيّن الباحث أنّ مبشرات النصر جليّة واضحة في القرآن الكريم؛ ولكن بقوانين صارمة وسنن لا تتغير، وأنّ هذه المبشرات محفزات لأعمال ملزمات توصل إليها، وأنّ طريق النصر هو بالانشغال بالدين وترك المبشرات والتمكين لرب العالمين، وبيّن البحث صفات رجل الفتح والنصر وتكاليفه، في نماذج متعددة من سور متعددة.

وبيّن الباحث أنّ ألوان النصر متنوعة، وأنّ الفئة المؤمنة قد ينقضي أجلها ولم تحظ بالنصر- كما هم أصحاب الأخدود - وقد يظفرون بالنصر والتأييد ويسعدون به كأصحاب عيسى، وقد يأتي النصر بصور وأشكال غير عسكرية...ثم كانت الخاتمة والتوصيات.

وقد اتّبع الباحث في بحثه منهج الوصف والاستقراء ما أمكن.

كلمات مفتاحية: مبشرات / النصر / رجل الفتح

Abstract

In this research, the researcher tried to clarify and explain the tidings of victory and empowerment through the Holy Qur'an, and the researcher indicated that these tidings and these grants are based on and combined with indispensable conditions and actions, and even do not deviate from these tidings, and that dealing with tidings of victory is not independent of its causes, requirements and accustomed laws. The researcher explained that the tidings of victory are clear and obvious in the Holy Qur'an. But with strict laws and unchangeable methods, and that these glad tidings are motivators for a must actions that lead to them, and that the path to victory is to be preoccupied with practicing religion and to leave the glad tidings and empowerment to the Lord of the worlds.

The research showed the characteristics of the man of triumph and victory and its costs, in various models of multiple Surahs.

The researcher explained that the sorts of victory are diverse, and that the believing group may die and before winning the victory -as the(companions of the trench) -, and they may win victory and support and be happy with it as the (companions of Jesus), and victory may come in non-military forms... Then the conclusion and recommendations.

In his research, the researcher followed the method of description and induction as much as possible.

Keywords: glad tidings / victory / man of triumph

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على من بعثه الله بشرى ورحمة للعالمين... وبعد:

فإنّ التعامل مع بُشريات الله عز وجلّ تحتاج لإعمال عقل وتوجيه عاطفة؛ ذلك لأنّ بشريات الله - عامة وبشريات النصر والظفر خاصة - جاءت في سياقاتها وسننها؛ وكانت نتائج ومكافئات يكافئ الله بها أولياءه والعاملين لدينه، المضحّين بالغالي والنفيس لرفعة منارة توحيده والإقرار بربوبيته، ولم تكن أبداً للعاجزين والمتثاقلين الحالمين بالنصر المريح والتمكين الرخيص، وأنّ هذا الدين غالٍ عند الله، ولأجل غلائه وغلاء العاملين له فقد بشّر المجتهدين بالنصر والتمكين، ونكّس المخلَّفين والمعوِّقين، وأنذرهم بالخيبة والملامة وسوء العاقبة في الدنيا والدين.

وما مثل هذه البشريات إلا كمن وعد وبشّر بجائزة وعطايا لمن أنجز عملاً ما أو تجاوز اختباراً ما أو حظي بشهادة علمية أو فنية؛ ولذلك كانت أهمية الفقه بهذه المبشرات، حتى لا ننشغل بالأعطيات عن المطلوبات، ولا نمنّي النفوس بالهدايا وننسى الواجبات.

لذلك بدأت بكتابة هذه الورقات مبيناً وموضحاً أنّ المبشرات جاءت في سياقاتها ومطلوباتها، وأنها ما كانت للخاملين والمتواكلين بل للعاملين والمجتهدين.

أولا: أهمية البحث: تكمن أهمية البحث في خطورة فهم سنن الله في النصر والهزيمة؛ وأنّ الله حين بشّر بنصره فقد سبق هذه البشرى بتكاليف ومطالب، يجتهد أهل الدين بالوفاء بها حتى يتحقق اسم الله الشكور، ويتجلى اسمه الحميد، فيسير السائر على بينّة وهدى من جانب، ولا يعتب على الله إن تأخر نصره من جانب آخر.

وتكن أهميتها بتجلية وعود الله وبشرياته بالنصر؛ فتتّقد الهمم وتشتعل المواهب وتتفاعل العقول وتتهاوى مشاغل الحياة وملذاتها لتتبوأ مطالب الله في مكانتها الأولى في سلم الأولويات ومضمار الأعمال.

ثانياً: مشكلة البحث: جاء البحث ليجيب عن التساؤلات الآتية:

1 – هل هناك مبشرات للمؤمنين بالنصر والتمكين لهم؟ وما هذه المبشرات وما الأعمال المرتبطة بها؟

2 – هل هذه المبشرات مشروطة بالعمل والاجتهاد ومراعاة السنن أم هي مطلقة مرسلة؟

3 – هل هناك نماذج لأمم انتصرت وتحقق بهم وعد الله بهذه المبشرات؟

4 – هل هذه المبشرات آنية فورية أم تراكمية تمهيدية؟

ثالثاً: أهداف البحث: جاء البحث ليحقق الأهداف الآتية:

1 – بيان المبشرات التي ذكرها القرآن تحفيزاً لأوليائه وأصفيائه.

2 – بيان وتوضيح الشروط والسنن الأعمال التي وضعها الله لاستحقاق هذه المبشرات.

3 – تجلية نماذج الأمم المستحقة للنصر وبشاراته.

رابعا: حدود البحث: سيبين الباحث المبشرات القرآنية لأوليائه بالنصر والتمكين، وما هي استحقاقات هذا النصر وموجباته، وسيضرب الباحث على صدق وعد الله بنصره بأمثلة متنوعة؛ ما بين أقوام شهدوا النصر والتمكين وأناس مهّدوا للنصر وعبّدوا طريقه لمن جاء بعدهم.

خامساً: منهج البحث: سيسير الباحث بعون الله على المنهج الوصفي الاستقرائي ما أمكن؛ محصياً وعود الله ومبشراته بالنصر والتمكين، ومستعيناً بالمنهج التحليلي لبيان مقتضيات وموجبات واستحقاقات هذا النصر.

سادسا: الدراسات السابقة: كتب في هذا العنوان الكثير من الكتب والأبحاث

1. تبصير المؤمنين بفقه النصر والتمكين: دكتور علي الصلابي ط 1، (دار الفجر للنشر القاهرة، 2003 م) .
2. الإسلام والنصر: لواء/محمود شيت خطاب ط 1، (دار الفكر، 1972 م) .
3. أسباب النصر والهزيمة في ضوء القرآن الكريم عبدالله إبراهيم المغلاج، (المكتبة الشاملة) .
4. تثبيت أفئدة المؤمنين بذكر مبشرات النصر والتمكين: دكتور سيد حسين العفاني، (دار ماجد عسيري) .
5. التمكين للأمة الإسلامية في ضوء القرآن الكريم محمد السيد يوسف ط1 (دار السلام للطباعة 1402 هـ) .
6. أسباب النصر والتمكين وسبيل النهوض بالأمة الإسلامية: ربيع بن هادي المدخلي.
7. الجهاد طريق النصر: عبدالله غواشه، (وزارة الأوقاف الأردنية).
8. الخلاصة في معاني النصر الحقيقية: باحث/علي ابن نايف الشحود، (المكتبة الشاملة) .
9. واقع المسلمين بين فقه الاستضعاف وفقه التمكين: (أبوفهر السلفي) ، (المركز العربي للدراسات الإنسانية) .

وما سيضيفه هذا البحث الآتي:

قدم البحث نماذج من أمم انتصرت وتنوع الانتصار الذي حظيت به؛ ونماذج من أمم قضت وأخذت نصيبها من العذاب من ظالميهم -مع إيمانهم وولايتهم -ولكن الله جعلهم مصباحاً ينير من جاء بعدهم، وسلماً يصعدون به للاستحقاق بهذا النصر.

قدم الباحث تحليلاً لتعليق الله وتعقيبه على غزوات النبي r كدروس غزوة أحد في سورة آل عمران.

قدم الباحث صفات المؤمنين في زمن الانفتاح الدعوي كما كان في سورة الفتح وصفات المؤمنين في زمن الانخناق الدعوي كما كان في سورة الأحقاف مثلاً.

محاولة الباحث إسقاط هذه المبشرات بتطبيقاتها الواقعية ما أمكن.

سابعاً: خطة البحث: اشتمل البحث على مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة:

المقدمة: وتحتوي على أهمية البحث ومشكلاته وأهدافه وحدوده.

تمهيد: الوثوق بالله عقيدة وشريعة.

المبحث الأول: قانون النصر وألوان التمكين، ويحتوي على مطلبين اثنين:

المطلب الأول: حتمية الانتصار.

المطلب الثاني: تراكم طريق التمكين من سنة الدين.

المبحث الثاني: مبشرات محفزات لأعمال ملزمات

المطلب الأول: الانشغال بالدين والتطلع للتمكين.

المطلب الثاني: صفات رجل النصر وأعماله.

ثم الخاتمة والتوصيات.

تمهيد: الوثوق باللّه عقيدة وشريعة:

إنّ الثقة باللـه وبوعـده لأوليائـه جـزء لا يتجـزأ مـن عقيـدة المسـلمين، ولا يـتردد في هـذا الوعـد إلا صاحـب عقيـدة مدخولـة ونفـس مهزومـة، قـال اللـه: ﴿ وَكَأَيِّـنْ مِـنْ نَبِـيٍّ قَاتَـلَ مَعَـهُ رِبِّيُّـونَ كَثِيـرٌ فَـمَا وَهَنُـوا لِـمَا أَصَابَهُـمْ فِي سَـبِيلِ اللَّـهِ وَمَـا ضَعُفُـوا وَمَـا اسْـتَكَانُوا وَاللَّـهُ يُحِـبُّ الصَّابِرِيـنَ﴾ (آل عمـران:146) فمـن النفـس يبـدأ الخـور ثـم يتسـلل إلى باقـي الأعضـاء الجسـدية لتتعـوّه، وليسـتحيل الجسـد رهينـةً لأوامـر نفـس عائهـةٍ أصـلاً؛ ومـن رأس النبـع يـأتي الكـدر.

لذلـك كان لزامـاً عـلى صاحـب النفـس المؤمنـة التواقـة أن يقيـس درجـة يقينـه دائمـاً بربـه ومـولاه؛ فـلا يـدع للشـك مدخـلاً لنفسـه وجسـده؛ ففاعليـة هـذه المبـشرات والمحفـزات لا تعمـل إلا في النفـوس السـوية، التـي تربـت عـلى المحـن والإحـن، وأعملـت حسـابها عـلى تجـاوز الصعـاب، متسـلحين بهـا عقيـدةً راسـخة لا تتزحـزح، منادين بهـا دعـاةً لهـا ومضحّين.

وإنما قلت عنها شريعةً أيضاً لتكون مشرباً للناشئين ومنهجاً للقاصدين؛ لا تغيب عنهم في مناهجهم ولا في تعاملاتهم ولا في طموحاتهم:

تجري الرياح كما تجري سفينتنا نحن الرياح ونحن البحر والسفنُ

إن الذي يرتجي شيئاً بهمّتهِ يلقاهُ لو حاربَتْهُ الانسُ والجنُ[1]

فلن نقبل بالخنوع ولن نتكيف مع واقع رديء، وما كانت هذه الهمة فينا إلا بهذا القرآن ووعوده ومبشراته بالنصر والتمكين.

وحتـى نكـون متوازنـين متصالحـين مـع الواقـع أولاً ومـع صاحـب هـذه المبـشرات مـن قبـل ذلـك، لـزم أن نعلـم أنّ هـذا طريـق جـاف لا مَـاء فيـه، مـع الصـبر والـلأواء، قاحـل غليـظ خشـن يحتـاج جلـداً وقـوةً، لكنـه في موسـم حصـاده سـيُبهر مـن عطايـاه ويُدهـش مـن سـجاياه، قـال ابـن القيـم» يـا مخنـث العـزم، كيـف أنـت والطريـق، إنـه طريـق تعـب فيـه نـوح، وقعـد للذبـح إسـماعيل، وبيـع يوسـف بثمـن بخـس، وألقـي في النـار إبراهيـم، وقطع رأس السـيد الحصـور يحيـى، ونـشر بالمنشـار زكريـا، وسـار مـع الوحـشي عيـسى، وابتـلي بجهـاد الكافريـن محمـد r..تراهـا أنـت باللهـو واللعـب؟!»[2]

والشـانئون لهـذا الديـن قـد ناصبـوا القاصديـن العـداء، وجمعـوا لهـم الـشرور ليـلاً ونهـاراً لا يملّـون ولا يكلّـون ﴿ ولا يزالـون يقاتلونكـم حتـى يردوكـم عـن دينكـم ﴾ البقـرة 217 « مَـاتَ يَـاسِرٌ فِي الْعَـذَابِ وَأُعْطِيَـتْ سُـمَيَّةُ أُمُّ عَـمَّارٍ لِأَبِي جَهْـلٍ يُعَذِّبُهَـا - وَكَانَـتْ مَـوْلَاةً لِعَمِّـهِ أَبِي حُذَيْفَـةَ بْـنِ الْمُغِـيرَةِ وَهُـوَ الَّـذِي عَهِـدَ إِلَيْـهِ بِتَعْذِيبِهَـا - فَعَذَّبَهَـا عَذَابًـا شَـدِيدًا رَجَـاءَ أَنْ تُفْتَنَ فِي دِينِهَـا فَلَـمْ تُجِبْـهُ لِـمَا يَسْـأَلُ، ثُـمَّ طَعَنَهَـا فِي فَرْجِهَـا بِحَرْبَـةٍ فَمَاتَـتْ، وَكَانَـتْ عَجُـوزًا كَبِـيرَةً، وَكَانَ أَبُـو جَهْـلٍ يَقُـولُ لَهَـا مَـعَ ذَلِـكَ: مَـا آمَنْـتِ بِمُحَمَّـدٍ إِلَّا أَنَّـكِ عَشِـقْتِهِ لِجَمَالِـهِ، يُؤْذِيهَـا بِالْقَـوْلِ كَـمَا يُؤْذِيهَـا بِالْفِعْـلِ، وَكَانَ يُلْبِـسُ عَـمَّارًا دِرْعًـا مِـنَ الْحَدِيـدِ فِي الْيَـوْمِ الصَّائِـفِ يُعَذِّبُـهُ بِحَـرِّهِ.. وَكَانَ أُمَيَّـةُ بْـنُ خَلَـفٍ يُعَـذِّبُ بِـلَالًا يَفْتِنُـهُ، فَـكَانَ يُجِيعُـهُ وَيُعَطِّشُـهُ لَيْلَـةً وَيَوْمًـا، ثُـمَّ يَطْرَحُـهُ عَـلَى ظَهْـرِهِ فِي الرَّمْضَـاءِ عَـلَى الرَّمْـلِ الْمُحْمَـى بِحَـرَارَةِ الشَّـمْسِ الَّـذِي يُنْضِـجُ اللَّحْـمَ، وَيَضَـعُ عَـلَى ظَهْـرِهِ صَخْـرَةً عَظِيمَـةً وَيَقُـولُ لَـهُ: لَا تَـزَالُ هَكَـذَا حَتَّـى تَمُـوتَ أَوْ تَكْفُـرَ بِمُحَمَّـدٍ r وَتَعْبُـدَ الـلَّاتَ وَالْعُـزَّى، فَيَـأْبَى ذَلِـكَ، وَهَانَـتْ عَلَيْـهِ نَفْسُـهُ فِي اللـهِ عَـزَّ وَجَـلَّ، وَكَانُـوا يُعْطُونَـهُ لِلْوِلْـدَانِ فَيَرْبُطُونَـهُ بِحَبْـلٍ وَيَطُوفُـونَ بِـهِ فِي شِـعَابِ مَكَّـةَ وَهُـوَ يَقُـولُ: ((أَحَـدٌ، أَحَـدٌ)) وَحَـكَى خَبَّـابٌ رَضِيَ اللـهُ عَنْـهُ فِي نَفْسِـهِ قَـالَ: لَقَـدْ رَأَيْتُنِـي يَوْمًـا وَقَـدْ أُوقِـدَتْ لِي نَـارٌ وَضَعُوهَـا عَـلَى ظَهْـرِي فَـمَا أَطْفَأَهَـا إِلَّا وَدَكُ (دُهْـنُ) ظَهْـرِي»[3].

ولكـنّ نهايـة الطريـق الهنـاء ونسـيان هـذا البـلاء عنـد صاحـب العظمـة جليـل الأسـماء، ومـا جعـل اللـه هـذه المبـشرات إلا لجعـل هـذه الصعـاب كقرصـة حبيـب لحبيبـه؛ ترفـع الهمـم وتشـحذ العـزم وتوصـل القمـم ﴿ وَلَقَـدْ سَـبَقَتْ كَلِمَتُنَـا لِعِبَادِنَـا الْمُرْسَـلِينَ ، إِنَّهُـمْ لَهُـمُ الْمَنْصُـورُونَ ، وَإِنَّ جُنْدَنَـا لَهُـمُ الْغَالِبُـونَ﴾ الصافـات (173 وإنّ لهـذا النـصر ثمنـاً، وإنّ الشـكور لا يضيـع أجـر العاملـين: ﴿ لِلَّذِيـنَ أَحْسَـنُوا مِنْهُـمْ وَاتَّقَـوْا أَجْـرٌ عَظِيـمٌ ﴾ آل عمـران (172).

1- ينسب للشاعر نضال جابر معارضاً قصيدة المتنبي التي منها: تجري الرياح بما لا تشتهي السفن.

2- الفوائد، ابن قيم الجوزية، ص 45.

3- تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد رضا،252/2.

المبحث الأول: قانون النصر وألوان التمكين:

إنّ التعامل مع النصوص القرآنية محوط بالحذر وحسن الفهم، ويحتاج المتعامل مع القرآن إلى خلفية علمية سننية مقاصدية؛ حتى لا تزل قدم الفهم وتضل سهام التصور الصحيح؛ فكم هي الأماني التي أطاحت بالفهوم، وكم هي الأماني التي استحالت إلى قنوط وخيبة ويأس؛ لأنها سارت بغير هدىً ولا نور.

وحين بث مولانا في كتابه العزيز بشرياته بالنصر والتمكين فقد بثها في سياق المكافأة والنتيجة المتراكمة لمقدمات هذا النصر، هذا من جانب، أما من جانب آخر فإن حتمية النصر ووقوعه تخضع لعلم الله وحكمته وليست لإرادة البشر وعجلتهم، ما يجعل العجلة وعدم الإحاطة بما في الخبر تردي وتسقط الجزوع والمضطرب، ولا مكان للمتبرمين أو المرتاعين في هذا الطريق. قال تعالى: ﴿..وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾ البقرة 216.... من هنا كان لزاماً على كل مسلم ومتدبر للقرآن أن يحسن قراءة للقرآن الكريم حتى لا يفجأ نفسه في منظومة معرفية لا يعلمها الله ﴿ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ﴾ الرعد 33، قال ابن جرير: « مَعْنَاهُ أَتُخَبِّرُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَكُونُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ؟4 وقد وعد الله عباده بالنصر وأخبرهم أنّ هذا النصر من عنده سبحانه:﴿ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللّهِ ﴾آل عمران 126، وأنّ هذا النصر نصر حاسم مزلزل:﴿ إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ﴾آل عمران 160، وأحاطهم علماً بأنّ لهذا النصر قيمةً مثمّنةً لا مناص من معرفته والقيام باستحقاقاته﴿ إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ ﴾، محمد 7، هذه الكليات الثلاث لا مهرب من اعتبارها واحتسابها... فكيف تسير خطة النصر في القرآن؟

المطلب الأول: حتمية الانتصار:

إنّ الوثوق بوعد الله وبشرياته بالنصر جزء من شخصية وعقيدة كل مسلم، وإنّ الاستبشار بخلود وظهور هذا الدين يمثّل حصانةً له عن أي زلل أو خطل ﴿ إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾ يوسف 87.. بشر الله المسلمين في مكة - في فم الاستضعاف وبين أنياب الخوف - بالنصر، ولم تنقطع بشرياته وهم في المدينة، وقد التحمت قبائل العرب وجحافل الفرس والروم ضدهم.

ولم تفتأ آيات القرآن بشكل عام وآيات القصص القرآني في تغذية هذه البشريات وتعزيزها في القلوب والأرواح، وربطها بموضوع العقيدة؛ وأنّ هذا النصر له موعد وله آن، وأنّ هذا النصر لا يغيثهم إلا بعد أن يستنفذ المسلمون العاملون كل الجهد وكل الحول، فلا باب إلا بابه ولا غوث إلا غوثه، وأنّ أوانه مقترن أيضاً برد كيد الكافرين ومحق مكرهم : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ اللّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ الأنفال 36.

إنّ حتمية وعود الله ونصره جاءت في القرآن قطعية في دلالتها جلية واضحة في أبعادها ومآلاتها؛ قال الله تعالى: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ يَوْمَ لَا يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴾ غافر 52-51، وقال تعالى: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ النور55.

وعلى كل سالك في هذا الطريق وهذا الوعد أن يضع في حسبانه بعض الشواخص العقدية والعملية:

أولاً: التعامل مع النصر وكأنه حاصل منجز: وهذا منهج النبي ﷺ الذي استمده من القرآن الكريم؛ فكان دائم التفاؤل بالنصر ... وطوال المرحلة المكية وهو يجد ويجتهد في تقصد الناس والقبائل سعيا منه لإقامة دولة الإسلام، وكان يعمل في مكة عمل المتيقن بنصر الله، وأرسل مصعبا رضي الله عنه إلى المدينة ليعمل عمل المتيقن بنصر الله، وفي كل المرات التي كان يطلب فيها رسول الله r النصرة من القبائل كان يرجو أن تأتيه النصرة منهم، فلا يألو جهداً في بذل المستطاع من أجل تحقيق الغاية؛ فحامل الدعوة لا يدري من أين يأتيه النصر ومتى! فهذا رسول الله r قد أتاه النصر من حيث لم يتوقع المتابعون لسيره وعمله؛ من المدينة المنورة! حيث القبيلتان المتناحرتان، ولكن الله إذا أراد أمراً هيأ له الأسباب ودبر الأمور تدبيراً.

ثانيا: التهيئة والاستعداد: وهذا ما ترتب على النقطة السابقة؛ فمصداق صدقك لوعود الله هو التهيئة المستمرة لهذا الوعد وهذه البشريات» إنها دعوة السماء، وصوت الكبير المتعال . . قم . . قم للأمر العظيم الذي ينتظرك، والعبء الثقيل المهيأ لك. قم للجهد والنصب والكد والتعب ... قم فقد مضى وقت النوم والراحة ... قم فتهيأ لهذا الأمر واستعد . .

وإنها لكلمة عظيمة رهيبة؛ تنتزعه ﷺ من دفء الفراش في البيت الهادئ والحضن الدافئ. لتدفع به في الخضم، بين الزعازع والأنواء، وبين الشد والجذب في ضمائر الناس وفي واقع الحياة سواء.

4- جامع البيان في تأويل القرآن، أبو جعفر الطبري، 46/15.

إنّ الذي يعيش لنفسه قد يعيش مستريحاً، ولكنه يعيش صغيراً ويموت صغيراً. فأما الكبير الذي يحمل هذا العبء الكبير . . فماله والنوم؟ وماله والراحة؟ وماله والفراش الدافئ، والعيش الهادئ؟ والمتاع المريح؟! ولقد عرف رسول الله r حقيقة الأمر وقدّره، فقال لخديجة رضي الله عنها وهي تدعوه أن يطمئن وينام5: « مضى عهد النوم يا خديجة » !6 وهو مخاض شاق يحتاج زاداً ومحفزاً حتى يهون عليه العسر والاحتراق.

ثالثاً: انتفاش الباطل سحابة صيف: قال الله عز وجل:﴿ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاء حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللّهُ الأَمْثَالَ ﴾ سورة الرعد: 17. الله عز وجل حكيم، لم يرد أن يكون الحق هكذا؛ يُحصَل عليه بكل سهولة، وبدون أي معركة ولا مواجهة، ولا تغلب، وإنما أراد أن يكون هنالك صراع، وأن يكون هنالك تغلب في النهاية للحق، وعلوٌ للباطل في البداية... أول ما ينزل المطر،﴿ فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا﴾ أول ما يوقدون عليه في النار تخرج الفقاقيع ويعلو الزبد... إذن البداية للزبد، لكن ليس الاستمرار له ولا البقاء، فضلاً عن النفع والرسوخ، ولذلك قال: ﴿ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ﴾ «7 .... فمشروع تنصيري جُمع له ثلاثمائة وستة وثلاثون مليون دولاراً، وآخر جمع له مائة وخمسون مليون دولاراً انهار كلٌّ منها بسبب فضيحة أخلاقية:﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ اللّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا -ستخرج، ستبذل، ستذهب - ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ﴾ الأنفال 36، لكي يقفوا ويقولوا: ماذا صنعنا؟ بالنسبة لحسابات الأرباح والخسائر، فإنّ ما كسبوه من التنصير لا يعادل - أبداً إطلاقاً - المبالغ الهائلة والجهود التي صرفت: ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِؤُوا نُورَ اللّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللّهُ مُتِمُّ نُورِهِ ﴾ سورة الصف: 8 .

رابعاً: نماذج وألوان البشرى والتمكين: في طريق العمل والتمكين قد يُبرز الله نماذج من أمم لم تحظ بالتمكين والنصر على أعداء الدين، بل قد ترى أشلاءهم تتناثر بين حروف الكلام وبنيّاته، فتخلع القلب من بين جنبيك، فتأخذك الحسرة ويقطعك الإحباط؛ أين نصر الله لهذه الفئة؟ ولمَ لمْ تغشاهم سحائب معيّته سبحانه! وهنا تبرز رحمة الله بك ليقول لك: البشرى هنا بملكوتي العظيم وموعد الحساب في اليوم العقيم8 قال الله : ﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ (1) وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ (2) وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ (3) قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ (4) النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ (5) إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ (6) وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ (7) وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (8) ﴾ يقول السرجاني : « لعل المتابع لحصار إخواننا المسلمين في غزة يجد أوجه الشبه كبيرة بينه وبين ما أخبرنا ربّنا سبحانه وتعالى في سورة البروج؛ من حصار للمؤمنين في قرية من قرى اليمن، ثم إبادتهم جميعًا عن طريق التحريق... وإذا كان التحريق الذي حدث أيّام أصحاب الأخدود قد تمَّ بالحطب والأخشاب، فهو يتم الآن على نطاق واسع بالقنابل والصواريخ وقاذفات اللهب والأسلحة المحرمة دوليًا.»9

فهذا نموذج لم يحظ أصحابه بتمكين وظفر، بل بقتل وبطش شديد؛ لكنّ الله طمأننا في بداية السورة وفي نهايتها، وبشرنا بسيطرته سبحانه على هذا الكون ببروجه، وأنّ الله شاهد لا يغيب، واقتضت حكمته ليكون هؤلاء شمعات ومصابيح تضيء لمن بعدهم طريق التمكين والنصر المبين، ولم يتركنا نهباً لتصورات ساذجة تميل بنا هنا وهناك، فقال: ﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ (12) إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ (13) وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ (14) ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ (15) فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ (16) ﴾ فالأمر أمره فلا تعجلوا، هو فعال لإرادته لا لرغباتكم.... ثم ضرب لنا مثالاً لبطشه في الأمم، وختم السورة بجرعات التطمين ورشفات التبشير؛ بأنّ الله حافظ لكونه كما هو حافظ لدينه مهما حصل، مهما استشرى القتل واستبد الظلم فإني محيط بهم، ظالمٍ ومظلومٍ، فختم بما بدأ به من شهادته ومعرفته، وأنّ هذا الدين لن يمس، فاستبشروا: ﴿ وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ (20) بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ (21) فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ (22) ﴾.

فهو سناء ونور يسطع من قصة أصحاب الأخدود بتكييف من تكييفات النصر والدعوة، وأنّ الاحتمالات كلها قد وردت، فلتتهيأ أيها السالك أمام كل احتمال.» لقد شهد تاريخ الدعوة إلى الله نماذج منوعة من نهايات في الأرض مختلفة للدعوات ..شهد مصارع قوم نوح، وقوم هود، وقوم شعيب، وقوم لوط، ونجاة الفئة المؤمنة القليلة العدد ... وشهد تاريخ الدعوة مصرع فرعون وجنوده، ونجاة موسى وقومه، مع التمكين للقوم في الأرض فترة كانوا فيها أصلح ما كانوا في تاريخهم ... وشهد تاريخ الدعوة انتصار المؤمنين انتصاراً كاملاً...وشهد- كما رأينا - نموذج أصحاب الأخدود ... لم يكن بد من هذا النموذج الذي لا ينجو فيه المؤمنون، ولا يؤخذ فيه الكافرون! ذلك ليستقر في حس المؤمنين

5- ليس للحديث أصل، ولم أجده إلا عند صاحب الظلال فقط. ولم يدرك سيد قطب مراجعة سورة المزمل وجاءه أجله قبل أن يصل إليها ولعله كان يعيش ظلال قوله تعالى ﴿إنا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً﴾ فكأنها حكاية حال النبي لا مقاله والله أعلم.

6- في ظلال القرآن، سيد قطب، 6/ .

7- وقفات تربوية في سبيل نهضة جهادية، أبو سعد العاملي، ص 13.

8- ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴾ الحج (55)

9- د راغب السرجاني، موقع قصة إسلام، رابط المادة: http://iswy.co/e48vi

-أصحاب دعوة الله -أنهم قد يُدعون إلى نهاية كهذه النهاية في طريقهم إلى الله؛ وأن ليس لهم من الأمر شيء، إنما أمرهم وأمر العقيدة إلى الله! إنّ عليهم أن يؤدّوا واجبهم، ثم يذهبوا، وواجبهم أن يختاروا الله، وأن يؤثروا العقيدة على الحياة.»10

وبالمقابل فقد أعطانا الله نموذج النصر والتمكين لأصحاب عيسى وبكيفية مختلفة؛ قال الله: ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾ الصف (14) « فَجَاءَ هَذَا الْخِطَابُ الثَّانِي تَذْكِيرًا بِأُسْوَةٍ عَظِيمَةٍ مِنْ أَحْوَالِ الْمُخْلِصِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ السَّابِقِينَ، وَهُمْ أَصْحَابُ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مَعَ قِلَّةِ عَدَدِهِمْ وَضَعْفِهِمْ؛ فَأَمَرَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ بِنَصْرِ الدِّينِ وَهُوَ نَصْرٌ غَيْرُ النَّصْرِ الَّذِي بِالْجِهَادِ، لِأَنَّ ذَلِكَ تَقَدَّمَ التَّحْرِيضُ عَلَيْهِ فِي قَوْلِهِ: ﴿ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ﴾ [الصَّف: 11] وَوَعدهُمْ عَلَيْهِ بِأَنْ يَنْصُرَهُمُ اللَّهُ، فَهَذَا النَّصْرُ الْمَأْمُورُ بِهِ هُنَا نَصْرُ دِينِ اللَّهِ الَّذِي آمَنُوا بِهِ بِأَنْ يَبُثُّوهُ وَيَثْبُتُوا عَلَى الْأَخْذِ بِهِ دُونَ اكْتِرَاثٍ بِمَا يُلَاقُونَهُ مِنْ أَذىً مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَأَهْلِ الْكِتَابِ.. وَهَذَا هُوَ الَّذِي شَبَّهَ بِنَصْرِ الْحَوَارِيِّينَ دِينَ اللَّهِ الَّذِي جَاءَ بِهِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ فَإِنَّ عِيسَى لَمْ يُجَاهِدْ مَنْ عَانَدُوهُ، وَلَا كَانَ الْحَوَارِيُّونَ مِمَّنْ جَاهَدُوا؛ وَلَكِنَّهُ صَبَرَ وَصَبَرُوا حَتَّى أَظْهَرَ اللَّهُ دِينَ النَّصْرَانِيَّةِ وَانْتَشَرَ فِي الْأَرْضِ، ثُمَّ دَبَّ إِلَيْهِ التَّغْيِيرُ، حَتَّى جَاءَ الْإِسْلَامُ فَنَسَخَهُ مِنْ أَصْلِهِ.»11

فهذان النموذجان للنصر والظفر على طرفي نقيض من النتيجة، وفي كليهما بشائر النصر فائحة، ولا يعلم مناطها وتحقيقاتها وموعدها إلا الله؛ فلا ننشغل إلا بما هو مطلوب، ولندع ما دون ذلك لعلام الغيوب.

وللنصر أوجه وألوان كثيرة لا تحصر في هزيمة عسكرية فقط؛ فمن ذلك: علوّ الحق ولو كان محارَبا، وثبات أصحابه أمام جيوش الإعلام وخزائنه وذهبه وشهواته...ومن صوره أيضاً نجاة المؤمنين من كيدِ وَصَفَهُ الله بالكبّار؛ ألم ينجي الله الخليل من نار قومه؟ ... وما أعظم وما أجلّ نصر الدليل والحجة والبيان وما أشد بأسه... قال الله مبشراً: ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ الأنبياء(18).

المطلب الثاني: تراكم طريق التمكين من سنة الدين:

وهو شأنُ عِلْية السالكين، ونورٌ يستضيء به العاملون، إنه طريقٌ قصّر فيه المتعثرون؛ فلم يدركوا طبيعة وكنه هذا الدين، فاستعجلوا الثمرة وشربوا الحسرة، يقول الشهيد سيد رحمه االله: « إنّ بعضنا ينتظر من هذا الدين-ما دام هو المنهج الإلهي للحياة البشرية-أن يعمل في حياة البشر بطريقة سحرية خارقة! دون اعتبار لطبيعة البشر، ولطاقتهم الفطرية، ولواقعهم المادي، في أية مرحلة من مراحل نموهم، وفي أية بيئة من بيئاتهم! وحين يرون أنه لا يعمل بهذه الطريقة، وإنما هو يعمل في حدود الطاقة البشرية، وحدود الواقع المادي للبشر، وأنّ هذه الطاقة وهذا الواقع يتفاعلان معه، فيتأثران به في فترات تأثراً واضحاً، أو يؤثران في مدى استجابة الناس له، وقد يكون تأثيرهما مضاداً في فترات أخرى فتقعد بالناس ثقلة الطين، وجاذبية المطامع والشهوات، دون تلبية هتاف الدين أو الاتجاه معه في طريقه اتجاهاً كاملاً، حين يرون هذه الظواهر فإنهم يصابون بخيبة أمل لم يكونوا يتوقعونها! - ما دام هذا الدين من عند الله- أو يصابون بخلخلة في ثقتهم بجدية المنهج الديني للحياة وواقعيته! أو يصابون بالشك في الدين إطلاقاً! وهذه السلسلة من الأخطاء تنشأ كلها من خطأ واحد، هو عدم إدراك طبيعة هذا الدين، وطريقته، أو نسيان هذه الحقيقة الأولية البسيطة.»12

وخذ على ذلك مثالاً قرآنياً في بيان دور عامل الوقت والزمان والسنن في تراكمية النصر وانسيابه:

في سورة الأحقاف: وهي مكية، نزلت في وقت اختناق الدعوة ومَعق إنتاجها، حين توقف مدّ الدعوة وتجمد في مكانه « قال مجاهد: أول من أظهر إسلامه رسول الله r وأبو بكر وخبّاب، وصهيب وبلال، وعمر وسمية أم عمار، فأما رسول الله r فمنعه الله بعمه أبي طالب، وأما أبو بكر فمنعه قومه، وأما الآخرون فألبسوا أدرع الحديد، ثم صهروهم في الشمس، فبلغ بهم الجهد ما شاء الله أن يبلغ من حر الحديد والشمس، قال الشعبي: أما خباب فصبر، ولم يعط الكفار ما طلبوه، فجعلوا يلزقون ظهره بالرضف، وهي الحجارة المحماة على النار - حتى ذهب لحم متنه -أي ظهره-»13 .

ويأمر الله نبيه بالصبر والعزم عليه، يأمره بصبر يقتدي به بأولي العزم من الرسل؛ فمرحلة الدعوة وسكونها وجمودها بلغت مبلغاً عصيباً،

10- اتحاد «الرائد» -القسم الثقافي، قصة أصحاب الأخدود والصبر على الطريق إلى الله، 2012.09.09 https://www.arraid.org/ar/node/2359

11- التحرير والتنوير، ابن عاشور التونسي، 28،200.

12- في ظلال القران المؤلف سيد قطب، 1، 526

13- أسد الغابة، ابن الأثير، 591/1.

قال الله:﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾ الأحقاف (35) أمر الله نبيه بـ» الوقوف لحكم الله، والثبات من غير بثّ ولا استكراه.»14

وفي عتمة الظلم، وتعسف المتحكمين وجورهم، يفتح الله نافذة البشرى ويضيء مصباح الأمل ببشارات ومحفزات:

أولاً: جاءت هذه النهاية في جوٍّ ظاهرٍ من الإغلاق وباطن من الفتوحات والعطاءات؛ فقد تلاقت هذه النهاية الخانقة وبعد رجوعه r من الطائف15 كسيراً جريحاً16 ؛ فكان هذا فتحاً وبشرى من عالم الجن، تمهيداً لفتوحات من عالم الإنس بعد ذلك ببيعة العقبة الأولى والثانية.

ثانياً: ثاني هذه المبشرات ما جاء في سورة محمد؛ وهي السورة التي تليها مباشرة بل وفي أول آية؛ لتتلاقى الآيتان على الفرح بعد القرح والنصر بعد الصبر؛ مع أنّ سورة محمد سورة مدنية وسورة الأحقاف سورة مكية؛ لنتعلم منهجية النصر وبشرى التمكين، وأنّ مساره مرسوم في معجزة ترتيب آياته وسوره، قال الله في مطلع سورة محمد: ﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴾ محمد (1) فانظر كيف كان الحال وكيف صار! من أمر بالصبر إلى بيان مصير الكافرين! وما بينهما آهات ومحن.. وكدح وإحن... وصبر فنصر فتمكين.

ثالثاً: موضوع سورة محمد ومن البداية هو معركة بدر، وما شكلته من دافع وتحفيز وصل عنان السماء، فمثلت المعركة انتصاراً للحق بعد انكساره؛ فكانت هذه البشرى متاخمة للأمر بالصبر والتحمل.

رابعاً: جاءت سورة الفتح بعد سورة محمد، وما أعظم سورة الفتح وما أمتع بشرياتها، لتقول للمؤمنين السالكين في الطريق: إنّ ثمار العمل ونتاج الصبر قد آتى أكله؛ فكان فتح الدعوة وفتح السياسة وفتح الاقتصاد وفتح الاجتماع؛ فتوحات وأي فتوحات! عطاءات وأي عطاءات؛ استطاع النبي ﷺ بصلح الحديبية نزع الاعتراف السياسي بكيان أمة جديدة هي أمة الإسلام، وبالتالي تفرغ المسلمون للدعوة؛ وانتصرت الدعوة وتضاعفت أضعافاً كثيرة، قال الله عز وجل ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا (1) ﴾ وتوج ذلك بفتح مكة، « فِي الْفَتْحِ وُجُوهٌ: أَحَدُهَا: فَتْحُ مَكَّةَ وَهُوَ ظَاهِرٌ وَثَانِيهَا: فَتْحُ الرُّومِ وَغَيْرِهَا وَثَالِثُهَا: الْمُرَادُ مِنَ الْفَتْحِ صُلْحُ الْحُدَيْبِيَةِ وَرَابِعُهَا: فَتْحُ الْإِسْلَامِ بِالْحُجَّةِ وَالْبُرْهَانِ، وَالسَّيْفِ وَالسِّنَانِ وَخَامِسُهَا: الْمُرَادُ مِنْهُ الْحُكْمُ كَقَوْلِهِ: ﴿ رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ ﴾ الْأَعْرَافِ: 89] وَقَوْلِهِ: ﴿ ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ ﴾ [سَبَأٍ: 26]17

خامساً: جاءت بعد ذلك سورة الحجرات؛ لتبشر بأعظم البشريات؛ لقد صارت للمسلمين دولة، وأمسى النبي r يستقبل وفداً ويودع آخر، يحالف ويخالف، صار الخطاب خطاباً عالمياً ﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ الحجرات (13) وقد بلغ مجموع ما ذكرته المصادر أكثر من ستين وفداً، ذكر البخاري عدداً منها.18 وتوحدت الجزيرة العربية سياسياً لأول مرة في تاريخها في أقل من عشر سنوات.

المبحث الثاني: مبشرات محفزات لأعمال ملزمات:

من الخطورة بمكان أن ننشغل بالمبشرات ونكثر الكلام عنها بمعزل عن أعمال ومطلوبات وتكليفات؛ فما كانت هذه المبشرات إلا لتحفيز العمل وتنشيط الهمم، فما وعد الله بالنصر إلا لمن عمل واجتهد : ﴿ وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ الحج (40) ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ محمد (7) « أنّ الذي يتأمل النصوص القرآنية يجد أنّ ثمة علاقة واضحة بين النصر والمدافعة، ويمكننا القول إنّ المدافعة هي السبيل إلى النصر، ودون المدافعة لا عزة ولا كرامة للأمة، بل لا وجود لها، ويتضح ذلك في قوله تعالى: ﴿ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ « البقرة (251) 19

فالآية تجلي في الذهن ركنية الحركة والاجتهاد والعمل بنديّة مع المفسدين؛ دفعاً لهم بجهد وتعب، حتى يتحقق النصر؛ فجعل الهزيمة والنصر متعلقة بسنة إلهية وقانون صارم هو قانون التدافع « لَوْلَا أَنَّ اللهَ تَعَالَى يَدْفَعُ أَهْلَ الْبَاطِلِ بِأَهْلِ الْحَقِّ، وَأَهْلَ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ بِأَهْلِ الْإِصْلَاحِ فِيهَا لَغَلَبَ أَهْلُ الْبَاطِلِ وَالْإِفْسَادِ فِي الْأَرْضِ، وَبَغَوْا عَلَى الصَّالِحِينَ وَأَوْقَعُوا بِهِمْ حَتَّى يَكُونَ لَهُمُ السُّلْطَانُ وَحْدَهُمْ، فَتَفْسُدَ الْأَرْضُ بِفَسَادِهِمْ،

14- لطائف الإشارات = تفسير القشيري، القشيري،402/3.

15- سألت عَائِشَةُ النَّبِيَّ -r، فقَالَتْ: يا رسول الله: هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ؟! قَالَ: « لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكَ مَا لَقِيتُ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ العَقَبَةِ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلَالٍ، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ.. « انظر البخاري في صحيحه 3231، بَابُ إِذَا قَالَ أَحَدُكُمْ: آمِينَ وَالمَلاَئِكَةُ فِي السَّمَاءِ، آمِينَ، ومسلم بَابُ مَا لَقِيَ النَّبِيُّ r مِنْ أَذَى الْمُشْرِكِينَ وَالْمُنَافِقِينَ.

16- انظر طبقات ابن سعد» (1/ 196)، و»سيرة ابن هشام» (1 /381).

17- مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، الرازي، ـ 65/28.

18- كحديث 4847 بَابُ {إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ} وغيره.

19-النصر والهزيمة «دراسة قرآنية، عبد اللطيف مرشود، ص» 72.

فَكَانَ مِنْ فَضْلِ اللهِ عَلَى الْعَالَمَيْنِ وَإِحْسَانِهِ أَنْ أَذِنَ لِأَهْلِ دِينِهِ الْحَقِّ الْمُصْلِحِينَ فِي الْأَرْضِ بِقِتَالِ الْمُفْسِدِينَ فِيهَا مِنَ الْكَافِرِينَ وَالْبُغَاةِ الْمُعْتَدِينَ»20.. فلا نصر بالمجان، ولا تمكين من غير عمل وجهد وبذل وابتلاء ﴿ إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا (10) هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴾ الأحزاب (11)... وهذا الجهد وهذا العمل مقدّرٌ عند الله، السميع لكل شهقة صدر، ولكل قطرة دم، ولكل نقطة عرق، يعلم ما ألمّ بالمؤمنين وما عسر عليهم ﴿ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ التوبة (117) فسماها الله ساعة، ووصفها أنها عسيرة شاقة؛ مما يعطي للتحفيز مدىً في النفوس وصقلاً في الأرواح وحركة في الأبدان. ﴿ في ساعة العسرة﴾: أي: من النفقة والظهر والزاد والماء»21.

فكيف رتب الله البشريات على الأعمال، وكيف سدد أنظارنا على الانشغال بالعمل لا بالمكافأة عليه:

المطلب الأول: الانشغال بالدين والتطلع للتمكين:

إنّ السعي للتمكين والفوز بالنصر المبين هدفٌ استراتيجي من أهداف العمل الإسلامي والدعوة الإسلامية؛ لكنّ هناك أمرين متناقضين صحبا هذا الهدف وهذا الطموح: السيولة في الوصول والجمود في الانتهاء:

أولاً: التمكين غاية بوسائل ثابتة: ونعني بذلك أنّ التمكين هدف لا يستغني عنه، ولا ينفك عن الدعوة والعبادة وتمسيك الدين ﴿ وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ (170)﴾ قال السعدي: «يتمسكون به علماً وعملاً؛ فيعلمون ما فيه من الأحكام والأخبار، التي عِلْمها أشرف العلوم، ويعملون بما فيها من الأوامر، التي هي قرة العيون، وسرور القلوب، وأفراح الأرواح، وصلاح الدنيا والآخرة، ومن أعظم ما يجب التمسك به من المأمورات، إقامة الصلاة ظاهراً وباطناً، ولهذا خصها الله بالذكر لفضلها، وشرفها، وكونها ميزان الإيمان، وإقامتها داعية لإقامة غيرها من العبادات».22

وهذه دليل على أنّ أي إصلاح في المجتمع أو تمكين يجب أن يسبقه الصلاح؛ ليتهيأ لطهارة الجائزة الربانية بأنوار التمكين؛ لأنّ المجتمع لا يصلح إلا إذا كانت علاقة أهله بخالقهم وفق المنهج الرباني؛ لذلك كان سياق هذه الآية تعقيباً على قصة تحايل - من جملة حيل - بني إسرائيل، قال ابن كثير: «هؤلاء قوم احتالوا على انتهاك محارم الله بما تعاطوا من الأسباب الظاهرة التي معناها في الباطن تعاطي الحرام».23، فهؤلاء قوم حُرموا نعمة النصر والتمكين، وزالت منهم نعم قد فكهوا بها؛ بسبب إهمال الدين والاحتيال عليه؛ لذلك جاءت الآية بالعمل على الدعوة وتمسيك الناس بدينهم، حتى يظفر المؤمن بنعمة النصر والتمكين.

وفي مطلع سورة الفتح جاءت هذه الخطة متسلسلة متناغمة: ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا (1) لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا (2) وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا (3) ﴾... فذكر فتح الدعوة والمغفرة والهداية ثم توّجها بالنصر العزيز» ﴿ وَيَنصُرَكَ الله﴾ إظهارُ الاسمِ الجليلِ لكونه خاتمةَ الغاياتِ ولإظهارِ كمالِ العنايةِ بشأنِ النصرِ، كما يعربُ عنه تأكيدُه بقولِه تعالى ﴿ نَصْراً عَزِيزاً﴾ أي نصراً فيه عزة ومنعة «24.

ولا أعني من قريب أو بعيد إهمال العمل والسعي للتمكين، بل ما يعنيني هو وضع الدعوة والعبادة في أول سلم الأولويات، ولا ننشغل بما ليس أوانه فتنصرف الجهود لمستقبل لم يحن أوانه بعد، يقول الله سبحانه في كتابه العزيز: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءامَنُواْ مِنْكُمْ وَعَمِلُواْ الصَّـالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِى ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يعبدوننى لاَ يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذلِكَ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْفَـاسِقُونَ﴾ النور (55). هذه آية تحمل في طيَّاتها قانون النصر، وتحتوي على عناصر معادلة التمكين ... فالله سبحانه في هذه الآيات يعدُ الذين آمنوا وعملوا الصالحات الذين حققوا الإيمان في قلوبهم ولم يتوقفوا عند ذلك، بل أتبعوا الإيمان بالعمل الصالح، يعدهم بوعود عظيمة ما كانت لتخطر عليهم، بل كانوا يقنعون بما هو أدنى منها بكثير، يعدهم سبحانه بأن يستخلفهم في الأرض وأن يمكّن لهم دينهم، وأن يؤمّنهم بعد أن كانوا خائفين، وهذه المعادلة لا يتحقق جانب منها إذا لم يتحقق الجانب الآخر، فإذا أدى الناس ما عليهم جاءت النتيجة من الله الذي لا يخلف الميعاد.

لذلك كانت تعقيبات القرآن دائماً حاضرة بعد كل غزوة، توجه وتسدد وتصحح، وسأضرب مثالين اثنين على أنّ العمل والإحسان هو طريق

20- محمد رشيد بن علي رضا، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر: 1990 م 390/2.

21- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير،

22- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، المؤلف: ابن السعدي، 307.

23- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي،494/3.

24- تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود،104/8.

التمكين من خلال تدبر منهجية القرآن في عرض شيء من هذا الموضوع:

المثال الأول: نهاية سورة النحل مع بداية سورة الإسراء: ختمت آيات سورة النحل بالحض على العبادة بل والإحسان فيها، وذكر الله شمول معيته ونصرته للذين اتقوا والذين أحسنوا في تقواهم، قال عز وجل ﴿ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ (127) إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ (128) ﴾ « وقصارى ذلك: أنَّ الله تعالى وليُّ الذين تبتّلوا إليه، وأبعدوا الشواغل عن أنفسهم، ...الذين هم محسنون أعمالهم برعاية فرائضه، وأداء حقوقه على النحو اللائق بجلاله وكماله، ....المعنى : إنْ أردت أيها الإنسان أن أكون معك بالعون والفضل والرحمة .. فكن من المتقين المحسنين؛ وفي هذا إشارة إلى التعظيم لأمر الله، والشفقة على خلق الله... «25.

ثم جاءت سورة الإسراء بمطالعها المبشرة، بل والمنجزة بعطاءات الله؛ فكان الإسراء! بل كانت المواساة؛ وكأنها يدٌ حانية مسحت آثار مشقة وعناء، أزالت انكساره r في الطائف، وكأنها تقول له: كَسَرك أهل الأرض وسيجبرك أهل السماء، يا محمد: إن جفاك أهل الأرض فأهل السماء حافّين لك... لك البشرى يا محمد، لك السعد فاسعد... فجاءت هذه البشرى وهذه العطاءات، بعد سلسلة عمل وإحسان واجتهاد، فما كانت المكافأة لولا العمل والجد.

وقد تكررت هذه المتلازمة في سورتين أخريين، وهذا ما سنبحثه في المثال الثاني.

المثال الثاني: نهاية سورة العنكبوت مع بداية سورة الروم: فما سبق من تناسق المكافأة على العمل والإحسان تكرر وبالمنهجية ذاتها، فحين ختم الله عز وجل نهاية سورة العنكبوت ختمها بالإحسان والثناء على المحسنين المستحقين لكرمه في قطع دابر الشانئين لهذا الدين، الذين وصفهم الله كبيت العنكبوت، قال الله: ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ (69 ﴾ « الْمُجَاهَدَةُ هِيَ الصَّبْرُ عَلَى الطَّاعَاتِ. ... ﴿ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ بِالنَّصْرِ وَالْمَعُونَةِ فِي دُنْيَاهُمْ وَبِالثَّوَابِ وَالْمَغْفِرَةِ فِي عُقْبَاهُمْ»26 ثم جاءت البشرى في مطلع سورة الروم باستنزاف القوى الكبرى وانشغالهم بأنفسهم؛ ليسنى المجال ويتفرغ المسلمون بالدعوة والفتح والانتصار؛ فكانت البشرى بغزوة بدر: ﴿ الم (1) غُلِبَتِ الرُّومُ (2) فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (3) فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (4) بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (5) ﴾.

وهكذا نرى أنّ منحة التمكين والنصر لا تتنزل إلا على من يحفظ هذه الأمانة ويستحقها ويحسن رعايتها، وهي معهم ما راعوا سببها وحافظوا على تبعاتها واستحقاقاتها؛ فإن». الصبر على النصر أشق من الصبر على الهزيمة»27 وهذا ما سنبحثه في المقطع الآتي.

ثانياً: جمود الهدف وضعف الأفق: وحتى تكتمل البشرى وتتم بكمالاتها، وحتى لا تضيع البوصلة وتضل غاياتها كان لزاماً على أهل النصر والتمكين المحافظة على هذا العطاء وهذه المنحة، وتعدّ هذه الإجراءات وهذه التنبيهات من مبشرات النصر والمحافظة عليه، قال عز وجل: ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ (39) الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ الحج (40).

معادلة صارمة وسنة لا تتخلف: سنة البقاء؛ فبعد أنْ وعدهم بقدرته على النصر ذكّرهم بسبب هذا الوعد؛ وهو قولهم: ﴿ ربنا الله ﴾؛ ربنا الله إذا عبدنا وإذا حالفنا أو خالفنا، ربنا الله في البيت وفي السوق، ربنا الله في نصرة الضعيف والضرب على يد الظالم، ربنا الله نظام حياتنا واجتماعنا، ربنا الله في اقتصادنا وسياساتنا... ثم تم وعدة بتمام تأييده ونصرته لمن ينصره، وطمأنهم بأنّ الواعد بالنصر قوي وعزيز، فبدأ بالقدرة وختم بالقوة.

ثم أخذ عليهم العهد بلوازم الوعد: أن يحافظوا على طهارتهم ونقاء دعوتهم؛ بأن يكملوا السير وينفعوا الغير، فعبر عن الدين بإقامة الصلاة وعن الخير للغير بالدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر﴿ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ الحج (41) ، ثم ذكر سنته وحذرنا من الوقوع في شركها؛ وأنّ هلاك القرى بعد قيامها كان بالظلم: ﴿ فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ ﴾ الحج(45)، فما أصعب النصر وما أصعب المحافظة عليه. « عرض للصورة الكريمة التي سيكون عليها هؤلاء المؤمنون الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق، وذلك حين ينصرهم الله، ويمكّن لهم في الأرض، وتكون لهم القوة والغلب.. إنهم- مع ما ملكت أيديهم من قوة، وما مكّن الله سبحانه وتعالى لهم في الأرض من سلطان- لن

25- تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، الهرري الشافعي، 427/15. وانظر لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن.

26- معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، 256/6.

27- في ظلال القرآن، سيد قطب، 11/2.

يكونوا على شاكلة هؤلاء الضالّين الذين كانت إلى أيديهم القوة والسلطان، فتسلطوا على عباد الله، ورهقوهم، وأخذوهم بالبأساء والضراء، وأخرجوهم من ديارهم بغير حق.. إنّ هؤلاء المؤمنين، حين يمكّن الله لهم في الأرض، سيكونون مصابيح هدى، وينابيع رحمة، للإنسانية كلها، بما يقيمون فيها من موازين الحق، والعدل، ... إنهم يقيمون الصلاة، ليستمدوا منها أمداد الهدى من الله، ويؤتون الزكاة، فيكشفون بها الضرّ عن عباد الله.. ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر.. فيصلحون بهذا من سلوك الناس، ويقيمون لهم طرقهم مستقيمة، فلا تتصادم منازعهم، ولا تفسد مشاربهم.»28

ومن خلال استقراءٍ طفيف نستطيع حصر وصايا القرآن في المحافظة على النصر بما يأتي:

1 - الثبات على المبادئ: قال الله عز وجل:﴿ إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ ﴾ محمد 7، وهو إكسير النصر، ثم قال بعدها ربنا عز وجلّ: ﴿ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ محمد 7» الْمُؤْمِنُ يَنْصُرُ اللَّهَ بِخُرُوجِهِ إِلَى الْقِتَالِ وَإِقْدَامِهِ، وَاللَّهُ يَنْصُرُهُ بِتَقْوِيَتِهِ وَتَثْبِيتِ أَقْدَامِهِ وَإِرْسَالِ الْمَلَائِكَةِ الْحَافِظِينَ لَهُ مِنْ خَلْفِهِ وقدامه»29.

-2 التحذير من الفرقة والنزاع: قال تعالى:﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ الأنفال 46 «.. وتذهب ريحكم!... والجمهور على أن الريح هنا مستعارة والمراد بها النصر والقوة «30

-3 خطورة الغرور بالنصر: وهو داء فتاك لا يبقي ولا يذر، مضيعة للبشر وماحق للظفر، حين ترى نفسك وتنسى ربك، حين تنسب إنجازك لقوتك وبطرك، قال الله: ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ الأنفال (47) «.. ويتبادر لنا أنّ الآيات انطوت على قصد المقارنة أيضاً، فالكفار خرجوا بتزيين الشيطان وكان معتمدهم وجارهم، فأخزاهم الله على ما كانوا عليه من كثرة عدد وعدة وزهو وبطر واعتداد بالنفس، والمسلمون خرجوا بإلهام الله، متوكلين عليه، فنصرهم على ما كانوا عليه من قلة عدد وعدد»31

المطلب الثاني: صفات رجل النصر وأعماله:

وهذا سر النصر وكيمياؤه، هو القلب الطاهر والركن الماهر، وهو محل استحقاق الأمانة ومناط الهبة وتعلقات العطاء؛ فما كانت عطاءات الله مرسلةً من غير تحقيق شروطها.

وسأستعرض في هذا المطلب ثلاث سور، لا على سبيل الحصر بل على سبيل المثال؛ فاخترت سورة طويلة وهي سورة آل عمران وتعقيب الله على أحداث غزوة أحد، وسورة متوسطة وهي سورة الأنفال وتعقيب الله عز وجلّ على أحداث غزوة بدر، وختمت بسورة قصيرة وهي سورة الفتح وتعقيب الله عز وجل على أحداث وصلح الحديبة؛ ولعلي في هذه السور الثلاث قد استقرأت ما أمكنني بذكر صفات الرجال المستحقين للنصر والتمكين، مبيناً دروس أحداث عظيمة مرت بالأمة المسلمة.

أولا: صفات رجل النصر في سورة بدر: كانت غزوة بدر تجربة أولى للمسلمين في امتحان النصر وطريق التمكين، فكان اختباراً حقيقياً ظهرت فيه أخلاق بعض المسلمين وانكشفت»32 فساق الله في بداية السورة وبطريقة إعجازية صفات المؤمن الحق وصفات رجل الفتح الحق؛﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (1) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (2) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (3) أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (4) كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ (5) يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ (6) ﴾. الأنفال.

فانظر إلى ترتيب الآيات الواصفة لرجل الفتح؛ فقد جاءت معترضة بين الحديث عن المعركة وأحداثها، بل بين العتاب والمنّ الربانيّ وعطاءاته؛ مما يسترعي التيقظ والتوقف والانتباه، فألهب العقل وأحنقه متدبراً متفكراً؛ فكان الجواب من الآية ساطعاً: ﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (4) ﴾ « لأنهم حققوا إيمانهم بأن ضموا إليه مكارم أعمال القلب، من الخشية والإخلاص والتوكل، ومحاسن أعمال الجوارح التي هي العيار عليها، كالصلاة والصدقة، لَهُمْ دَرَجاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ أي: كرامات وعلو منزلة، أو درجات الجنة يرتقونها

28- التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم يونس الخطيب، 1047/9.

29- مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، 42/28.

30- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية 536/2.

31- التفسير الحديث، محمد عزت دروزة، 69/7.

32- انظر القصة كاملة في سيرى ابن هشام، ما نزل في تقسيم الأنفال، 667.

بأعمالهم، وَمَغْفِرَةٌ لما فرط من ذنوبهم، وَرِزْقٌ كَرِيمٌ أعده لهم في الجنة، لا ينقطع مدده، ولا ينتهي أمده، بمحض الفضل والكرم.»33 فجاءت هذه الصفات وبكيفية معينة في غزوة هي من أهم غزوات المسلمين وأشدها اختباراً، ما جعل النبي r يقول عن أهل بدر: « وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ اطَّلَعَ عَلَى مَنْ شَهِدَ بَدْرًا فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ «34... وهذه الصفات هي ما نحتاجها اليوم كما احتجنا إليها يوم بدر: - فَاتَّقُوا اللهَ - وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بِيْنِكُمْ - وَأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ - الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ - وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانا - وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ - الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ - وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ... وفي كل صفة من هذه الصفات معانٍ تربوية لها أبعادها في صقل الشخصية وتأهيلها لتنال بشارات النصر ونقائه.

ثانياً: صفات رجل النصر في سورة آل عمران: كانت أحداث سورة آل عمران أُتونا تربوياً كما كان ملحمةً عسكرية، فأدمجت التوجيهات التربوية الإلهية بالتعليقات المدمية على معركة أحد ومجرياتها، فكانت لسورة آل عمران صولات وجولات في تثبيت معادلة جديدة بين المسلمين وأعدائهم، وتطوير علاقتهم بالله وبسننه وآياته؛ فكشفت سورة أحد عن صفات الرجال المستحقين للنصر وجلّت عن نقائضهم وأعدائهم من بين أظهرهم، وكيف أنّ النفاق هو أساس البلاء في كل زمان: كما قال عز وجل: ﴿ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ} [المنافقون: ٤]، وأنّ تنقية الصف منهم من أعظم نعم الله على الصف المسلم، ليستحق شرف النصر ويستبشر به، وأنّ الشورى من صفات المؤمن الملازمة له ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ} [آل عمران: 159]. فالشورى جعلها الله من مكونات صفات المؤمنين، ولتعزيز هذه الصفة فقد جعلها الله بين ركنين عظيمين: الصلاة والزكاة، قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ} [الشورى: 38]. وجعل الله من أركان صفات مؤمن الفتح العقل السنني، الذي يحسن التعامل مع أحداث الكون بعقلية قانون الله في الأرض؛ هذا القانون الصارم حتى على أعز خلق الله وهم الأنبياء، بل حتى على صفوة أنبيائه محمد r ﴿ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (137). ومعرفة هذه السنن من أعظم ما يظفر به المسلم؛ لخص الله فيها صفات رجل الفتح والنصر « قد مضت وتقررت من قبلكم سنن ثابتة ونظم محكمة فيما قدره الله سبحانه وتعالى من نصر وهزيمة، وعزة وذلة، وعقاب في الدنيا وثواب فيها، فالحق يصارع الباطل، وينتصر أحدهما على الآخر بما سنَّه سبحانه من سنة في النصر والهزيمة، من طاعة للقائد، وإحكام في التدبير، وقوة إيمان، واستعداد للفداء،... وإنّ من سنن الله تعالى الثابتة ألا يمكن من الظلم وأن ينتصر أهل الحق إذا عملوا على نصرته، وتظافروا على إقامته ولم ينحرفوا عن طاعته، وأنّ أهل الباطل قد ينتصرون إن اتحدوا واستعدوا، لتخاذل أهل الحق وانقسامهم، أو إرادتهم عرض الدنيا، أو عدم الصبر على طاعة القائد كما كان الشأن في أحد.

وإنّ من سنن الله تعالى أن يجعل العاقبة للصابرين الصادقين، فإن أَمْلى للكافرين سنة فإنه سيأخذهم من بعد أخذ عزيز مقتدر، وينصر عليهم أهل الحق، وإنما قدر الله تعالى نصرتهم الوقتية على أهل الحق ليصقل أهل الإيمان، وليهديهم هداية عملية إلى طريق الانتصار، وليميز من بينهم ضعيف الإيمان، ويظهر نفاق أهل النفاق، وبذلك تتبين الصفوة المختارة التي يعتمد عليها، ويذهب الذين مردوا على النفاق بنفاقهم، فلا ينخدع بهم أحد، ولا يرجفون بكيدهم في الجماعة، ولقد بين سبحانه لأهل الإيمان عاقبة المكذبين تثبيتا لقلوبهم.»35 ... ولنلخص صفات رجل الفتح في سورة آل عمران:

1 - ربانيّ المرجع: ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ (100) ﴾ وانظر كيف يستهجن الله تعدد المرجعية أو نكرانها فقال الله مباشرة: ﴿ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (101) ﴾

2 - الخوف من الله: ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (102) ﴾

3 - ينتمي للأمة الواحدة: ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ... (103) ﴾

4 - جزء من الأمة الداعية: ﴿ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ .. (104) ﴾

5 - صاحب رسالة حضارية: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ .. (110) ﴾

6 - صاحب نفس قوية متينة: ﴿ لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ (111) ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ .... (112) ﴾

33- البحر المديد في تفسير القرآن المجيد،305/2.

34- متفق عليه، انظر البخاري في جامعه بَابُ غَزْوَةِ الفَتْحِ 4274، ومسلم في مسنده، بَابُ الْحُكْمِ بِالظَّاهِرِ، وَاللَّحْنِ بِالْحُجَّةِ، 1713.

35- زهرة التفاسير، 1419/3.

7 - منصف متسامح: ﴿ لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ (113) ﴾

8 - نية الرباط تملك روحه: ﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (121) ﴾

9 - يعظم قيمة الجنة: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ (142) ﴾

10 - متحمل للمسؤولية حتى لو مات القائد: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ (144) ﴾

11 - ينكر ذاته ويحمل همّ أمته : ﴿ .. وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ ... (154) ﴾

12 - كمال الصدق مع الله: ﴿ وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ (143)﴾

13 - تقي يؤوب تائب عن الذنوب: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ (155) .

وبهذه المناسبة فقد ذكر الله أسباب هزيمة جولة من جولات معركة أحد، ولم يعيّن نزول الرماة كسبب أوحدٍ للهزيمة؛ بل كان سبباً من عدة أسباب، وليس السبب الوحيد.

ثالثاً: صفات رجل النصر في سورة الفتح: جاء في آخر سورة الفتح توزيع الأوسمة والنياشين على فئة المؤمنين التي استحقت كرم الله ونصره في بداية السورة، ووعدهم بالفتح والنصر، ولعلنا نتدبرها لنستخرج الدلالات الآتية:

الدلالة الأولى: ذكر في بداية السورة النصر وختم السورة بالرضا؛ فهو كمال وجلال، ليعرف المؤمنين قيمة وشأن رجال الفتح ورجال بشرى النصر ومستحقيه.

الدلالة الثانية: جاءت الآية وختمت بعد آية محورية عظيمة؛ يقول الأستاذ سعيد حوى رحمه الله: « ... ومجيء هذه الآية بعد قوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ ... يشعر أنّ وجود من هذا شأنهم هو الطريق إلى انتصار الإسلام، ولقد تحقق أصحاب رسول الله r بما ورد في الآية، وعلى أتباعه أن يفعلوا ليكون لهم شرف المعيّة، فلئن فاتتهم معيّة الجسد فلا تفوتهم معيّة الاقتداء والتحقيق والتخلق، وإنّ في الآية لرداً على من أغفلوا الصراع مع الكفر وتناسوه.»36 ويقول رحمه الله : « ومجيء آية: ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ ﴾... في سياق سورة الفتح يشعر بأن ما ذكرته هذه الآية هو مواصفات الجماعة التي تستأهل الرعاية والنصرة والغلبة، فلنتدبر الآية، وليحاول المسلم أن يأخذ حظّه مما ورد فيها، ولتحاول الطائفة القائمة بالحق أن تأخذ بحظها من ذلك الإيمان، والعمل الصالح، والوحدة والتلاحم والتفاني، ووضاءة الوجوه من العبادة، والركوع والسجود، والرحمة بالمؤمنين، والشدّة على الكافرين.»37.

ولو تدبرنا صفات رجل الفتح في هذه السورة لخرجنا بالصفات الآتية:

أولاً: عابد متضرع: ﴿ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا... ﴾ (الفتح: 29)، يقول النبي r : (إنما ينصر الله هذه الأمّة بضعيفها بدعوتهم وصلاتهم وإخلاصهم)38.

ثانياً: سامع مطيع ملازم للصف: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ ... ﴾ (الفتح :10).

ثالثا: رحيم القلب بإخوانه: ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ (الفتح 29)

رابعاً: ثابت لا يضره المتساقطون: ﴿ سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا .. ﴾ (الفتح :11)

خامسا: علامات الخير ظاهرة عليهم وبعملهم: ﴿ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ (الفتح 29)

سادسا: محارب للظلم والفساد: ﴿ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾ (الفتح 29)

سابعاً: محفيٌّ بهم في كل الرسالات: ﴿ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ39 و الدليل على ذلك في قول الله تعالى في آية (١١١) من

36- الأساس في التفسير، سعيد حوى، 5387/9.

37- نفس المرجع والصفحة.

38- المجتبى من السنن = السنن الصغرى للنسائي، النسائي، 1986 برقم 3178، الاِسْتِنْصَارُ بِالضَّعِيفِ، والحديث صححه الألباني.

39- في التوراة: وَقَالَ لَهُ الرَّبُّ: «اعْبُرْ فِي وَسْطِ الْمَدِينَةِ، فِي وَسْطِ أُورُشَلِيمَ، وَسِمْ سِمَةً عَلَى جِبَاهِ الرِّجَالِ الَّذِينَ يَئِنُّونَ وَيَتَنَهَّدُونَ عَلَى كُلِّ الرَّجَاسَاتِ الْمَصْنُوعَةِ فِي وَسْطِهَا».
انظر حزقيال 9 : 1 – 6 وفي الإنجيل: وَسَقَطَ آخَرُ عَلَى الأَرْضِ الْجَيِّدَةِ فَأَعْطَى ثَمَرًا.» انظر: متى 13 : 1 – 9.

سورة التوبة: ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ، يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ، وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ.. ﴿١١١﴾.

ثامناً: يعلم أنّ ترك النصرة للدين خطر عظيم موجب للاستغفار: ﴿ سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا ﴾ (الفتح :11) «.. وصفهم بأوصاف كلها مدائح لهم، وذكرى لمن بعدهم، وبها سادوا الأمم، وامتلكوا الدول، وقبضوا على ناصية العالم أجمع، وهي: (1) إنهم غلاظ على من خالف دينهم وناوأهم العداء، رحماء فيما بينهم. (2) إنهم جعلوا الصلاة والإخلاص لله ديدنهم في أكثر أوقاتهم. (3) إنهم يرجون بعملهم الثواب من ربهم والزلفى إليه ورضاه عنهم. (4) إنّهم لهم سيمى يعرفون بها، فلهم نور في وجوههم، وخشوع وخضوع يعرفه أولو الفطن. (5) إنّ الإنجيل ضرب بشأنهم المثل فقال: سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر؛ ذاك أنهم في بدء الإسلام كانوا قليلي العدد ثم كثروا واستحكموا وترقى أمرهم يوماً فيوماً حتى أعجب الناس بهم، فإن النبي r قام وحده ثم قوّاه الله بمن معه، كما يقوّى الطاقة الأولى من الزرع ما يحتفّ بها مما يتوالد منها.»[40]

الخاتمة والتوصيات

فقد وصف الله عز وجلّ كتابه بالهدى والنور، وهذا الهدى وهذا النور موصل للرحمة والسكينة والفوز، وما كان لهذه الرحمة أن تغشى أحداً لم يستنر بهذا النور وهذا الهدى؛ فهو كمن يمشي في ظلمات وحفر وشرور وضرر ولا يستعين بمصباح! فحتماً ضلاله وقع... وفي الشرور والحفر سيلقى حتفه أو الوجع؛ وهذا مثلٌ للقرآن: فمن استضاء بهديه واستنار بنوره رُحم ونجا من الشرور ووصل إلى مستقره في سرور، قال الله عز وجلّ: ﴿ ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ الأنعام (154) وقال الله : ﴿ وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ الأعراف (52) ﴾.

وهذا البيان والتوضيح كان للنصر وأسبابه ومبشراته، فنوّر الله طريق السالكين إليه وأضلّ طريق الشاردين، ومن سلك طريق الله عرف هذه المبشرات واطمأنّ لوعد الله؛ وحتى يكون يقينه ثابتاً لا يتزحزح بيّن الله له شروط وتبعات واستحقاقات هذه البشارات، وأنها غير لازمة لكونه يوصف مؤمناً بل لكونه عاملاً صابراً محتسباً، وأنّ النصر أمانة لا تتنزل إلا على من صانها وأخذ بحقها، فمن عرف ذلك اطمأنّ لسعيه وعرف طريقه لم يفجأ بتأخر نصر أو هزيمة؛ لأنّ ترتيب عقله كان متّسقاً مع ترتيب القرآن وسنته في الكون والإنسان؛ فعرف أنّ الفتح والنصر له استحقاقاته من قبلُ ومن بعد، فيحسن الظفر به من جهة ويحسن المحافظة عليه من جهة أخرى.

ولا بد للسالكين طريق النصر والتمكين أن يضعوا في بؤرة حسابهم وسعيهم اعتبارات كثيرة قد وقفنا على جملة من هذه الاعتبارات في هذا البحث؛ فقد حاول الباحث إضاءة الطريق لمبشرات النصر ومثبتاته، ولعلها تكون حافزاً لدراسة المزيد والتنقيب عن سنن الله وقوانينه أكثر، حتى يحافظ المسلم على إيمانه ويقينه، ولا يضيع سعيه بجهله فيها.. وسأجعل في هذه الخاتمة بعض التوصيات، وأخلص إلى أهم النتائج الآتية:

1. النصر قادم حتماً فانظر نفسك أين تكون.
2. كما أنّ هناك مبشرات فإنّ هناك معوّقات للنصر، فلتراع يا رعاك الله، متوازناً كلا الأمرين، ولا تشخُص لأحدهما ببصرك دون الآخر.
3. يجب النظر لأسباب منحة وعطاء النصر ومبشراته قبل النظر بالنصر فقط، ولا نكن كمن وُعد بجائزة مقابل فوزه بمباراة ما، فانشغل بالجائزة ونسي أنها مقابل أمر يجب القيام باستحقاقاته ولوازمه.
4. معرفة سنن الله في النصر والهزيمة مثل اللفاح المضادّ للمرض؛ يأخذه المعافى قبل المريض محصّناً له عن المرض، وأمراض الشبهات تحتاج للصيانة والمناعة أيضاً بل هي الأوْلى.
5. التعامل مع المبشرات أمر ليس بالسهل؛ بل هو منهاج وليس كلمات ترسل وتدغدغ العواطف وتستنهض الهمم من غير مثبّتات وعوامل ومقومات، بل هو منهاج متكامل يؤخذ مع تطبيقاته وإعداداته ولوازمه.
6. العجلة داء عضال يفتك باليقين وينقص من الدين.
7. التربية القرآنية من أعظم وسائل ومقاصد الدعوة والدعاة.

40- تفسير المراغي، المراغي، 115/26.

8. بالاشتغال بالدين يأتي ويتم اليقين وليس العكس.

9. المواقف هي من تفيدك وتفيد الدين، وترك الاكتفاء بالمشاعر.

10. ثق بترتيب الله لك وإن كان الأفق القريب لا يبشر.

والحمد لله رب العالمين

المراجع

- قصة أصحاب الأخدود والصبر على الطريق إلى الله، اتحاد «الرائد» -القسم الثقافي، 2012.09.09 https://www.arraid.org/ar/node/2359
- الأساس في التفسير، سعيد حوى، دار السلام، القاهرة، الطبعة: السادسة، 1424 هـ
- أسد الغابة، أبو الحسن ابن الأثير، دار الفكر، بيروت، 1409هـ 1989-م.
- البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، أبو العباس أحمد ابن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، د حسن عباس زكي، القاهرة، الطبعة: 1419 هـ.
- التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور التونسي، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984 هـ
- تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- التفسير الحديث، محمد عزت دروزة، دار إحياء الكتب العربية – القاهرة، الطبعة: 1383 هـ
- تفسير القرآن الحكيم، محمد رشيد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990 م.
- تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية 1420هـ - 1999 م .
- التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم يونس الخطيب، دار الفكر العربي – القاهرة.
- تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي، ومطبعة مصطفى البابي، الطبعة: الأولى، 1365 هـ
- تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، محمد الأمين الأرمي العلوي الهرري الشافعي إشراف: د هاشم محمد علي مهدي، دار طوق النجاة، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، 1421 هـ.
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن السعدي، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى 1420هـ 2000- م.
- جامع البيان في تأويل القرآن، ابن جرير الطبري، ت: أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط 1 1420 هـ .
- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله r وسننه وأيامه، أبو عبد الله البخاري، المحقق: محمد، دار طوق النجاة الطبعة: الأولى، 1422هـ.
- زهرة التفاسير، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة، دار الفكر العربي.
- السيرة النبوية، عبد الملك بن هشام تحقيق: مصطفى السقا ، مصطفى البابي، مصر، 1375هـ
- الطبقات الكبرى، محمد بن سعد تحقيق: محمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1 1410 هـ.
- الفوائد، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 3، 1393.
- في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، الطبعة الشرعية الثانية والثلاثون 1423هـ .
- لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن، تصحيح: محمد علي شاهين، دار

الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، 1415 هـ

• لطائف الإشارات، عبد الكريم القشيري، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية للكتاب، مصر، ط 3.

• المجتبى من السنن = السنن الصغرى للنسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، الطبعة: الثانية، 1406 - 1986.

• المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي، المحقق: عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1422 هـ

• المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله r، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

• معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: حققه محمد عبد الله النمر وآخرون، دار طيبة للنشر والتوزيع، 1417 هـ .

• مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3 1420 هـ

• موقع قصة إسلام، رابط المادة: http://iswy.co/e48vi د راغب السرجاني،

• النصر والهزيمة «دراسة قرآنية، عبد اللطيف مرشود، رسالة ماجستير جامعة النجاح فلسطين،2007م .

• وقفات تربوية في سبيل نهضة جهادية، أبو سعد العاملي، بلا معلومات.

البحث الثاني

جهود المغاربة في الرد على المشككين في السنة المطهرة: العلامة محمد الحسن الحجوي الثعالبي نموذجا

الدكتور محمد بن عبد الله دامي

أستاذ التعليم العالي بجامعة الحسن الثاني بالدار البيضاء

ملخص المقال:

يرِدُ هذا المقال في سياق بيان إسهامات السادة المغاربة في حفظ الحديث النبوي، وشرحه، والدفاع عنه؛ والرد على المشككين في السنة المطهرة من المتعاقلين الذين أبانت تمويهاتهم عن ضعف علمي، وشغْبٍ فكري، وضحالة منطقية؛ ذلك ما أبان عنه العلامة محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي -رحمه الله تعالى-(ت:1376هـ)، الذي ألف كتابا فريدا في الرد على منتقصي الصحيحين، سماه:» الدفاع عن الصحيحين دفاعٌ عن الإسلام»، وهو رسالة قوية الإحكام، متقنة النسجِ، اجتثت أصول التمويهات من القواعد، بيراعٍ سيَّالٍ، وفكرٍ وقادٍ.

وقد كانت خطة البحث معتمدة على مبحثين: المبحث الأول، تناولت فيه: إسهامات المغاربة في خدمة صحيحي الإمامين البخاري ومسلم، وفيه مطلبان: أبرزتُ في الأول منهما إسهامات المغاربة في خدمة صحيح البخاري، والثاني: إسهامات المغاربة في خدمة صحيح مسلم على غاية الاختصار.

أما المبحث الثاني فأفردته للحديث عن مدرسة المشككين في السنة، وجهود العلامة محمد بن الحسن الحجوي في الرد عليها، وفيه مطلبان الأول: يُعْنى ببيان تأثر المدرسة التشكيكية المُحْدَثة بالمستشرقين في إثارة الشبه حول السنة، والثاني يهتم بتوضيح أوجه رد العلامة محمد بن الحسن الحجوي على الطاعنين في السنة المطهرة، وتحت هذا المطلب فروع متساوقة لبابها: بيان وجوه الدفاع عن الصحيحين من جهة الدراية والرواية، بعد التمهيد لذلك بكلمة مقتضبة عن الشيخ الحجوي الثعالبي، وكتابه المذكور.ثم ختمت المقال بخلاصاته وأهم ثماره، والله الموفق.

الكلمات المفتاحية: الدفاع - المشككين - السنة النبوية- الحجوي

Abstract :

This article is presented in the context of explaining the contributions of Moroccan gentlemen in preserving, explaining, and defending the Prophet›s hadith. And responding to the skeptics of the purified Sunnah of the prudent, whose camouflage revealed scientific weakness, intellectual turmoil, and logical shallowness; That is what was revealed by the scholar Muhammad bin Al-Hasan Al-Hajwi Al-Thaalibi - may God have mercy on him - (T.: 1376 AH), who wrote a unique book in response to the detractors of the two Sahihs, which he called: "Defending the Two Sahihs is a Defense of Islam," which is a strong message with precision, well-textured, The origins of camouflage were uprooted from the rules, with a fluid shepherd, intellect and leaders.

The research plan was based on two topics: The first topic dealt with: Moroccan contributions to the service of the two Sahihs of Al-Bukhari and Muslim.

As for the second topic, I singled it out to talk about the school of skeptics in the Sunnah, and the efforts of the scholar Muhammad ibn al-Hasan al-Hajjawi in responding to it.

Then I concluded the article with its conclusions and most important results

Keywords: Defense- skeptics- Sunnah- Alhajiwi

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله والصلاة والسلام على نبيه ومصطفاه، أما بعد:

فإنه لم يبرَحْ المتعاقلون المُحْدَثُون يشعلون أُوَارَ التشكيك، ويتزيدون شُنَعَ الشبه في صد الأمة عن الاستهداء بالسنة النبوية الشريفة، قاصدين ثَنْيَهَا عن مصدرها الثاني في التشريع بعد القرآن الكريم، وهي المُبيِّنة لأحكامه، المزيلة لإبهامه، المفصلة لمجمله، المجلية لمراميه وأهدافه، وكفانا بالقرآن والسنة عَضادتين لفهم رسالة الله تعالى، وركنين جليلين لحسن العمل بها.

ولهؤلاء العصريين المتشبعين بالعقل – وقدْ أوردهم موارِدَ البلاء، وأسْلَمَهُمْ إلى مراتع التلف- شبهاتٌ يزينونَ بها تمحلاتهم، ويرقعون بها شَغْبَهُم المُمَوَّه، وأبرزها:

- أنه لا حاجة إلى السنة، لأن القرآن الكريم حوى أمور الدين، وأغنانا عن غيره، قال تعالى: {مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ} [الأنعام: 38].

- أنَّ الله تعالى ضَمِنَ حفظ القرآن؛ لأنه مصدر التشريع ولم يضمن حفظ السُّنَّة،ولو كانت السُّنَّة حجة ومصدرًا من مصادر التشريع لتكفل النبي -صلى الله عليه وسلم- بكتابتها، ولحرَّضَ الصحابة على جمعها وتدوينها صيانة لها من التحريف والنسيان.

دعواهم مخالفة الحديث النبوي الشريف لضرورات العقل، وتجارب العلم.

- زعمهم أن بعض الأحاديث المصطفوية تفوح منها رائحة الإسرائيليات، وأنها أحدوثات الزمان، وأقاصيص الأولين، وأباطيل الكُهَّان، وبالتالي يفقد الثقة بباقيها.

- وتُكأَتُهم الأخرى إسرافهم في ادعاء مخالفة السنة النبوية لقطعيات القرآن، وأصول التوحيد والعقيدة.

أهداف البحث وأهميته في سياقه:

وقد تكفَّلَ العلماء بدحضِ تكلفِ المتعاقلين، ونقضِ عرى قضيتهم انتصارا للدين، وكشفا لتمويهات المبطلين، المحاكين للمستشرقين، رغم أنَّ أولئك القوم الذين يدعون التحرر الفكري،وقد فُتِحَ لهم الباب على مصراعيه لنشر آرائهم، وبُسِطَ لهم المجال للإفصاح عن شواذهم، فامتدَّ شططهم إلى السنة المشرفة، وعينُهم حقيقة على القرآن الكريم.

وإذا ما خلا الجبانُ بأرضٍ طَلَبَ الطَّعْنَ وحدَهُ والنِّزَالاَ

وغرض المقال هو: بيان إسهامات المغاربة الطارف منهم والتليد في حفظ الحديث النبوي، وشرحه، والدفاع عنه؛ذلك أنه إذا كان للمشارقة في الدفاع عن السنة الحظُّ الأوفى، فإن للمغاربة منه النصيبَ الأصفى، وهذا المقال يحسر اللثام عن جهود بعض الأعلام من متأخري شيوخ المغرب الأقصى.والمقصود هنا أصالة هو العلامة محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي -رحمه الله تعالى-(ت:1376هـ)، الذي ألف كتابا فريدا في الرد على منتقصي الصحيحين، سماه:» الدفاع عن الصحيحين دفاعٌ عن الإسلام»، وتنبع جلالته من أمور:

- عظمةُ مؤلفه وراقمِ حروفه، وقد عُرِفَ -رحمه الله- ببراعٍ سيَّالٍ، وفكرٍ وقادٍ، وشخصية مستقلةٍ.
- أنه جاء ردا قويا محكما شعاره الأدب مع المخالف، ودثاره اجتثاث أصول التمويهات من القواعد، فلا عجب أن تجده -رحمه الله تعالى- يوظف القواعد المنطقية والبراهين العقلية تامة الإيراد، بينة الاقتصاص، بَلْهَ علومَ الشريعة بأجناسها الذي هو ابنُ بجدتها.
- أنه يخلد منقبةً تَعْلو بِجَمالها كلَّ مأثرةٍ، وهي المجالس الحديثية السلطانية التي كان يشارك فيها أعلام ذلك العهد، كالشيوخ أبي شعيب الدكالي، ومحمد بن المدني الحسني، والمكي البطاوري، والحجوي الثعالبي، وأضرابهم، وكانت المناقشات والمطارحات الفكرية تفتح أمام السلطان على أشدها.

إشكالية البحث:

يدور قطب رحى هذا البحث حول إشكالية مهمة، وهي أن دعاوى المشككين في السنة النبوية المشرفة، والتي يعدونها أدلة واعتراضات، ما هي على الحقيقة إلا تكهنات وتشغيبات تخالف صحيح النقل، وتناقض صريح العقل، والسؤال المطروح هنا كيف دحض العلامة الحجوي الثعالبي تلك التمويهات؟، وإلى أي حدٍّ كانت له القدرة والمكنة على ازدواج العقل والسمع واصطحاب الرأي والشرع في كشف المشككين في السنة النبوية باعتبار ذلك أفضل المناهج في الردِّ عليهم؟.

منهجية البحث:

سلكتُ في هذا المقال الجمعَ المقتضبَ لجميلِ الفرشِ وسديدِ التمهيدِ للدرسِ الحديثي بالديار المغاربية؛ وعقدتُّ مقارنَةً موجزةً لفسرِ وجوه التشايع والتتايع بين المستشرقين وأتباع المدرسة العقلية مكتفيا بنماذج معينة؛لأن ما لا يدرك كله لا يترك كُلُّهُ، وفي المذكور دليلٌ على المتروك.

مع الدراسة التحليلية لأهم الأصول والقواعد والمصطلحات التي نشر طيها، وأخلص نضارها الشيخ محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي في كتابه الذي رام منه الدفاع عن الصحيحين، مع الإكثار من التمثيل قصد البيانِ.

الدراسات السابقة:

لاشك أن العلماء قد صنفوا الكتب في الرد على المشككين الطاعنين في الوحي النبوي الشريف، وهي وفيرة يصعب حصرها، ولكن أولاها بجميلِ الذكر وحَفِيِّ الإشادة:

- الأنوار الكاشفة لما في كتاب (أضواء على السنة) من الزلل والتضليل والمجازفة، للعلامة عبد الرحمن المعلمي اليماني، وهو رد متقن على الأستاذ محمود أبو ريَّة الذي عمِهَ خَلَدُه عن الصواب.
- موقف المدرسة العقلية من السنة النبوية، للأمين الصادق الأمين، وفيه أجوبة وافية لشبه المستشرقين حول السنة، ومن اتبع أذيالهم من العقلانيين.
- المعارضات الفكرية المعاصرة لأحاديث الصحيحين -دراسة نقدية-، لصديقنا الوفي د. محمد بن فريد زريوح -حفظه الله تعالى- وهو دراسة موعبة أنيقة اللفظ، حكيمة المعنى صادرة عن مركز «تكوين للدراسات والأبحاث»، وجعلها في ثلاثة أبواب: أولها في شَهْرِ أهم الفرق الطاعنة في الصحيحين، وثانيها في بيان مسوغاتهم في ذلك، وثالثها في نقد دعاويهم وكشف أباطيلهم.
- الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم للشيخ مصطفى بن حسني السباعي (ت:1384هـ) ، وهو نقد هادئٌ للمستشرقين، ومحاورة وجها لوجه لكبيرهم «جوزيف شاخت»، مع تحليل ماهية الاستشراق وأهدافه، وهذا الكتاب يستفاد منه في فهم آراء المدرسة العقلانية.

محاور البحث:

وقد ضم هذا المقال أبحاثا متَّتْ بحرمة العلم، وذمام الشريعةِ بالذريعة العلية، فجاءت -بحمد الله- متساوقةً منتظمة في محاورها بعد توطئةٌ، تقرب أقصاه، وتُدْني نائيه، على الشكل التالي:

المبحث الأول، تناولت فيه: إسهامات المغاربة في خدمة صحيحي الإمامين البخاري ومسلم، وفيه مطلبان: أبرزتُ في الأول منهما إسهامات المغاربة في خدمة صحيح البخاري، والثاني: إسهامات المغاربة في خدمة صحيح مسلم على غاية الاختصار.

أما المبحث الثاني فأفردته للحديث عن مدرسة المشككين في السنة، وجهود العلامة محمد بن الحسن الحجوي في الرد عليها، وفيه مطلبان الأول: يُعْنى ببيان تأثر المدرسة التشكيكية المُحْدَثة بالمستشرقين في إثارة الشبه حول السنة، والثاني يهتم بتوضيح أوجه رد العلامة محمد بن الحسن الحجوي على الطاعنين في السنة المطهرة، وتحت هذا المطلب فروع متساوقة لبابها: بيان وجوه الدفاع عن الصحيحين من جهة الدراية والرواية، بعد التمهيد لذلك بكلمة مقتضبة عن الشيخ الحجوي الثعالبي، وكتابه المذكور.ثم ختمتُ المقال بذكر بعض النتائج والتوصيات المقترحة، والله الموفق.

تقديم:

تذكر كثير من دواوين التاريخ والتراجم أن زيادا بنَ عبد الرحمان الملقبَ بشبطون (ت:193هـ) أول من أدخل إلى الأندلس موطأ مالك، مثقفاً بالسماع منه. قال يحيى بن يحيى: زياد أول من أدخل الأندلس علم السنن ومسائل الحلال والحرام، ووجوه الفقه والأحكام»(1).

ثم ولِيَهُ يحيى بنُ يحيى الليثي المصمودي(2)الذي ربط المغرب بالمشرق بسلسلة الذهب، بعد أن تتلمذ على إمام دار الهجرة مالك بن أنس -رحمه الله تعالى-، وروى عنه موطأه؛ الذي جُعِلَ -إبان ذلك- الأصلَ الأولَ.

ومنذ ذلك العهد وبلاد المغرب أقصاها وأدناها زدْ أندلسَها في اهتبال بالحديث الشريف وعلومه لا يضاهى،وعناية بروايته ودرايته لَا يتناهى ثَنَاها، بل لا يعدل عن الصواب في شيء إذا قيل: إن من أجل أسباب تعلق المغاربة بالمذهب المالكي وإشرافهم على عمل أهل المدينة، واتباعهم له في عباداتهم ومعاملاتهم وعامة شؤونهم هو انطلاق المذهب المالكي من الحديث الشريف، وائتساءُ إمامِ المذهب بالسنة قولا وعملا.

وفي هذا الصدد كان الموطأ أول كتب السنة دخولا الغربَ الإسلامي على يد علي بن زياد التونسي (ت: 183هـ)(3)، الذي قال أبو سعيد ابن يونس المصري في ترجمته:» من أهل تونس، يكنى أبا الحسن، وهو الذي أدخل المغرب «جامع سفيان الثوري» ، و «موطأ مالك» ، وفسّر لهم قول مالك، ولم يكونوا يعرفونه. وهو معلم سحنون(4).

وكتاب الموطأ -كما عُلِمَ- جامعٌ لأحاديث الحجازيين، ووشَّاه بأقوال الصحابة وآراء التابعين، مع حسنِ الترتيب، والتبويب.وقد استتب الأمر للموطأ، واستبد بالشيوع والذيوع في بلاد المغرب بلا مدافعة أو منازعة، وصار (المادة الأساسية الأولى للدراسة والتعليم والفقه والاستنباط، واحتل الموطأ سائر حلقات الدرس)(5).

المبحث الأول: إسهامات المغاربة في خدمة صحيحي الإمامين البخاري ومسلم

المطلب الأول: إسهامات المغاربة في خدمة صحيح البخاري

ثم تتابعت الدراسات المغربية لكتب السنة بإدخال صحيح الإمام البخاري على يد أئمة كثيرين، اختلف في أسبقهم في نيل شرف إدخال الصحيح إلى بلاد المغرب.فقيل: إن أبا حفص عمر بن حسين الهوزني، هو الذي أدخل الصحيح إلى المغرب، وعنه أخذه الناس(6)، وهذا لا يسلم؛ لأن وفاة أبي حفص المذكور كانت سنة (460هـ)، وهي متأخرة جدا عن الروايات الأخرى.

---

1 - «ترتيب المدارك وتقريب المسالك» للقاضي عياض(3/ 117).

2 - نقل ابن عبد البر في «الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء» (ص60) عن أحمد بن خالد أنه قال:» لم يعط أحد من أهل العلم بالأندلس منذ دخلها الإسلام من الحظوة، وعظم القدر، وجلالة الذكر ما أعطيه يحيى بن يحيى».

3 - «ترتيب المدارك » (1/ 326).

4 - «تاريخ ابن يونس» (2/ 153)، وعنه القاضي عياض في «ترتيب المدارك » (3/ 80)، ولينظر: «الفكر السامي » للحجوي الثعالبي(1/ 406).

5 - مدرسة الإمام البخاري في المغرب ليوسف الكتاني (23/1) بتصرف يسير.

6 - «نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب» للمقري(2/ 93).

وقيل-وهو الأقرب-:أن أبا الحسن القابسي (403هـ) من أوائل من أدخل الصحيح إلى بلاد إفريقية، وأنَّ حُبَاشَة بن حَسَن اليَحْصُبيّ (ت374هـ) وأبا محمد عبد الله بن إبراهيم الأصيلي (392هـ) هما المجليان الأولان في إدخال الصحيح إلى بلاد المغرب الأقصى والأندلس، وكلاهما رويا الصحيح عن أبي زيد المَرْوَزيّ (371 هـ)(7).

فأما حباشة فقد «سَمِع: كِتاب البُخاريّ من أبي زَيد المروزيّ؛ ثم أنصَرف إلى الأندلس فَلزِم العِبَادة، ودِراسة العِلْم والجِهاد»(8).

وأما الأصيلي، فقد كان سماعه للصحيح مع أبي الحَسَن بن القابسي على أبي زَيْدٍ بمكة سنة (353)، ثم سَمعه بعد ذلك أبو محمد الأصيلي ببغداد على أبي زيد المَرْوَزيّ بيْنَ سماع وقراءة في سنة (359) كما قال أبو علي الجَيّانيّ(9).

ثم كتب الله تعالى لصحيح البخاري ذيوع الصيت والطيران الحثيث، فرواه عن الأصيلي أممٌ لا يحصون، وفي ذلك يقول ابن الفرضي«ثمّ وصَل إلى الأنْدَلُس في آخر أيّام المُسْتَنْصِر بالله -رحمه الله-: فَشُورَ وقرأ علَيْه النّاسُ كِتابَ: البُخاريّ رِوايَة أبي زيد المَرْوَزيّ، وغير ذلك»(10).

ومن أولئك الأعلام الذين صحبوا أبا محمد الأصيلي الحافظُ الحجةُ الفصيحُ المهلبُ بنُ أبي صفرة التميميُّ أبو القاسم من أهل ألمرية، (ت: 435هـ)، وكان صهرا للأصيلي، وعنه أخذ الصحيح، ورعاه أشد الرعاية حتى سهل حزنه، ونهج رسمه، قال عنه أبو الأصبغ بن سهل القاضي: وبأبي القاسم - يعني: المهلبَ - حِيِيَ كتاب البُخارِيّ بالأندلس؛ لأنه قرئ عليه تفقها أيام حياته، وشرحه واختصره (11).

«قال أبو الأصبغ بن سهل: كان أبو القاسم من كبار أصحاب الأصيلي وبه حيي كتاب البخاري بالأندلس لأنه قرأه تفقهاً أيام قراءته وشرحه واختصره اختصاراً مشهوراً سماه النصيح في اختصار الصحيح وعلق عنه تعليق حسن على البخاري وسمع منه بن المرابط وأبو عمر بن الحذاء وأبو العباس الدلائي»(12).

إذن فللمهلب بن أبي صفرة اختصار لصحيح البخاري سماه :»المختصر النصيح»، قصد به نصح المسلمين، وهذبه للمتحفظين والمتفقهين، بتأييد رب العالمين(13)، ويعد هذا التهذيب من أوائل المختصرات على الصحيح، وأتقنها. ثم إن المهلب رأى الحاجة ماسة لوضع شرح أو تعليق لطيف عليه، فعلق عليه إملاءات لطيفة كما ذكره ابن بشكوال(14).

ومن روائع ثنائه على الصحيح قوله «واجتمعت على هذا الكتاب الجامعِ الآثارُ، واقتصرتْ به قرونُ الإسلامِ عليه، ولجأ المخالفُ والمؤالف إليه، ولن تجتمعَ الأمة على ضلالٍ، ولا تتفق على اختلالٍ، فرحم الله مؤلِّفَه الفاضلَ، محمداً بنَ إسماعيل، العالمَ المرضيَّ، والحَبْرَ الزكيَّ، الناهجَ لسبيلِ النجاةِ، والدليلَ الماهرَ على مهامِهِ الرواياتِ، والنجمَ الهادي في الظلماتِ، يتضمنُ صحيحَ الحديثِ على أئمةِ الأمصارِ، وإليه [الوقوف] (15) فما عورضَ، والزعيمَ بِمَيْزِ صريحِ الأسانيد فما نوقضَ، العارفَ بعدالةِ الرجالِ، الحاكمَ فيهم بتغليبِ الرّحالِ، المنكِّتِ بجواهر العلم بتبويباته، والمنبِّهِ على خفيِّهِ بإشاراتِهِ»(16).

وقد أكثر شراح صحيح البخاري من النقل عن المهلب لجلالته، وحسن تنكيته. وأوسعهم اضطلاعا بما استنهض، واستقلالا بما حُمِّلَ، تلميذه الأبر الإمام المغربي أبو الحسن علي بن خلف بن بطال المالكي (ت:449هـ)، الذي أكثر جدا من النقل عن المهلب، والاستفادة منه، حتى قال في بعض المواطن:« إني كثيراً ماكنتُ أسأل المهلبَ عن هذا الحديث(17) لصعوبته فيجيبني عنه بألفاظ وطرق مختلفة، والمعنى واحد»(18).

والإمام ابن بطال كان من أوعية العلم والمعرفة والفهم، عني بالحديث العناية التامة، يبرم للحديث أعلاقه، ويفتح أغلاقه، وقد« ألف شرحاً

---

7 - ولينظر روايات الصحيح وما دخل منها بلاد المغرب في مقال د. محمد المنوني: صحيح البخاري في الدراسات المغربية من خلال رواته الأولين ورواياته و أصوله، ضمن مجلة المجمع اللغة العربية بدمشق - المجلد التاسع و الأربعون، جمادي الثانية 1394 - العدد 3.

8 - «تاريخ علماء الأندلس» لابن الفرضي(1/ 152).

9 - «تقييد المهمل» للغساني(63/1). ولينظر: روايات الجامع الصحيح ونسخه «دراسة نظرية تطبيقية» لجمعة فتحي عبد الحليم (1/ 250).

10 - «تاريخ علماء الأندلس» (1/ 290). ومن جميل ما يذكر هنا قول ابن العربي في « العواصم » (ص367):«ولولا أن طائفة نفرت إلى دار العلم، وجاءت بلباب منه، كالأصيلي، والباجي، فرشت من ماء العلم على هذه القلوب الميتة، وعطرت أنفاس الأمة الذفرة، لكان الدينُ قد ذهب».

11 - «الديباج المذهب » لابن فرحون (2/ 346). ولينظر: «جذوة المقتبس » للحميدي(ص:352).

12 - «الديباج المذهب » (2/ 346).

13 - لينظر: مقدمة المختصر النصيح للأستاذ الشريف ولداباه (ط).

14 - الصلة (627/2)، وعنه الذهبي في السير (579/17).

15 - كذا في المطبوع، وقال محققه في الحاشية:» ما هو بين مزدوجتين لا يوجد في الأصل»، ولعل في العبارة تصحيفا.

16 - المختصر النصيح في تهذيب الجامع الصحيح لابن أبي صفرة (ص:3) باختصار.وقال أيضا(ص:4-5).:« ثم إني تدبرت هذا الكتاب الصحيح الذي جعله الله في آخر الزمان عصمة للمختلفين، وحكما للمتفرقين، ورحمة للعالمين؛ فألفيت مؤلفه على ضمان الصحة، وجامعه عن أهل الثقة».

17 - يعني حديث (من حلف بملة غير الإسلام كاذبًا فهو كما قال)رواه البخاري (1363)، ومسلم (110).

18 - «شرح البخاري لابن بطال» (9/ 289).

لكتاب البخاري كبيراً. يتنافس فيه، كثير الفائدة»(19).

ومن الشروح المغربية الرائدة على الصحيح، والتي لا يعرف عنها إلا النزر اليسير شرح الفقيه الحاذق أبي الزناد سراج بن سراج القرطبي (ت: 422هـ)(20)، الذي يروي عن أبي محمد الأصيلي، وقد أكثر من النقل عنه ابن بطال، وابن الملقن، والبدر العيني في عمدة القاري، وابن حجر في مواضع(21).

هذه إيماضة برق في ذكر بعض الشروح المغربية في العهود الأولى الداثرة، والرسوم السالفة العافية، ولا بأس بعد هذا من ربط اللاحق بالسابق، وإلحاق المتأخر بالمتقدم بالإشارة إلى شروح أخرى، أخرجت مخبآت عطر الصحيح من جؤنته، ونشرت فقهه ودفائنه، ومن ذلك من المُحْدَثينَ:

شرح الفقيه المحدث الوجيه أبي عبد الله محمد الفضيل ابن الفاطمي الإدريسي الشبيهي الزرهوني(ت:1318هـ)، والمسمى :» الفجر الساطع على الصحيح الجامع»، والذي يعد من أهم وأندر وأنفس ما كتبه المغاربة المتأخرون على صحيح البخاري(22)، وكان من اعتناء العلامة الشبيهي بصحيح الإمام البخاري أنه كان يسرده تباعا في الأشهر الحرم، ويقرر غوامضه، ويوضح مشكله، ويطبق أصوله على فروع السادة المالكية.

قال في أوله بعد أن ذكر معتمداته فيه: « فقد فتح الله عَلَيَّ بنكتٍ غريبةٍ، وأتحفني -سبحانه- بتحقيقاتٍ عجيبةٍ، وتوشيحاتٍ مصيبةٍ، تقف دونها الأفكارُ، وتبذل في تحصيلها نفائسُ الأعمار، فجاء بحمد الله مع صغر حجمه، ولطافة جرمه، مشتملا على علم غزير، وتدقيق وتحرير، يسر الناظر ويريح الخاطر، ويغني في بابه عن مطولات الدفاتر»(23).

هذه بعض خدمة العلماء المغاربة لصحيح الإمام البخاري، ولا ينبغي أن نغفل عناية عامتهم بالصحيح في عوائدهم وأفراحهم وحروبهم، وأحباسهم (أوقافهم) التي كانت توضع على هذا الكتاب المبارك، فمن ذلك -اختصاراً-: أن الملك السعدي أحمد المنصور الذهبي -رحمه الله تعالى- أمر بختم الصحيح قبل خروجه لمعركة وادي المخازن المظفرة التي وقعت سنة 998هـ (24).

وجرت عادة المدارس العتيقة بختمه في رمضان الأبرك، منذ استأنفها الإمام ابن غازي المكناسي في أوائل القرن العاشر، كما نجد بعض العوائل الشريفة تجعله صداقا، كما فعل الشيخ محمد الكتاني لما أمهر الشريفة لالة مليكة بنت محمد المرينية نسخة نفيسة منه(25).

كما أننا نجد أن المولى إسماعيل العلوي أسس جيشا خماسيا سماه « جيش البخاري»، كان تعداده مائة وخمسين ألف مقاتل.ومن رعاية الصحيح السامية أيضا ما نجده من الأوقاف الكثيرة عليه، وعلى شروحه، وحفظه، والعناية به، من ذلك: أن الفقيهة العالمة الدينة السيدة خناثة بنتَ بكارٍ المغافريَّ(ت1159هـ) زوجَ سلطانِ المغرب الأعظم إسماعيل، التي أوقفت أوقافا ذاتَ بال في هذا المنحى، منها: دار اشترتها بباب العمرة بما يقرب من ألف مثقال ذهب مطبوعة وحبستها على طلبة يختمون كل يوم ختمة من القرآن، وعلى من يدرس صحيح أبي عبد الله البخاري وعَيَّنَتْ ناظرا على الدارِ المذكورة (26).

المطلب الثاني: إسهامات المغاربة في خدمة صحيح مسلم النيسابوري

أما صحيح الإمام مسلم فقد أولاه المغاربة عناية منقطعة النظير، حتى شهر عنهم تقديمه على صحيح البخاري، لحسن سياقه، وبديع ترتيبه، واختصاصه بالأحاديث الصحيحة، مع جمع طرقها، وسردها في مكان واحد، وَلَـمِّ شَعَثِهَا وتشعبها، والمحافظة على أداء الألفاظ كما هي من غير

---

19 - ترتيب المدارك للقاضي عياض (8/ 160).

20 - له ترجمة مقتضبة في «الصلة لابن بشكوال» 1/ 226 (517)، وذكر أنه كان من أهل العلم قديم الاعتناء به، ثقة صدوقا، وقد وهم الدكتور الفاضل محمد بن زين العابدين رستم في دراسته الماتعة «الجامع الصحيح وعناية الأمة به» (ص:644) فجعل تاريخ وفاته هو نفس تاريخ ولادته (364هـ)، ولعله تصحيف غير مقصود. لينظر: «الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر» (2/ 710).

21 - لينظر بعضها في: «شرح ابن بطال (1/ 32)، و«توضيح ابن الملقن» (2/ 512)، (2/ 520)، (2/ 566)، و«فتح الباري لابن حجر» (1/ 58)، (1/ 83)، و«عمدة القاري للعيني» (1/ 144)، (1/ 198)، وغيرها.

22 - لينظر في الكلام على أهمية هذا الشرح: شذى الروائح، وهو المقدمة التحقيقية للدكتور عبد الفتاح الزنيفي لكتاب «الفجر الساطع» (ص:265)، والكتاب مطبوع عن دار الرشد -ولله الحمد- في سبعة عشر مجلدا مع المقدمة الحافلة المشار إليها آنفا.

23 - الفجر الساطع على الصحيح الجامع(3/1). ولينظر في ترجمته: إتحاف أعلام الناس لابن زيدان (602/5)، و«فهرس الفهارس» للكتاني (2/ 929)، وفيه قال:» وهو في أربع مجلدات أنا متفرد الآن في الدنيا بروايته عن مؤلفه «، و«إتحاف المطالع» لعبد السلام بن سودة(1/ 349).

24 - مدرسة الإمام البخاري في المغرب (542/2)، وفيه باب كامل عن أثر مدرسة الإمام البخاري على عامة المغاربة.

25 - نفسه (546/2).

26 - «إتحاف أعلام الناس » لابن زيدان المكناسي (3/ 25).

تقطيع، ولا رواية بمعنى، كل ذلك وغيره مُؤْذِنٌ بقمة الورع والاحتياط والتحري في الرواية، والنهاية في الأمانة والنقل(27).

قال عمر الجيدي -رحمه الله- :«لقد تجمعت لدينا قائمة من هذه الأعمال تصل إلى ثلاث وخمسين عملا توضيحها كالآتي: واحد وعشرون شرحا، وخمسة مختصرات، وحاشيتان، وختمتان، وتهذيب لأحاديثه، وخمسة أعمال اهتمت بتوضيح غريب ألفاظه، وأربعة عشر عملا اهتمت بالتنظير والمقارنة، وثلاثة اهتمت برجاله»(28).

واختصارا للكلام، وإيثارا لصحيح البخاري لكونه أربط عُلْقَةً بمقالي، فإنني سأورد بعض عناية المغاربة بصحيح الإمام مسلم إجمالا تباعا دون تفصيل.

ففي الرواية، تفرد المغاربة بأشهر روايات صحيح مسلم، وهي رواية أبي محمد أحمد بن علي القلانسي(29).

وفي فن المصطلح الحديثي كشف المغاربة عن القواعد المصطلحية للإمام مسلم من خلال شروحهم لمقدمة الصحيح، كشرح مقدمة صحيح مسلم لأبي عبد الله ابن المواق (ت:646هـ)(30)، والإيجاز والبيان لشرح خطبة كتاب مسلم للشهيد لابن الحاج التجيبي(31).

واختصروه وانتخبوا دُرره،ومن ذلك: مختصر صحيح مسلم لأبي عبد الله ابن أبي الفضل المرسي (ت: 655 هـ)(32).

وكشفوا النقاب عن رجاله ورواته جرحا وتعديلا، ككتاب: رجال مسلم لأبي العباس ابن شيرين الأنصاري (ت: 532 هـ)(33).

أما اهتبالهم به دراية فهو أشهر من أن يذكر، ويكفي أن نمثل ببعض الدواوين والأسفار التي وضعت في شرح غريبه، والتنبيه على نكت من إعرابه، وعلى وجوه الاستدلال بأحاديثه، وبيان فقهه ومسائله وفاقا أو خلافا أوتوجيها أو تعليلا، والتعليق على آثاره، وتجلية إعتامه، وغير ذلك، ومنها:المعلم بفؤاد مسلم للمازري رأس المالكية في عصره، (ت:536هـ)، وإكمال المعلم بفوائد مسلم للقاضي عياض (ت:544هـ)، والمفهمُ لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم لأبي العباس القرطبي(656هـ).والشروح في هذا الصدد كثيرة تُنْبِئُ عن حرص رابٍ في خدمة السنة النبوية المطهرة من خلال استخراج كنوز صحيح مسلم، واجتناء ثماره، إسوة بإخوانهم في مشرق الأرض.

المبحث الثاني: مدرسة المشككين في السنة، وجهود العلامة محمد بن الحسن الحجوي في الرد عليها

المطلب الأول: تأثر المدرسة التشكيكية المُحْدَثة بالمستشرقين في إثارة الشبه حول السنة

أول ما ينبغي الإفصاح عنه بادي الرأي، أن المدرسة التي وسمْتُها بـ» المتعاقلة»؛ لكونها تتكلف -زاعمة- التزام قواعد الفكر العقلي والمنطقي وهي ليست منه في ورد ولا صدر، هذه المدرسة إنما تقطعت بهم الأسباب أيادي سبأ في الضلالات، وسلكوا من الباطل في متاهات، لتأثرهم المقذع، وذوبانهم المقيت في الفكر الاستشراقي، وما يزعمونه اجتهادات في فهم النصوص الشرعية قرآنا وسنة ما هو على الحقيقة إلا آراء غير خميرة لجماعة من المستشرقين المنصرين المغرضين، الذين أفكوا لعبة شيطانية ماكرة أرادوا من جرائها حياكة دسيسة لنقض الإسلام من جذوره، وطفقوا يقذفونها في كل صوب، فتلقفها عنهم زمرة من المنتسبين للإسلام سحنةً ولغةً، وهم أمرُّ وأشرُّ عليه من أولئك الألداء، طبعا لابد أن يلبسوا ذلك بلبوس حسن، ومظهر أنيق مستساغ، مع إضافات وزيادات تظهر حريتهم الموهومة، وتلوينات تصبغ على مدعاهم صبغة الحيادية والموضوعية الملغومة.

والذي غاب عن أولئك المتنورين المتعاقلين!!، الذين هم أشبه بالمستشرقين من غُرَاب البَيْنِ بشبيهه، هو أن المستشرقين ينزعون في تخرصاتهم إلى اعتبار النص القرآني والنبوي ظاهرة تاريخانية تخضع لموازين النقد، والمحص، والهدم، وإعادة البناء لا تفارق في ذلك أيَّ نص بشري ناقص،تلوح عليه مخايل العجز، والوهاء اقتفاءً بالمدرسة التفكيكية المعروفة.

وإنما يفارقونهم في أن المستشرقين يخلصون العداء، ويعملون وكدهم فيما يرمون إليه، مع ما عند بعضهم من الأيادي البيضاء في خدمة التراث الإسلامي: نشرا، وتحقيقا، وترجمة.

27- ينبغي أن يشار هاهنا أن تفضيل صحيح مسلم على غيره خاصة صحيح البخاري ليس على إطلاقه عند المغاربة، لا من حيث موضوع التفضيل، ولا من حيث الاتفاق على تفضيله، فكثير منهم إنما يقدمون سنن أبي داود؛ لارتباطها الوثيق بالفقه، وآخرون يقدمون صحيح البخاري كما عند أهل الشرق. لينظر: برنامج التجيبي(ص93)، و«شرح التبصرة والتذكرة ألفية العراقي» للعراقي(1/ 113).

28- لينظر: مقال:الشروح المغربية على صحيح مسلم» للدكتور عمر الجيدي (دعوة الحق العدد 271).

29 - انظر: صيانة صحيح مسلم لابن الصلاح(ص:111).

30- انظر:الأعلام للمراكشي (161/3)، والذيل والتكملة (273/8).

31- كان من جلّة العلماء وكبارهم، وقد قتل ظلما بالمسجد الجامع، وهو ساجد في صلاة الجمعة سنة 529 هـ انظر: فهرس ابن خير (ص:296)، الصلة لابن بشكوال (ص: 550).

32- معجم الأدباء لياقوت الحموي (209/18)، معجم المؤلفين لرضا كحالة (10/ 245).

33- انظر: الغنية للقاضي عياض (ص:185).

أما المدرسة المتعاقلة!! فهم عالة عليهم، مع تشدق وغثاثة، وحسد يعمي البصيرة، ويرفع بالتشنيع العقيرة، وفجور في الخصومة، ودعاوى عريضة، وعلائم ما ذكرت كثيرة منها:

أ – أنه لما تصدر المستشرق اليهودي جولدتسيهر دعوى تزعم عدم تدوين السنة النبوية إلا بعد سنين متطاولة، وأن الزُّهْرِي أول من جمع الحديث مطلقا، وعليه فهي نصوص مشكوك فيها، ولا يجوز إلزام الناس بمضمونها، في المقابل وجدنا من المتغربين من يزعم أن ألوف الأحاديث النبوية هي صنيعة الفقهاء بعد العصور الأولى(34).

ولما ادعى المستشرق اليهودي المغرض جوزيف شاخت اختلاق الأسانيد من طرف الفقهاء وأهل الفرق الكلامية ليدعموا مذاهبهم بها، ومثل لمزعومه بالإمام الشافعي الذي ابتدع أصل حجية السنة، وزعم أيضا أن أقدم الأحاديث ثبوتا لا يرقى إلى ما قبل سَنَةِ 150هـ(35).

وجدنا من المنهزمين المتنورين من يزعم أنَّ العقل العربي أخذ تصوراته عن الإنسان والكون والمجتمع من عصر التدوين الذي بدأ عام 143 هـ يعني بعد وفاة الإمام الزهري، واستنتج من ذلك أنه لا بد أن يقوم المدونون الأوائل بالحذف والتقديم والتأخير في المرويات مما يعد إعادة تشكيل الموروث الثقافي (36).

ب- وعندما زعم المستشرقون أن الحديث النبوي هو خليط من عقائد وأفكار يهودية ونصرانية صاغها النبي محمد عليه السلام بأسلوب عربي،وفي ذلك يقول جولدتسيهر :» إن تبشير النبي العربي ليس إلا مزيجا منتخبا من معارف وآراء دينية، عرفها واستقاها بسبب اتصاله بالعناصر اليهودية والمسيحية وغيرها، والتي تأثر بها تأثرا عميقا، والتي رآها جديرة بأن توقظ عاطفة دينية حقيقية عند بني وطنه، وهذه التعاليم التي أخذها من تلك العناصر الأجنبية كانت في رأيه كذلك ضرورية لتثبيت ضرب من الحياة في الاتجاه الذي تريده الإرادة الإلهية»(37)، بل وصلت بالمستشرق فيليب حتى العماية مبلغها فزعم أن الإسلام برمته بدعة نصرانية(38).

في نفس المنعرج نجد محمودا أبا رية يحث على قراءة كتب المستشرقين أمثال (جولد تسيهر، وفون كريمر) للاستزادة من معرفة الإسرائيليات والمسيحيات وغيرها في الدين الإسلامي، بل وضع فصلا كاملا بعنوان «المسيحيات في الحديث» اتَّهم فيه تميما بنَ أوس الداري رضي الله عنه بأنه أول من تولى كبر هذه المسيحيات؛ لأنه -بزعمه- كان من نصارى اليمن(39).

وهكذا سعى المستشرقون وأذيالهم إلى التشكيك في كل يقينيات الأمة، والطعن في رموزها، وبث الوهن والارتباك في مسلماتها التاريخية مستمسكين بالنزوع العلماني، والمسلمات المادية، والرؤية الوضعية، والانحسار على المنظور، واعتقاد القدرة على إخضاع كل ظاهرة تاريخية أو بشرية لمقولات التحليل العقلي الخالص، حتى ولو كانت غيبية تند عن التعليل والتحليل(40). «فالشعر الجاهلي عندهم: غموض وانتحال، وتفسير القرآن: مشحون بالإسرائيليات، والحديث النبوي: مليء بالوضع والضعف، والنحو: تعقيد وتأويلات، والتاريخ: صنع للحكام والملوك، ولم يرصد نبض الشعوب وأشواقها»(41).

ج –ولما زعم المستشرقون أن حفاظ الحديث لم ينقدوا متون الحديث مما أدى إلى إقحام في السُنَّة ما ليس منها، أي: أنهم أولوا عنايتهم للنقد الخارجي (الأسانيد)، وأهملوا النقد الذاتي الداخلي كما يقول ذلك المستشرق غَاسْتُونْ وَيَتْ(42)، ومثله الإيطالي كايتاني القائل:

---

34 - لينظر في رد هذه الفرية : دفاع عن السنة للدكتور محمد أبو شهبة (ص:22)، وكتاب السنة المفترى عليها له أيضا(ص46).

35 - أصول الشريعة المحمدية (The Origins Of Muhammadan Jurisprudence) (ص:40-45)، ولينظر: المستشرق شاخت والسنة النبوية، لمحمد مصطفى الأعظمي (61/1) فما بعدها، ضمن منهاج المستشرقين في الدراسات العربية والإسلامية. والجدير بالإشارة أن شاخت ترجم كتاب الأنوار المحمدية لمحمود أبي رية، وأنه مستشرق مؤثر بشكل بالغ في الدراسات الغربية والشرقية، بل إنهم لا يقبلون نقده أو تصحيح هفواته، في نفس الوقت الذي يصفُ فيه علماءَ المسلمين كافة في القرون الأُوَلِ بأنهم ملفقون كذبةٌ غير أمناء.

36 - لينظر في هذه المزاعم كتاب « تكوين العقل العربي» لمحمد عابد الجابري (ص 64).

37 - العقيدة والشريعة لجولدتسيهر (ص:5) بواسطة موقف المدرسة العقلية من السنة النبوية للأمين الصادق الأمين (483/1). ولينظر: افتراءات المستشرق كارل بروكلمان على السيرة النبوية، ص22-23.

38 - تاريخ العرب لفيليب حتى (176/1) بواسطة موقف المدرسة العقلية من السنة النبوية للأمين الصادق الأمين (483/1).

39 - انظر: أضواء على السنة المحمدية لمحمود أبو رية (ص:154-155). وللرد على هذا الادعاء ينظر: الأنوار الكاشفة لما في كتاب «أضواء على السنة» (ص:119).

40 - مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية لعماد الدين خليل (174/1) (بتصرف)، بواسطة موقف المدرسة العقلية من السنة النبوية للأمين الصادق الأمين (465/1).

41 - «الموجز في مراجع التراجم والبلدان والمصنفات وتعريفات العلوم» لمحمود الطناحي (ص:8).

42 - في كتابه «Histoire Générale Des Religions (Islam) P.366» كما في «السنة قبل التدوين» للشيخ عجاج الخطيب(1/ 254). وللاطلاع على أقوال أخرى للمستشرقين والرد عليها في كتاب: «جهود المحدثين في نقد متن الحديث» لمحمد طاهر الجوابي (ص 450).

«كل قصد المحدثين ينحصر في وادٍ جدْبٍ ممحِلٍ، من سرد الأشخاص الذين نقلوا المروي - النقد الخارجي - ولا يشغل أحد نفسه بنقد العبارة والمتن نفسه» (43).

مشايعةً لهم وجدنا من المسلمين(44) من قلدهم في هذه الدعوى فزعم المحدثين عنوا عناية تامة بالنقد الخارجي، ولم يعنوا هذه العناية بالنقد الداخلي ... فلم يعرضوا لمتن الحديث هل ينطبق على الواقع أو لا؟ (45)، وادعى أيضا أن كثيرا ما نسب إلى النبي - صلى الله عليه وسلم أحاديثُ -وقد تكون في صحيح البخاري- أثبتت الحوادث التاريخية الثابتة أنها غير صحيحة، ومثل لذلك بحديث: «لا يبقى على ظهر الأرض بعد مائة سنة نفس منفوسة»(46).

ومن سوء طلعته أن هذا الحديث من أروع المُثُلِ على نقْدِ العلماءِ لمتنِ الحديثِ، فقد قال ابن عمر رضي الله عنه بعد روايته له:»فوهل الناس في مقالة رسول الله صلى الله عليه وسلم، إلى ما يتحدثون من هذه الأحاديث، عن مائة سنة، وإنما قال النبي صلى الله عليه وسلم: لا يبقى ممن هو اليوم على ظهر الأرض. يريد بذلك أنها تخرم ذلك القرن».

ولذلك أكد شراح الحديث بعد جمعهم لطرق هذا الخبر أن المقصود به: أن المدة المذكورة تخترم الجيل الذي هم فيه، فوعظهم بقصر أعمارهم، وأعلمهم أنها ليست تطول أعمارهم كأعمار من تقدم من الأمم ليجتهدوا في العبادة (47).

فأنت ترى أن هذا الحديث الذي هو من دلائل النبوة ومن معجزات الرسول - صلى الله عليه وسلم -، والمتناسق بهاءً مع العقل المتزن المتَّئِدِ ينقلب عند المتعاقلين كذبا وافتراء!!(48).

د – ولما يئس المستشرقون من غياثٍ ينتهزونه للتشكيك في ثبوت السنة، والتوهين من صحتها، صدَّقوا مَرامي ظنونهم الكاذبة فادعوا أنَّ السُنَّة المطهرة لا تستقل بتشريع الأحكام، وإنما هي مذكرة تفسيرية كما في القوانين الوضعية.

واستنتجوا -بأفهامهم المشهورة بالقحة، والمذكورة بالسلاطة، والمعتادة للبَهْتِ- أن كلَّ خبرٍ نبويٍ يجبُ عرضه على القرآن الكريم فإنْ وافقه قبل، وإن خالفه أُبْطِلَ؛ بل أمعنوا في التطرف فحنطوا السنة، واعتبروا كل حكم تشريعي كانت السنة هي الدليل عليه مخالفاً للقرآن، وما يخالف القرآن يكون باطلاً.

قارنْ -أخي القارئ الكريم- بين هذه الدعاوى وبين هذه الشغيبة الباردة، الركيكة الموهة من محمد شحرور في قوله:»إن المشكلة تأتي مرة أخرى من زعم الفقهاء أنَّ حلال محمَّد (ص)حلالٌ إلى يوم القيامة، وحرام محمَّد (ص) حرام إلى يوم القيامة، وتأتي من اعتبارهم أنَّ القرارات النَّبويَّة التنظيمية لها قوة التنزيل الحكيم الشامل المطلق الباقي، ناسينَ أنَّ التحريم والتحليل محصور بالله وحده،وأنَّ التقييد الأبدي للحلال المطلق يدخل حتما في باب تحريم الحلال، وهذه صلاحية لم يمنحها تعالى لأحد بما فيهم الرسل»(49).

قل لي بربك فهل أضاف شحرور على قالة المستشرقين شيئا؟!!، اللهم لا، إلا فجاجة في اللفظ، وجهامة في الأسلوب، وقلة أدب في التناول، وليته أرجع هذا الاكتشاف المزعوم إلى أصحابه إذن لبَاءَ بسوءةٍ واحدةٍ بدل سوءتينِ، لكنه أبى إلا حشفا وسوء كيلٍ!!.

وهكذا دواليك تتوالى ظلمات الترديد في الشبه التي أوردها المستشرقون وتحمل غصصها وحرجها عنهم المتعاقلون، كالادعاء أن الصحابة والتابعين رووا معاني الأحاديث، وأنهم تصرفوا في ألفاظها؛ ولهذا اختلفت الروايات عنهم في الحديث الواحد.

وكالادعاء بعدم الاعتداد بعلم الجرح والتعديل؛ لأنه علم متناقض، يحكي عن رواة الأخبار آراءً متضاربةً؛ ولذلك سلقوا أئمة الجرح والتعديل بألسنة حدادٍ، مع أن الواقع أن أهل الحديث كانوا مضرب المثل في النزاهة والصدق وعدم محاباة أحد في دين الله تعالى. قال الحافظ البيهقي: «ومن أنعم النظر في اجتهاد أهل الحفظ في معرفة أحوال الرواة وما يُقبل من الأخبار وما يُرد علم أنهم لم يألوا جهدًا في ذلك حتى إذا كان الابن يقدح في أبيه إذا عثر منه على ما يوجب رد خبره، والأب في ولده، والأخ في أخيه، لا تأخذه في الله لومة لائم، ولا تمنعه في ذلك شُجْنَةُ رحِمٍ ولا صلةُ مالٍ. والحكايات عنهم في ذلك كثيرة»(50).

43 - لينظر كتابه: « دائرة المعارف الإسلامية » مادة أصول آخر الفقرة / 15.

44 - كأحمد أمين في كتابه «فجر الإسلام «:(ص: -217 218).

45 - « ضحى الإسلام « لأحمد أمين: (130/2).

46 - رواه البخاري في صحيحه: كتاب الصلاة باب السمر في الفقه والخير بعد العشاء رقم [564، 601]، وهو أيضا عند مسلم رقم 2537.

47 - لينظر مثلا: «شرح صحيح البخارى» لابن بطال (1/ 192)، «كشف المشكل من حديث الصحيحين» لابن الجوزي(2/ 473)، «الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري» للكرماني(2/ 131).

48 - «السنة قبل التدوين» لمصطفى السباعي(1/ 257).

49 - نحو أصول جديدة للفقه الإسلامي لمحمد شحرور (ص:153)، ولينظر: « أضواء على السنة المحمدية «لمحمود أبو رية. وقارنه أيضا بمقال الدكتور توفيق صدقي المعنون له بـ:» الإسلام هو القرآن وحده»، المنشور في مجلة المنار العدد 9.

50 - «دلائل النبوة للبيهقي» (1/ 47).

من تلك الأمثلة الرائعة التي أشار إليها الإمام البيهقي، ما أثر عن الإمام ابن المديني لما سئل عن أبيه عبد الله بن جعفر بن نجيح المديني:« هذا هو الدين، أبي ضعيفٌ»(51).

أما تحريفات المستشرقين وتهويلاتهم وخيانتهم للمنهج العلمي فلا يمكن حصرها،فقد زعم جولد تسيهر أن الإمام الزُهري (تـ:124 هـ) كان يضع الحديث تزلفا لعبد الملك بن مروان، وحجته القاطعة أنه كان معاصراً لعبد لابن مروان!!(52)، ومنها زعم كارل بروكلمان أن العرب الفاتحين كانوا يتنقصون الأعاجم؛ لأنهم يعدونهم من الرعية!!(53).

وعموما فإن أخلاط المنهج الاستشراقي كثيرة، يمكن حصر معالمها في: تخيل العلل والأسباب في فهم كتب الإسلام، والانتقائية في اختيار المصادر، وتطبيق الشك الديكارتي بشكل عبثي؛ لأنهم لا يراعون اختلاف بيئتهم عن الوسط الإسلامي، وإهمال الأدلة المعارضة لمزاعمهم، والاصطياد في المياه التي عكروها بالبحث عن غريب الأخبار ووحشي الآثار، ثم إقحام ذواتهم في تفسير النصوص مع ادعاء الحياد، والاستسهال في تعميم بعض الأخطاء الفردية(54).وهذه المثالب - على عُجَرِها وَبُجَرِها- ورثتها عنهم صاغرا عن صاغرٍ المدرسةُ المتعاقلةُ!!.

والعصارة المستخلصة من هذا المحور هو أن المتعاقلين المنهزمين هم مع المستشرقين رضيعا لبانٍ، وشريكا عنانٍ، يكرعون من معينٍ آجنٍ، ويرمون عن قوسٍ واحدةٍ، ويتحاكمون إلى التشكيك بأفهام معتلةٍ واستنباطات مختلةٍ، ومرماهم الطعنُ في السنة المشرفةِ، والإلباس على المسلمين في أصول دينهم.

ولكن هيهات هيهات فقد عاش لها الجهابذة ذابّين عن الملّة الحنيفية، ونهض لها خلّصُ المحدثين؛ فإذا شبه المستشرقين -على الحقيقة- وميض برق خلبٍ؛ فلما قرّت الأمور قرارها، وعطفت الفروع على أصولها ألفيته مُطِّرحةً، خاملة الذكر؛ لأن حملة الشريعة وأمناء الأمة نقدوا بهرج أقوالهم، وأرجعوا شؤم سعي المستشرقين وأذيالهم عليهم، وكشفوا أغلاطهم، نقلا وعقلا؛ ومن أولئك الأعلام المتأخرين العلامة الفقيه محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي -رحمه الله تعالى-.

المطلب الثاني: بيان أوجه رد العلامة محمد بن الحسن الحجوي على الطاعنين في السنة المطهرة:

هذا المطلب هو جذر المقالة، ومحتدها لا جرم أشبعتُ الكلام فيه؛ ولهذا قسمتُهُ فروعا، وقبل بيان وجوه رد الشيخ محمد بن الحسن الحجوي على الشانئين للسنة المشرفة، أُورِدُ ترجمة مقتضبة تعرف به، وتنوه بذكره، وهي:

الفرع الأول: ترجمة العلامة الحجوي الثعالبي(55)

هو الإمام الفقيه المفسر المتفنّن المفكر الألمعي المحدث الشهير، العلامة النحرير، السيد أبو عبد الله، محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي الجعفري، نسبة إلى جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، ولد سنة: 1291هـ (1874م)، تلقى مبادئ العلوم عن والده(56)، الذي كان فقيها، مشهودا له بالاطلاع على علوم الشريعة والاقتصاد والسياسة وغيرها.

وبعد حفظ القرآن الكريم في سن السابعة بدأ في أخذ العلوم الشرعية المتنوعة من رسم، وتجويد، وعلوم عربية، وفقه مالكي، وغيرها

---

51 - «المجروحين» لابن حبان (1/ 507). ويقول شعبة الحجاج: ولو حابيت أحداً حابيت هشام بن حسان كان ختني. ولكن لم يكن يحفظ، «الكامل في ضعفاء الرجال» (8/ 416).

52 - لينظر في دفع هذا الافتراء: «الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم» (ص:70)، «السنة ومكانتها في التشريع » (ص:29)، كلاهما للشيخ مصطفى السباعي الذي ناقش في هولندا «شاخت» وجها لوجه فيما دعاوى جولدتسيهر فلم يحرْ جوابا، و«السنة قبل التدوين» لعجاج الخطيب(1/ 504)، «المستشرقون والتراث» لعبد العظيم ديب(ص:28).

53 - لينظر في دفع هذا الطيش: «الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم» للسباعي(ص:59).

54 - وتمام هذه العيوب ونقضها في: «الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم» للسباعي(ص:62).

55 - ترجمته في: كتابيه «الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي» (2/ 375)، مختصر العروة الوثقى في مشيخة أهل العلم والتقى، وهي فهرسة متقنة ضمنها نسبه وشيوخه وأسانيده في العلم، وبالأخص كتب السنة كالصحيحين، وختمها بذكر مؤلفاته التي أوصلها إلى تسعة وتسعين مؤلفا.
ولينظر كذلك: إتحاف المطالع لابن سودة: (560/2)، تراجم ستة من فقهاء العالم الإسلامي لعبد الفتاح أبي غدة: (ص:137).

56 - هو العلامة الفقيه الحسن بن العربي الحجوي الثعالبي (تـ1328هـ)، قال عنه وَلَدُهُ المُتَرجِم:» وهو أكثرهم علَّي منةً»، وقال أيضا:« والدي وعمدتي، وأول شيخ أخذت عنه أول مسألة فقهية، وغذاني بمعارفه، وأسبغ علي برد مطارفه، كما أخذت عنه السير والتاريخ كثيرا وغيرها، وبأدبه تأدبت، وتحت شعاع نوره أدلجت». لينظر: مختصر العروة (ص:28)، «الفكر السامي» (2/ 375).

في جامع القرويين بفاس، وممن أخذ عنهم العلم(57):أبو المودة خليل الحشمي (ت:1326هـ)، وأبو عبد الله محمد ماني الصنهاجي (ت1333هـ)، ومحمد بن التهامي الوزاني (ت1311هـ)، وجعفر بن إدريس الكتاني (ت1323هـ)، ومحمد بن محمد كنون (ت1326هـ)، وعبد السلام بن محمد الهواري (ت1328هـ)، ومحمد بن قاسم القادري (ت1331هـ)، وأحمد بن محمد بن الخياط (ت1343هـ)، وغيرهم قرابة خمسةٍ وأربعين شيخا.

وأما عقيدته ومذهبه فقد صرح بأنه: سني سلفي؛ يعتقد عن دليل قرآني، برهاني ما كان عليه النبي -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه الراشدون، مالكي المذهب ما قام دليل(58).

مؤلفاته: له كتب كثيرة في الفقه، والتاريخ، والنوازل، والفهارس، وغيرها، وأبرزها:

الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، وهو أجودها وأوسعها، والتعاضد المتين بين العقل والدين، والدفاع عن الصحيحين دفاع عن الإسلام، وبرهان الحق في الفرق بين الخالق والخلق، والأحكام الشرعية في الأوراق المالية، والرحلة الأوربية، وأجوبة فقهية مختلفة حول مواضيع متعددة.

أثنى عليه كبار العلماء، اكتفي بكلام العلامة الطاهر بن عاشور فيه:« ومن أبهر الكواكب التي أسفر عنها أفقنا الغربي في العصر الحاضر، وكان مصداق قول المثل: «كم ترك الأول للآخر» الأستاذ الجليل والعلامة النبيل، وصاحب الرأي الأصيل، الشيخ محمد الحجوي، المستشار الوزيري للعلوم الإسلامية بالدولة المغربية، فلقد مدَّ للعلم بيض الأيادي بتآليفه التي سار ذكرها في كل نادٍ، عالم روي من منابع الشريعة المختلفة المذاق بزلالٍ تنزه عن التكدر والامتذاق، حتى صار رأيه من فكره درًّا معينًا، ثم تبرزه الأقلام من أناملة درًّا ثمينًا، فلله درُّه»(59).

توفي -رحمه الله تعالى- سنة 1376هـ بمدينة الرباط عن 85 سنة.

الفرع الثاني: كلمة مقتضبة عن كتاب: «الدفاع عن الصحيحين دفاعٌ عن الإسلام» للحجوي الثعالبي

هو كتاب ألفه -كما يوضحه عنوانه- في الدفاع عن الصحيحين، وبالأخص صحيح البخاري، راداً به على خصوم السنة النبوية المطهرة؛ وسبب ذلك أن الشيخ الحجوي كان يحضر مجالس السلطان المولى محمد الخامس مع جمع من العلماء، منهم شيخه العلامة بوشعيب الدكالي، ومحمد المدني بن الحسني، وغيرهم(60)،ومن الوزراء ورجال السياسة، فذُكِرَ حديث في الصحيحين فقال بعضهم(61): إنه حديث مكذوب، وإن الملاحدة قد وضعوه، وأهل الأهواء والبدع صنعوه، قالها مجاهرة مشافها به أمام أمير المؤمنين، والحاضرين.

فانتدب للرد عليه العلماء، مصرحين بعبارة :»اللهم هذا منكر»، ثم بدا للشيخ الحجوي أن يؤلف لإبطال شبه هذا الدَّعِيِّ مؤلفا يجتثُّ مزاعمه من جذورها، فقال -رحمه الله-:» فليس لنا أن نسكت حين نسمع في مجلس مولانا أيده الله أن الحديث في صحيحي البخاري ومسلم، يقال فيه مكذوب»(62).

ثم نادى الشيخ الحجوي مدويا :» فيا أهل العلم الصحيح، هذا ما حملني على كتبِ هذه الأوراق، والله يعلم أن ليس القصد منها إلا سد هذه الذريعة على المسلمين، فإنها تثير فتنة على الأمة في دينها، وتضعف كفتها في ملتها ولا حول ولا قوة إلا بالله»(63).أما عن تاريخ تأليفه فهو: رمضان المعظم سنة 1362هـ.

57 - ذكرهم في مختصر العروة الوثقى (ص:21) فما بعدها.

58 - «الفكر السامي » (1/ 10).

59 - «نفسه» (1/ 28) باختصار ضمن تقاريظ العلماء للكتاب.

60 - المجالس العلمية السلطانية على عهد الدولة العلوية الشريفة لآسية الهاشمي البلغيثي (115/2).

61- لم أتبين من هو هذا الرجل المتكلم الذي يسميه الحجوي بـ»الشيخ «، وإن كنت استظهر -على وجلٍ- كونه الشيخ محمد بن العربي العلوي، وهو مع سلفيته الإصلاحية كان -رحمه الله تعالى- متجاسرا على رد كثير من أحاديث الصحيحين منها حديث «لطمِ موسى عليه السلام لِمَلَك الموت»، وهو أيضا من جلاس الملك محمد الخامس، بل رئيس مجلس الحديث في رمضان أمام السلطان، ومن أقران الشيخ الحجوي.

ولينظر:مشيخة الإلغيين من الحضريين أو تراجم أساتذي الحضريين للعلامة محمد المختار السوسي (ص:210)، وعنه الكتاب الماتع «المعارضات الفكرية المعاصرة لأحاديث الصحيحين» لصديقنا وصفينا محمد فريد زريوح(1/ 361) وقد استفدت منه كثيرا.

62 - الدفاع عن الصحيحين (ص:122).

63 - نفسه (ص:129).

طبعته: قام على تحقيقه الأستاذ محمد بن عزوز الذي له عناية خاصة(64) بكتب العلامة الحجوي، وطبع في مركز التراث الثقافي المغربي، الدار البيضاء، وفي دار ابن حزم بيروت 1424 هـ .

ومن جميل صنع المحقق -جزاه الله خيرا- أنه حقق معه كتابا آخر في الدفاع عن السنة النبوية لعالم مغربي من أوِدَّاءِ الشيخ الحجوي(65)، وهو العلامة المسند قاضي زرهون محمد بن أحمد العلوي الإسماعيلي (ت1367هـ)(66)، وكتابه هو: توضيح طرق الرشاد لحسم مادة الإلحاد في حديث صك الرسول المكلم موسى عليه السلام للملك المكرّم الموكّل بقبض أرواح العباد، وهو -كما ترى- خاص بحديث موسى مع الملك عليهما السلام.

ورد الشيخ الحجوي وإن كان خَصِيصًا ببعض حاضري مجلس السلطان إلا أنه عارض في ثناياه الشيخَ محمداً عبده المصريَّ، وبيَّنَ هفواته مع الاعتراف له بالعلم، أما الأحاديث التي أجاب عنها يظهر فيها من إشكال فهي سبعة أحاديث:حديث سحر لبيد بن الأعصم اليهودي لرسول الله عليه الصلاة والسلام، وهو الذي توسع في الكلام عنه والجواب عن الاعتراضات الواردة عليه، ثم حديث سم اليهودية للرسول عليه الصلام والسلام، ثم حديث مسلم :»لا يزال هذا الدين عزيزا إلى اثني عشر خليفة كلهم من قريش»، ثم حديث :» والله لا تجتمع بنت نبي الله وبنت عدو الله «، ثم حديث ملك الموت الذي أتى ليقبض روح موسى عليه السلام فصكه، ثم حديث نزول عيسى حكما عدلا آخر الزمان، وأخيرا حديث الشفاعة.

الفرع الثالث: وجوه الدفاع عن الصحيحين من جهة الرواية:

يأتي هذا الكتاب المبارك في خضم دفاعات أهل العلم عن السنة في زمنٍ فتن فيه كثير من المسلمين بتقدم الغرب، وريادته للبشرية، وتفننه في مباهج العيش، ومناهج الحياة، فتاقت أنفسهم للحوق بركابه؛ وانبهر كثيرون فحرصوا على أن يطوعوا الشرع الحنيف قرآنا وسنةً لهذا الهيجان الغربي، سواء أكان ذلك بإنكار السنة النبوية ما وسعهم ذلك، أو على الأقل بالتعسف في تأويلها بتفسيرات متكلفة، ومعاني سمجة، تنبو عن الذوق العربي السليم، وتنقبض عنه قواعد الاستدلال، وقد كانت الوهلات الأولى لذلك في زمن جمال الدين الأفغاني وتلميذه الشيخ محمد عبده، وتلميذه الشيخ رشيد رضا والمتأثرين بهم.

أما الشيخ العلامة الحجوي الثعالبي فقد آوى في دفاعه عن السنة إلى ركن شديد في العلم، واعتصم بعِقْدٍ نضيد في الأدب الجم، فأول شيء ابتدره أن جلَّى منزلة الصحيحين،لوقوع الاتفاق عليهما، وانعقاد الإصفاق على سري موضعهما وسني موقعهما عند الكافة من المسلمين؛ وقد عبر عن ذلك العلامة الحجوي بقوله:» إذا قيل في حديث: إنه مخرج في الصحيحين طأطأ الناس رؤوسهم إجلالا، وانقطع نزاعهم اعترافا بالحق، ولم يبقَ ترددٌ في الصحة، ولم نقف على أحدٍ منهم تجرأ، وقال في حديث الصحيحين: إنه مكذوب(67)، وبيَّن أيضا أن الدفاع عنهما دفاعٌ عن الإسلام، وأن النكوص عن حمايتهما إحجامٌ عن جهاد مشروع، والنكول عن حياطتهما فرارٌ من واجب مفروض.

وفي ذلك يقول: «إذا ساء ظنٌّ المسلمين بالصحابة ورجال البخاري ومسلم وأئمة الدين نَقَلَةِ الشرع المطهر، واتهموهم، وكذَّبوا الكتبَ الصحيحة التي وقع الإجماع على قبولها، وهي الحجة التي بين أيدينا وأيدي المسلمين في عموم الأرض، أو دخلهم التشكيكُ فيها، صارت ديانتنا إلى ما صارت إليه ديانة اليهود والنصارى المطعونِ في كتبهم، وصرنا نطعن ديننا بيدنا، وليس لذلك من فائدة سوى شفاء صدورهم، وصاروا يقولون: نحن وإياكم في الهوى سَوَا»(68).

64- ولو أنه صانه من كثير الأخطاء المطبعية التي أذهبت رونقه، وأظلمت أفقه لكان عملا جليلا، ومن تلك الأخطاء -للمثال لا الحصر-:

الصواب	الخطأ	الصفحة
مهملة	مهمة	113
حسبما	حسما	
الحديث بما	الحديث مما	114
مكتوفا	مكتوبا	
لا عيب فيه	لا عريب فيه	116
أو لا	أوَّلاً	
فما وجه الدخول	فما وجب الدخول	126

65 - وقد نوه بذكره الحجوي في كتابه هذا (ص:126).

66- له ترجمة موسعة في تحقيق الأستاذ محمد بن عزوز للكتاب المذكور (ص:137-164)، و«سلُّ النِّصال للنضال بالأشياخ وأهل الكمال» لتلميذه المؤرخ عبد السلام ابن سودة (ص:130).

67- الدفاع عن الصحيحين (ص: 122).

68- نفسه (ص: 116).

فإن تعلق متعلق بانتقاد ابنِ عمَّار الشَّهيد (تـ: 317 هـ)، وأبي الحسن الدارقطني(تـ: 385 هـ)، وأبي علي الغساني (تـ: 498 هـ) وأضرابهم على البخاري ومسلم، فالجواب:

أن تلك النَّقدات قد أجاب عنها أهل العلم كأبي مسعود الدمشقي، وابن حجر العسقلاني، وغيرهم أجوبةً وافيةً، ثم إن أولئك الأعلام عندهم من التبجيل والتقدير للصحيحين ما ملأ السهل والحزن، ثم إن نقداتهم كانت حديثية صرفة في تقديم راوٍ أو تأخيره، أو تعليل لفظٍ، أو عنعنةِ يسير التدليس، أضف إليه أن عامة الأحاديث المنتقدة عليهما -زيادة على يسرها- هي واردة في المُتابعاتِ والشَّواهد لا في الأصولِ، وأكثر ذلك مردود.

ولكن لم يجرؤ أحد أبدا له مُسْكَةُ عقلٍ أن يدَّعيَ أن في الصحيحين خبراً موضوعا مكذوبا إلا في هذا الزمان!!(69).

الفرع الرابع: وجوه الدفاع عن الصحيحين من جهة الدراية

لا شكَّ أن الطعن والتشكيك في صحيح البخاري إجمالًا ممتنعٌ، وردُّ الصحيح بالكلية ردٌّ للسُّنَّة، وهَدْمُ السنة هَدْمٌ للدين، وردُّها ردٌّ للقرآن، والاستخفاف بالأحاديث التي في صحيح البخاري حرامٌ، والتشكيك في صحيح البخاري يقود إلى التشكيك في البدهيات من أركان الإسلام، وهذا خلاصة ما أقام عليه العلامة الحجوي الثعالبي البينات والبراهين.

ولنستعرض سراعا ضروب العلم، في دفاع العلامة الحجوي عن الصحيحين، وهذه الوجوه وإن كانت معتصرة إلا أنها لبُّ اللب، يضعُ فيها الشيخ الحجوي الهناءَ موضعَ النُقبِ، وأول ذلك:

الأدب الجم، والخلق النبيل في الرد على المبطلين بلا إسفاف ولا طعن ظاهرٍ أو مبطنٍ، فتجده يرد على الشيخ محمد عبده المصري مليما له، ومع ذلك يعترف له بالنباهة ونفع المسلمين، وفي ذلك يقول: «الشَّيخ محمَّد عبدُه رجل أدَبٍ، وليس رجلَ حديثٍ وفقهٍ، وهو رجلُ زَعامةٍ في السِّياسة، نعترفُ بفضلِه على بلادِه ونَفْعِها، فيما سِوى الفَنَّيْن المَذكوريْن. وتآليفه في التوحيد كرسالته فيه، وكتابه في الإسلام والنصرانية، والرد على منتقديه ممتعٌ من أجمل ما يكتبه المحققون»(70)، ولم أجده يذكره إلا باسم الشيخ احتراما وتنويها، وهكذا لما أتى على ذكره في الفكر السامي أثنى عليه ثناءً منقطع النظير(71).

الأمانة العلمية والدقة المنهجية في حكاية أقوال الناس، فتراه يذكره جميع ما استدل به الزاعمون، ثم يرد عليها حرفا حرفا، فإن شك في نسبة الكلام إلى أهله غلب جانب البراءة كما تقتضيه المروءة والاستقامة.

مثال ذلك أنه لم استقوى المنكرون لحديث سحر النبي صلى الله عليه وسلم بكلام الإمام الجصاص الحنفي، بيَّنَ الشيخُ الحجويُّ أنه ما وَجَدَ -بعد إكماله قراءةَ أحكام القرآن- الجصاصَ يلتفت إلى أحاديث الصحيحين بنفي ولا إثبات، كأنه لا رواية له فيهما، بل اعتذر له بأن لو اطلع على الصحيحين ما أنكر حديث السحر، مع أنه وضَّح أن الإمام الجصاص ليس من يرجع إليه في فن الحديث(72).

التُّكأة والاستنادُ إلى أكابر العلماء، والاستظهار بعلمهم في كشف المخبوء، وإبطال البدع؛ ولذلك كان ينقل عن الإمام المازري في المعلم، والقاضي عياض في الإكمال، والداودي في شرح البخاري، والقرطبي، والحافظ ابن حجر في الفتح، والشيخ الديار بكري في تاريخ الخميس وغيرهم،« وكفى بهم حجةً»(73).

وكأني به يقول: لئن كان الشيخ محمد عبده قد أنكر حديث السحر، وتابعه مقلدوه الذين لم يبلغوا شأوَهُ، فقد أثبته وصححه روايةً ودرايةً أئمة أعلام هم أرسخ منه قدما في العلم، والجمعِ بين المعقول والمنقول.

زد على ذلك أن هذه الإنكار الذي يظن أن متأخري زماننا قد سُبِقوا إليه إنما هو معادٌ من القول، ومملولٌ من الكلام لا إبداع فيه لرأي جديد، ولا افتراع لنظر سديد.

الضبط العلمي الدقيق لمصطلحات العلماء، وله في هذه الرسالة النزرة الألفاظ مثلٌ كثيرة، نجتزئ منها بمثالين، واحد في الرواية، والآخر في الدراية.

69- «الدفاع عن الصحيحين »(ص:118). لينظر للمزيد: الأحاديث المنتقدة على الصحيحين لمصطفى باحو(1/ 72)، «هدي الساري» لابن حجر (ص:346) فما بعدها، وعنهما «المعارضات الفكرية المعاصرة لأحاديث الصحيحين» لمحمد زريوح(2/ 662).

70- الدفاع عن الصحيحين (ص:109). ولينظر: «الأعلام للزركلي» (6/ 252).

71- «الفكر السامي » (2/ 232): ومما قال:«صاحب الأيادي البيضاء، وأنفع من أدركنا من علماء الإسلام للإسلام».

72- الدفاع عن الصحيحين (ص:107-108). أما إنكار الإمام الجصاص لحديث السحر فهو مذكور في «أحكام القرآن » (1/ 59) قال:«ومثل هذه الأخبار من وضع الملحدين تلعبا بالحشو الطغام واستجرارا لهم إلى القول بإبطال معجزات الأنبياء عليهم السلام والقدح فيها».

73-الدفاع عن الصحيحين (ص:107).

أما مثال الرواية، فهو أن كثيرا من منكري حديث السحر لما وجدوا فيه ترددا يسيرا في اسم البئر التي وضع فيها السحر(74)، طاروا بها صائحين معلنين: إنه حديث مضطرب، فهو من أجناس الضعيف!!

فأجاب الشيخ الحجوي الثعالبي -بعد أن بيَّنَ أن البئر تسمى بالاسمين معا كما في تاريخ الخميس(75)- بأن هذا لا يقال عنه مضطرب، بل تحرٌّ في الرواية، وإتقانٍ للألفاظ؛ إذ الاضطراب من شرطه عند المحدثين التساوي في القوة، مع عدم إمكانية الجمع، إضافة إلى اتحاد المخرج، إذ لو اختلف المخرج لم يعدَّ اختلافاً بين الرواة كما في حديث الحوض(76).

أما مثال الدراية العقلية: فإنه لما ادعى المنكرون المتعاقلون أن حديث السحر يناقض القرآنَ الكريم، أي قولَهُ تعالى :{وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ}[المائدة: 67]، أظهر الشيخ الحجوي -رحمه الله تعالى- في إبطال ذلك براعةً تصدَعُ التّشكيك، وتسدّ خلل التّدريكِ من خلال الوجوه التالية:

أولا: أن هذا التعارض الموهوم ناشئ عن عدم إنعام النظر، وضعف علوم الآلة؛ ذلك أن الآية ليست على عمومها قطعا فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أوذي وشُجَّ رأسه وكسرت رَباعِيته؛ فلا بد من تقدير مضافٍ يزول به الإجمال، ويتمُّ به البيان، والأصوب تقديره: بالقتل، أي:» والله يعصمك من قتل الناس لك»، فإن قيل: نقدرها « والله يعصمك من أذى الناس لك»، قيل: حتى لو فرضناه صحيحا، فلابد من الاستثناء؛ لأن القرآن نفسه أثبت الأذى في غير ما آية كقوله تعالى:»وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ ودعْ أذاهُمْ}[الأحزاب: 45].

ثانيا: أن لفظ الناس عمومه ظني؛ لتخلفه في كثير من الآيات كقوله تعالى{الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ} [سورة آل عمران: 173]، فلفظ الناس إذن ليس من ألفاظ العموم الصريحة؛ فيكون المعنى: والله يعصمك من بعض الناس فقط، جمعا بينه وبين الحديث الشريف.

ثالثا: لو سلمنا بأن عموم الآية صريحٌ قطعيٌّ؛ فإن قواعد العلم تقضي بتخصيصها بكل حديث صحَّ سنده، فلا وجه للمخالفة بينهما أصلا؛ إذ من شرط طرح الحديث المخالف للقرآن الكريم، أن تكون الآيةُ صريحةً قطعيةً في دلالتها، وألاَّ يمكن الجمع، فإذا أمكن الجمع فلا يحِلُّ لأحدٍ نصب التعارض بينهما(77).

رابعا:أن آية:{وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ} هي في سورة المائدة، وهي من آخر ما نزل من القرآن الكريم باتفاق أئمة التفسير، وقضية سحر النبي عليه الصلاة والسلام كانت قبلها بسنة، وقضية سمه عليه السلام كانت زمن خيبر (7هـ)، وإذا كان ذلك كذلك فلا إيراد أصلا؛ لأن الآية الكريمة وردت بالفعل المضارع (يعصمك) الذي يدل على الحال والاستقبال؛ وبالتالي فالعصمة لنبيه عليه السلام إنما كانت عام حجة الوداع أو بعدها، والسحر والسمُّ كانا قبل ذلك، وعليه فـ« البناءُ الإيهامي المزعومُ قد انهدم من أساسه، وبالله التوفيق»(78).

ثم بعد هذا كله بيَّنَ -وهذا هو الشاهدُ في مثال الدراية- أن دعوى التناقض من أصعبِ شيء، ولا يدعيه إلا قصير الشِّبْرِ في العلم؛ إذ من شرط دعوى التناقضِ الاتفاقُ في الوحدات الثمانِ المعروفة في علم المنطق، وهي: وحدة الطرفين (الموضوعِ والمحمولِ)، والزمان والمكان، والكل والجزء، والقوة والفعل(79)،والاختلاف في بعض هذه يوجب رفع التناقض عن النصين، وإذا كان زمن العصمة ليس هو زمنَ السِّحرِ والسمِّ، لم يعقل التناقض أصلا.

ولابد أن أشير في هذا السياق إلى حسنِ توظيف الشيخ الحجوي -رحمه الله- للقواعد العلمية التي التزمها الأئمة في تقريراتهم، واستنباطاتهم، ودفعهم للاعتراضات، وبيان ذلك من خلال ما يلي:

ردُّهُ المتشابهَ إلى المُحْكَمِ كما هو ديدن العلماء وهجيراهم فيما يعترضهم؛ فسحر النبي صلى الله عليه وسلم لا يحط من منصب النبوة قطعا؛ لأن الأدلة القواطع والبراهين السواطع على عصمة الأنبياء في التبليغ عن ربهم؛ وعليه فيجب تأويل الحديث لا إنكاره بما يتوافق مع النصوص

74- هل هي بِئْرِ ذَرْوَانَ، أو بئر ذى أروان، وهي بئر لبني زريق بالمدينة. « كما في النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير 160/2

75- «تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس» لحسين الديار بكري(2/ 41).

76- قال ابن الصلاح في مقدمة علوم الحديث (ص:269): «المضطرب من الحديث هو الذي تختلف الرواية فيه فيرويه بعضهم على وجه، وبعضهم على وجه آخر مخالف له، وإنما نسميه مضطرباً إذا تساوت الروايتان». ولينظر: النكت على ابن الصلاح لابن حجر(700/2).

77- الدفاع عن الصحيحين (ص:109).

78- نفسه (ص:118).

79- لينظر: شرح إيساغوجي لمحمد شاكر(ص:54)، والمنطق لمحمد رضا المظفر (ص:196).

الاخر؛ فيكون المعنى أن سحره عليه السلام هو أشبه شيء بسائر الأمراض التي تعرض للإنسان.

جَمْعُه-رحمه الله- بين الرواياتِ والطرق المختلفة ليَتَّسقَ كلمُ الخبرِ،وتنتظم حروفه، ووجهه أن حديث السحر ورد بروايات مختلفة، وفي بعضها توضيح لمعنى سحر اليهودي له عليه السلام، وهي: رواية ابن عيينة عند البخاري:» حتى كان يُرَى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن»، وفي أخرى: «يُخيَّل إليه أنه كان يفعل الشيء وما فعله»، وبالتالي فالذي كان يخيل إليه هو إتيان النساء ولا يأتيهم، وهذا -كما ترى- فيه جمعٌ للروايات من مظانها، وتتبع للشواهد من مواقعها(80).

إلزام الخصوم بمثل دعواهم، وضرب لها أمثلة منها: أنه إذا ثبت بالبرهان أن ما وقع له عليه السلام إنما هو تخييلٌ تسلَّطَ على جسده وبصره الشريف، فلا فرق إذن بين هذا وبين قصة موسى عليه السلام في قوله تعالى:{يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى} [طه: 166] فما جاز على موسى جاز على محمد، وجوابهم على موسى هو جوابنا على محمد عليهما الصلاة والسلام(81).

ومنها: أن من طعن في حديث «الإثني عشر خليفة» اتكأ على أنه دليل للإمامية الإثنا عشرية؛ فبيَّنَ الشيخ الحجوي الثعالبي أن الدين بقي عزيزا إلى زمن هشام بن عبد الملك، ثم ظهر الثوار والفتن بعده، فالحديث من دلائل النبوة ومعجزاتها الباهرة، ولو سلمنا جدلا أن الرافضة يتمسكون به، فذلك غير قادح أبدا؛ لأن القرآن الكريم نفسه قد تمسك به كل مبتدعٍ غاوٍ(82).

إبطالُهُ للأقيسَةِ الفاسِدَةِ، وبيانه أنه لما ادعى المتعاقلون أنَّ خبرَ:» صكِّ موسى عليه السلام للملَكِ الذي جاء ليقبض روحَهُ» حديث لا يستسيغُه قرآنٌ ولا عقْلٌ؛ بل كابر بعضهم، وحلف بالطلاقِ بالثلاثِ أنه حديثٌ مكذوبٌ بمحضَرِ جماعةٍ من علماء مكناس(83)؛ لأنهم توهموا أن الملَكَ لابد أن يُطالِبَ بالقصاصِ من موسى عليه السلام.

فأبرز الشيخ الحجوي الثعالبي أن هذا القياسَ فاسدُ الاعتبارِ؛ لأنه على فرض إثبات المُدَّعَى، وهو: وجوب القصاص بين النبي والملك وهذا لا سبيل إليه، فإنَّ الملَك لا يمكن قياسه على الآدمي؛ لأن لهُ القدرةَ على التشكل، وفقوُّ العينِ لا يؤلمه، ثم هَبْ جدلا أن ذلك كلَّه متحققٌ، فمن أين للمبتدعِ أنه لم يقع العفو بينهما؟!!. وحاصل القضية أن هذا المدعي نصَّبَ نفسه قاضيا حاكما بين نبيٍّ ومَلَكٍ في أمر غيبي لا ينبغي أن يتجاوز فيه التسليم والإذعان للخبر(84).

توظيفه لقواعد المنطق الصوري، وبيانه: أن لفظ « الناس» في الآية الكريمة ليس مسورا (لا بسور كلي ولا جزئي)، والمتفق عليه بين المناطقة أن القضية المهملة من السور في قوة الجزئية، فكأنَّ الآية قالت: والله يعصمك من بعض الناس (85).

الأخذ بدلالة السياق واللحاق؛ لأنها «ترشد إلى تبيين المجملِ، والقطع بعدم احتمال غير المرادِ، وتخصيص العامِ، وتقييد المطلقِ، وتنوع الدلالةِ، وهو من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم؛ فمن أهمله غلط في نظيره، وغالط في مناظراته»(86)، وقد مثل لها الشيخ الحجوي بأن العصمة المذكورة، هي حراسة خاصة من غوائل معينة، وللنبي عليه الصلاة والسلام فقط، ووجه ارتباط ذلك بالسياق أن الآية الكريمة هي:{ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ}، فدلت على أنَّ العصمة إنما هي مما يمنع إبلاغ الدعوة، وإتمام الرسالة(87).

80-الدفاع عن الصحيحين (ص:106). وهذه الروايات بتمامها في:«التوضيح» لابن الملقن(27/ 543)، وفتح الباري لابن حجر(10/ 227).

81- نفسه (ص: 107). والشيخ المعلمي بيَّن وجها قريبا، وهو أن ما وقع له عليه السلام إنما هو خاطر عابر، كمثل غضب موسى لظنه تقصير أخيه هارون، وظن يونس ألن يُقْدَرَ عليه، وقول يعقوب لبنيه لما ذكروا له ما جرى لابنه الثاني (بل سوَّلت لكم أنفسكم أمراً) فجواب المدرسة العقلية على هذه الآيات هو جواب أهل العلم على أحاديث الصحيحين. الأنوار الكاشفة (ص251).

82- نفسه (ص: 124).

83- نفسه (ص: 127). يجدر التنبيه في هذا الصدد إلى أن الشيخ محمد بن أحمد العلوي الإسماعيلي قرينُ وصاحبُ الشيخ الحجوي قد أجاب عن جميع اعتراضات الواردة على هذا الحديث بأجوبة مقنعة مسهبة لا تكاد تجتمع في غير كتابه.

وقد بين فيها (ص:169) سبب تأليفها، وهو أن بعض الأعيان من رؤساء علماء هذه الديار المغربية تمكن إشكال الحديث منه، وأنه يجزم بعدم صحته، وربما أكد ذلك بالأيمان المغلظة.وبيَّنَ أيضا أن أصل الإشكال (ص:197) عندهم هو توهم علم موسى في المرة الأولى بأن الجائي إليه ملكٌ، وهذا ليس في جميع طرق الحديث، ووضح أن فعل موسى كفعل إبراهيم عليهما السلام في توجسه الخيفة من الملائكة في عدم أكلهم من العجل الحنيذ.

84- نفسه (ص: 126).

85- نفسه (ص: 113).

86- «البرهان في علوم القرآن» للزركشي(2/ 200).

87- الدفاع عن الصحيحين (ص:117).

خاتمة:

النتائج والتوصيات المقترحة:

- نستخلص من المقال المعتصرِ أمورا حريَّةً بعظيم الالتفات منها:
- أنَّ خدمة السنة النبوية شرفٌ باذخٌ تظافر عليه أئمة الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها؛
- أنَّ أعلام الغرب الإسلامي اختصوا بقدح معلى وسهمٍ قامِرٍ في الذوذ عن حياض الحديث الشريف، بفهم عميقٍ، وذكاءٍ وقادٍ؛
- أنه لا ينبغي بحالٍ من الأحوال أن يَرُدَّ على المبطلين: مستشرقين أو مستغربين إلا من اكتملت عنده أدوات العلم، مع الابتعاد عن العاطفة الفارغة والحماس البارد، وإلا كان الردُّ رخواً ضعيفا، مقويًّا لشبهِ المعترضين على السنة المطهرة؛
- أنَّ الشيخ الحجوي الثعالبي -رحمه الله- كان قويَّ الرد؛ بحيثُ قَوَّضَ على المبطلين خيامهم، وأخمد أُوَارَهُمْ بملء العلم والخُلق دون إسْفافٍ ولا ابتِذالٍ؛
- أهمية توظيف القواعد المنطقية والحقائق العلمية في نصرة الحديث الشريف؛ إذ المقرر عند العلماء أن الدين والعقل والعلم ليست أعداء كما هو الحال عند الكنائس، بل هي إخوة متعاضدة، فالعقل أصل من أصول الدين، والعلم من مكملاته، ولابد منهما، وكل آخذ بحجز الآخر ينصره ويؤيده، ولا غنى لهما عن الدين بحالٍ؛ فالدين مرشد ومبين لما يخفى عن العقل، وهو أصل العلوم ومادتها(88).
- قراءة كتب كبار المستشرقين وأتباعهم قراءة استقصائية، ووضع معلمة أو موسوعة ضخمة تُعْنَى بتمحيصها وتحليلها، ودفع باطلها بروح العلم، وقوة الفهم، ككتاب:» تاريخ التمدن الإسلامي»،و»العرب قبل الإسلام» كلاهما لجُرجي زيدان، و «دائرة المعارف الإسلامية « لجماعة من المستشرقين، و»الحضارة الإسلامية « لكريمر، و»تاريخ العرب المطول» لفليب حتي، وإدوار جرجس، وجبرائيل جبور، و» تاريخ الشعوب الإسلامية « لكارل بروكلمان»، و»العقيدة والشريعة في الإسلام» لجولدتسيهر، وغيرهم.
- التأكيد على أهمية وضع قواعدَ متينةٍ حصينةٍ يعتصم بها الباحثون في الدراسات الإسلامية لنسف الاعتراضات، والتشويشات التي يوردها المعجبون بآرائهم.
- وضع لبناتٍ مؤسسةٍ لعمل جماعي اجتهادي يتغيى إحياء تراث المغاربة، وبعثه من رقدته، وبالأخص كتب العلامة الشيخ محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي،الذي لم يطبع له لحد الساعة إلا نتفٌ يسيرةٌ.

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين.

المصادر والمراجع:

- إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس لعبد الرحمن ابن زيدان المكناسي، الدكتور علي عمر، نشر: مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط: الأولى، 1429هـ.
- إتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع لعبد السلام ابن سودة، تح: محمد حجي، دار الغرب الإسلامي،ط. الأولى، 1417هـ.
- الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم لمصطفى السباعي، دار الوراق، بلا تاريخ.
- أصول الفقه المحمدي، لجوزيف شاخت، ترجمة: رياض الميلادي، دار المدار الإسلامي، ط. الأولى، 2018م.
- أضواء على السنة المحمدية لمحمود أبو رية، دار المعارف، ط. السادسة، 1994م.
- الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء لابن عبد البر القرطبي، دار الكتب العلمية - بيروت.
- الأنوار الكاشفة لما في كتاب «أضواء على السنة»، لعبد الرحمن بن يحيى المُعَلِّمي اليماني، تحقيق: علي بن محمد العمران، نشر: دار عالم الفوائد، ط: الأولى، 1434هـ.
- تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس، لحسين الديار بكري، دار صادر - بيروت.
- تراجم ستة من فقهاء العالم الإسلامي في القرن الرابع عشر وآثارهم الفقهية لعبد الفتاح أبي غدة، دار البشائر الإسلامية، ط. الأولى: 1417هـ/1997م.

88 - التعاضد المتين بين العقل والعلم والدين للحجوي الثعالبي (ص:37).

- ترتيب المدارك وتقريب المسالك للقاضي عياض، تح: مجموعة من العلماء، مطبعة فضالة - المحمدية، ط: الأولى (من سنة 1965م).
- التعاضد المتين بين العقل والعلم والدين، لمحمد بن الحسن الحجوي الثعالبي، تح: محمد بن عزوز، دار ابن حزم، ط: الأولى، 2005م.
- التوضيح لشرح الجامع الصحيح لابن الملقن الشافعي، المحقق: دار الفلاح للبحث العلمي، ودار النوادر، دمشق، ط: الأولى، 1429هـ.
- الجامع الصحيح للإمام البخاري وعناية الأمة به شرقا وغربا، لمحمد زين العابدين رستم، نشر: دار البشائر الإسلامية ط: الأولى، 2013م.
- دفاع عن السنة ورد شبه المستشرقين، لمحمد بن سويلم أبو شُهبة، نشر: مكتبة السنة، ط: الأولى، 1989م.
- الدفاع عن الصحيحين دفاع عن الإسلام، لمحمد بن الحسن الحجوي الثعالبي، تح: محمد بن عزوز، دار ابن حزم، ط: الأولى، 2003م.
- دلائل النبوة للبيهقي، تح: د. عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، دار الريان للتراث، ط. الأولى - 1408هـ.
- شرح إيساغوجي لمحمد شاكر، مطبعة النهضة، ط. الثانية، 1926م.
- صحيح البخاري في الدراسات المغربية من خلال رواته الأولين ورواياته و أصوله، مقال د. محمد المنوني: ضمن مجلة المجمع اللغة العربية بدمشق - المجلد(49)، جمادي الثانية 1394 - ع 3.
- فتح الباري لابن حجر العسقلاني، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي ، دار المعرفة - بيروت، 1379هـ.
- الفجر الساطع لابن الفاطمي الشبيهي، تح: عبد الفتاح الزنيفي، مكتبة الرشد، ط. الأولى، 2009م.
- الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي للحجوي الثعالبي، دار الكتب العلمية -بيروت، ط: الأولى 1416هـ.
- المجالس العلمية السلطانية على عهد الدولة العلوية الشريفة لآسية الهاشمي البلغيثي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب، سنة 1996.
- مختصر العروة الوثقى في مشيخة أهل العلم والتقى (فهرسة محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي)، تحقيق: محمد بنعزوز، دار ابن حزم، ط. الأولى، 2003م.
- المختصر النصيح في تهذيب الجامع الصحيح للمهلب بن أبي صفرة، تحقيق: الشريف ولداباه، دار القلم، ط: الأولى، 1428هـ.
- مدرسة الإمام البخاري في المغرب، ليوسف الكتاني، بدون تاريخٍ.
- المستشرق شاخت والسنة النبوية، لمحم الأعظمي، ضمن « منهاج المستشرقين في الدراسات العربية والإسلامية»، ج1، المنظمة العربية للتربية، الرياض 1405هـ.
- مشيخة الإلغيين من الحضريين لمحمد المختار السوسي، مطبعة المعارف الجديدة، ط. الأولى، 2010م.
- المعارضات الفكرية المعاصرة لأحاديث الصحيحين -دراسة نقدية- لمحمد بن فريد زريوح، تكوين للدراسات والأبحاث، ط: الأولى، 1441هـ.
- المُعْلم بفوائد مسلم، للمازري، تح: محمد الشاذلي النيفر، نشر: الدار التونسية، ط: الثانية، 1988م.
- مقدمة علوم الحديث لابن الصلاح، تح: نور الدين عتر، دار الفكر المعاصر ، 1406هـ .
- الموجز في مراجع التراجم والبلدان والمصنفات لمحمود الطناحي، مكتبة الخانجي، ط: الأولى، 1406هـ.
- موقف المدرسة العقلية من السنة، للأمين الصادق الأمين، دار الرشد بالرياض 1998م.
- النكت على ابن الصلاح لابن حجر، تح: ربيع المدخلي، نشر: الجامعة الإسلامية، ط: الأولى، 1404هـ.

البحث الثالث

منهج السنة النبوية في المحافظة على هوية الأمة وتطبيقاته الفقهية المعاصرة

إعـــــداد : د/محمد محمود حسن محمد

المدرس بقسم الفقه بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بقنا- جامعة الأزهر

The approach of the Prophet's Sunnah in preserving the identity of the nation and its contemporary jurisprudential applications.

Researcher Dr. Mohamed Mahmoud Hassan Mohamed

Lecturer at the Department of Jurisprudence -

College of Islamic and Arabic Studies for Boys in Qena - Al-Azhar University

البريد الإلكتروني:

1- shekhmoh@gmail.com

2- Mohamedhassan.4119@azhar.edu.eg

الملخص :

تنبع أهمية دراسة هذا الموضوع في أنه يوضح الدور الفعال للسنة النبوية المطهرة في المحافظة على هوية الأمة، وحثها للمسلمين على التمسك بهدي النبي -صلى الله عليه وسلم- وخاصة في آخر الزمان عندما يعاني المسلم من الغربة، حتى وهو يعيش في وطنه وبين بني جلدته.

وفيه يبين الباحث: منهج السنة النبوية في المحافظة على هوية الأمة، ويبين حرص السنة على تميز المسلمين.

ومن أهم النتائج التي توصل إليها الباحث:

1 -رسمت السنة النبوية المطهرة منهجًا واضحًا للمحافظة على هوية الأمة الإسلامية وثوابتها، من ترسم خطاه نال سعادة الدنيا والآخرة.

أهم التوصيات:

1 - تشكيل لجان علمية يكون كل اهتمامها الرد على ما يثار في وسائل الإعلام من شبهات ومن محاولات للطعن في السنة النبوية المطهرة.

الكلمات المفتاحية: منهج السنة ، هوية الأمة ، وسائل الإعلام.

Abstract

The importance of studying this topic stems from the fact that it clarifies the effective role of the pure Prophetic Sunnah in preserving the identity of the nation, and urging it for Muslims to adhere to the guidance of the Prophet - may God's prayers and peace be upon him - especially at the end of time when a Muslim suffers from alienation, even while he is living in his homeland and among his people.

In it, the researcher explains: the method of the Prophet's Sunnah in preserving the identity of the nation, and shows the Sunnis' keenness on the success and progress of Muslims.

Among the most important findings of the researcher:

1- The purified Sunnah of the Prophet drew a clear approach to preserving the identity of the Islamic nation and its constants.

Most important recommendations:

1- Forming scientific committees whose entire interest is to respond to the suspicions and attempts raised in the media to defame the purified Sunnah of the Prophet.

Keywords: The Sunnah curriculum, the nation's identity, the media.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، -صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين-.

أما بعد:

فمن رحمة الله-عزَّ وجلَّ- بنا ونعمته وفضله علينا أن أرسل إلينا سيدنا محمدًا -صلَّى الله عليه وسلَّم- قال- سبحانه وتعالى-﴿ ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتلُواْ عَلَيهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ . سورة آل عمران الآية: (164).

وكان النبي-صلَّى الله عليه وسلم- شديد الحرص على هداية الناس قال -تعالى-﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ سورة التوبة الآية: (128) ، وعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَمْرٍو السُّلَمِيِّ، أَنَّهُ سَمِعَ الْعِرْبَاضَ بْنَ سَارِيَةَ، يَقُولُ: وَعَظَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَوْعِظَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ، وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ هَذِهِ لَمَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ، فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا؟ قَالَ: «قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا، لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ، مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِمَا عَرَفْتُمْ مِنْ سُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَعَلَيْكُمْ بِالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا، فَإِنَّمَا الْمُؤْمِنُ كَالْجَمَلِ الْأَنِفِ، حَيْثُمَا قِيدَ انْقَادَ»(1).

وما ترك رسول الله -صلَّى الله عليه وسلَّم- خيرًا إلا ودلنا عليه، ولا شرًا إلا وحذرنا منه، فعَنْ أَبِي مُوسَى، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « مَثَلِي وَمَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ، كَمَثَلِ رَجُلٍ أَتَى قَوْمًا فَقَالَ: رَأَيْتُ الجَيْشَ بِعَيْنَيَّ، وَإِنِّي أَنَا النَّذِيرُ العُرْيَانُ، فَالنَّجَا النَّجَاءَ، فَأَطَاعَتْهُ طَائِفَةٌ فَأَدْلَجُوا عَلَى مَهْلِهِمْ فَنَجَوْا، وَكَذَّبَتْهُ طَائِفَةٌ فَصَبَّحَهُمُ الجَيْشُ فَاجْتَاحَهُمْ»(2).

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى العديد من الأمور، وأهمها:

- الوقوف على حجم الأضرار التي تعاني منها الأمة جراء موجات التغريب الوافدة إلينا من بلاد غير المسلمين.
- تقديم بعض التصورات والمقترحات والسبل لمواجهة ما تتعرض له الأمة الإسلامية من محاولات لطمس هويتها.
- تنبيه شباب المسلمين لما يريده أعداء الأمة الذين يريدون منهم الخروج على تعاليم الدين وعلى المجتمع وتقاليده.
- توعية المرأة المسلمة بما يراد لها من أعداء الأمة.

أهمية الدراسة:

تنبع أهمية دراسة هذا الموضوع في أنه يوضح الدور الفعال للسنة النبوية المطهرة في المحافظة على هوية الأمة، وحثها للمسلمين على التمسك بهدي النبي -صلى الله عليه وسلم- وخاصة في آخر الزمان عندما يعاني المسلم من الغربة، حتى وهو يعيش في وطنه وبين بني جلدته.

ومحافظة المسلم على هويته وتعاليم دينه، من الأهمية بمكان فكان هذا البحث بمثابة إلقاء الضوء على قضايا شائكة ، محاولة منا إلى رد بعض المسلمين إلى صوابهم.

إشكالية البحث:

ويثير البحث موضوع الدراسة العديد من الإشكاليات التي يسعى للإجابة عنها وبيانها وهي:

1 - ما هو منهج السنة النبوية في المحافظة على هوية الأمة؟

2 - ما الأشياء التي تميز الأمة الإسلامية عن غيرها؟

3 - كيف يواجه المسلم موجات التغريب في هذه الأيام؟

---

1) أخرجه الإمام ابن ماجه في سننه/باب:اتباع سنة الخلفاء الراشدين 16/1 حديث:(43) ط: دار إحياء الكتب العربية- فيصل عيسى البابي الحلبي ت:محمد فؤاد عبد الباقي، الإمام أحمد في مسنده 367/28 حديث:(17142) ط1: مؤسسة الرسالة1421هـ - 2001م ت: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون.

2) حديث متفق عليه:أخرجه الإمام البخاري في صحيحه/كتاب:الرقائق/باب:الانتهاء عن المعاصي 101/8 ، 102 حديث:(6482) ط1: دار طوق النجاة ، الإمام مسلم في صحيحه/ كتاب: الفضائل/ باب: شفقته-صلَّى الله عليه وسلَّم- على أمته 1788/4 حديث رقم: (2283) ط:دار إحياء التراث العربي – بيروت ت: محمد فؤاد عبد الباقي.

4 - ذكر بعض المسائل الفقهية التطبيقية المتعلقة بهوية الأمة في واقعنا المعاصر.

أسباب اختيار الموضوع:

-1 توضيح حرص السنة النبوية على تميز المسلمين.

-2 محاولة الرد على ما يثار في وسائل الإعلام من هدم لثوابت الأمة والمجتمعات المسلمة.

-3 بيان معالجة الفقه الإسلامي لكافة القضايا، وخاصة ما يتعلق بهوية الأمة.

منهجي في البحث:

اتبعت في بحثي هذا المنهج التحليلي ، فأقوم بذكر بعض الأحاديث النبوية التي تبين منهج السنة النبوية في المحافظة على هوية الأمة مع ربط ذلك بواقعنا المعاصر.

كما أتبع فيه إجراءات البحث المتبعة، من عزو الآيات القرآنية، وتخريج الأحاديث النبوية الشريفة من مصادرها المعتمدة مع بيان درجتها قدر الإمكان، فإن كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما فإني أقتصر على ذلك.

وقمت بتوثيق ما ذكره الفقهاء في كتب الفقه مع مراعاة اختلافهم -إن وجد-.

الدراسات السابقة:

وقد اهتم الباحثون بالكتابة عن الهوية الإسلامية وما يتعلق بها ، ووُجدت العديد من الدراسات حول هذا الموضوع، ولعل أقرب الأبحاث إلى موضوع بحثي:

بحث بعنوان: المحافظة على الهوية الإسلامية في ضوء السنة النبوية، النهي عن التشبه بالمشركين وأهل الكتاب نموذجًا. إعداد/ د/حاكم عيسان الحميدي المطيري، د/عواد برد العنزي.

ولعل في بحثي إضافة -ولو يسيره- إلى ما كتبه غيري من الباحثين، والله أسأل التوفيق والسداد والقبول.

طريقة العمل في هذا البحث:

اقتضت طبيعة البحث أن يتكون من:

مقدمة ومبحثين وخاتمة:

أولاً: المقدمة:

وهي لبيان أهم الأسباب التي دفعتني إلى اختيار هذا الموضوع، والمنهج الذي أسير عليه في البحث، وخطة البحث.

ثانيًا: المباحث:

المبحث الأول: منهج السنة النبوية في المحافظة على هوية الأمة.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: حرص السنة على تميز المسلمين.

المطلب الثاني: حرص السنة على تنقية الأمة من آثار الجاهلية.

المبحث الثاني: التطبيقات الفقهية المعاصرة لمنهج السنة في المحافظة على هوية الأمة.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: منهج السنة في اختيار الأسماء ، وتطبيقه على واقعنا المعاصر.

المطلب الثاني:منهج السنة في المحافظة على هيئة المسلم، وتطبيقه على قصات الشعر.

ثالثًا: الخاتمة:

وتشتمل علي أهم النتائج التي توصلت إليها خلال البحث.

والله من وراء القصد وهو المستعان علي الهداية لأقوم سبيل. وصلِّ اللهم على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

تمهيد:

تعتمد هويتنا الإسلامية على العديد من المقومات ؛ والتي تجعل المسلم يعتز بهويته ودينه ، فعقيدتنا عقيدة صافية نقية خالية من الشوائب والشرك ، تجعل اعتماد المسلم على ربه لا يرجو إلا ربه ولا يخاف إلا ذنبه.

وقد حذَّر علماء الأمة وفقهاؤها من انسلاخ المجتمعات المسلمة من هويتها، وجريها خلف عادات الغرب وتقاليده، واعتقادهم وجود الفضيلة في هذه المجتمعات الغربية المنادية بالحرية وتحرير المرأة -من وجهة نظرهم- ورفع القيود الأسرية عن الأبناء فليس من حق الوالدين أن يسألا أبناءهم عن اعتقادهم أو دينهم !!

وكما يقول ابن خلدون-رحمه الله تعالى-» المغلوب مولع أبدًا بالاقتداء بالغالب في شعاره وزيه ونحلته وسائر أحواله وعوائده، والسّبب في ذلك أنّ النّفس أبدًا تعتقد الكمال في من غلبها وانقادت إليه، إمّا لنظره بالكمال بما وقر عندها من تعظيمه، أو لما تغالط به من أنّ انقيادها ليس لغلب طبيعيّ إنّما هو لكمال الغالب»(3).

وهي أمور وافدة إلينا من الغرب في ظاهرها الرحمة ، وفي باطنها العذاب يصدق فيها قول المولى -تبارك وتعالى-﴿... يَحسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدهُ شَيۡـًٔا...﴾ سورة النور من الآية: (39).

والجهود التي تبذل اليوم لتذويب الهوية الإسلامية لا تختلف عن الجهود السابقة في المغزى، وإن كان هناك اختلاف فهو في الوسائل؛ فإن الجهود الحالية تسخر آلة الإعلام ، ووسائل الاتصال الحديثة، وكل ما وصلت إليه التقنية في سعيها لطمس الهوية الإسلامية(4).

فلا يخفى دور وسائل الإعلام في محاولة طمس الهوية الإسلامية، واعتناق الأفكار الواردة إلينا من الغرب ، والتخلي عن القيم الاجتماعية، واستضافة من لا قيمة له في المجتمع، وإظهاره على أنه القدوة. وكان لهذا الأمر أكبر الأثر في تفكك الروابط الأسرية، وضعف اهتمام الشباب بأمور دينهم بسبب متابعة البرامج الفضائية المختلفة.

هذا؛ وقد انتشر الانحراف السلوكي لدى الشباب والفتيات بسبب مشاهدة الأفلام والمسلسلات وما تحويه من عري وأفعال فاضحة، ولك أن تتخيل أن الأسرة المسلمة تلتف كلها رجالها ونساؤها شبابها وأطفالها حول هذه المشاهد!!

كما تسببت وسائل الإعلام في إكساب الشباب المراهق السلوك الإجرامي، وقد فعلوا هذا تقليدًا لمن صدرتهم لنا وسائل الإعلام على أنهم القدوة.

وأصبح رقص المرأة أمام الأجانب أمرًا عاديًّا ، بل لا أبالغ إن قلت إنه أصبح دليلًا على التحضر والرقي!!

والإعلام مطالب اليوم ببذل أقصى إمكاناته لتحصين المجتمعات المسلمة وإرشادها في أمور دينها وأحكام شريعتها التي ارتضاها الله -عز وجل- لها ثم صد تلك الهجمة الشرسة التي يقودها الإعلام الفاسد الذي يخطط لهدم الفضيلة والأخلاق في المجتمعات البشرية، ويقودها إلى الفلسفة المادية الإلحادية من خلال جر الأفراد والمجتمعات إلى الانشغال بالشهوات وإثارة الغرائز، أو من خلال إثارة الشبهات، وبث الشكوك في المعتقدات والأديان(5).

وفي هذا البحث أحاول جاهدًا بيان منهج السنة النبوية في المحافظة على هوية الأمة الإسلامية ، مقارنًا ذلك بواقعنا المعاصر؛ لبيان ما آلت إليه أحوال المجتمعات المسلمة ، مع ذكر بعض التطبيقات الفقهية المعاصرة ، وهي وإن جاءت مختصرة -نظرًا لظروف البحث- ، إلا أنني أرجو من المولى-تبارك وتعالى- أن أكون قد وفقت في ذكر ولو شيئ يسير يساهم في المحافظة على هويتنا الإسلامية.

---

٣) يراجع: ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر لعبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبي زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي (ت: 808هـ) 184/1 ط2: دار الفكر، بيروت 1408هـ - 1988م ت: خليل شحادة.

4) يراجع: أثر الفتوى في المحافظة على الهوية الإسلامية صـ684 إعداد الأستاذ الدكتور/ عبد الله بن محمد بن أحمد الطيار بحث مقدم إلى(مؤتمر الفتوى واستشراف المستقبل).

٥) يراجع: الإفتاء في وسائل الإعلام بين واجب التوجيه وضرورة الانضباط للقواعد الشرعية صـ104، صـ105 تأليف: الحاج الحفظاوي(بحث مقدم إلى مؤتمر الفتوى واستشراف المستقبل).

المبحث الأول:منهج السنة النبوية في المحافظة على هوية الأمة.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: حرص السنة على تميز المسلمين.

تميزت المجتمعات الإسلامية بهويتها الأصيلة في مصادرها، وأصولها وفروعها والتي يجب على المسلم الاعتزاز والفخر بها، سواء كان ذلك في جانب العقيدة ، أم في الشعائر الإسلامية كلها كالصلاة والصيام، أم في الهيئة. فالمجتمع المسلم مجتمع فاضل نشأ على الفضيلة وتربى عليها، مجتمع رضي بالله ربًا وبالإسلام دينًا، وبالقرآن منهجًا، وبسيدنا محمد-صلَّى الله عليه وسلم- نبيًّا ورسولًا.

وقد وردت أحاديث كثيرة في السنة النبوية المطهرة تؤكد على وجوب المحافظة على الهوية الإسلامية ، ونفي كل ما أُلصق بها، وإبراز تميز المسلمين على غيرهم. فعندما هاجر الرسول-صلَّى الله عليه وسلَّم- إلى المدينة المنورة، وجاور المسلمون اليهود، حرص النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- على الحفاظ على هوية الأمة المسلمة وتميزها ، وهو ما وضح جليًّا في تحويل القبلة حيث أخذ النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- يقلِّب بصره في السماء سائلًا المولى -تبارك وتعالى- أن يحوله إلى قبلة أبي الأنبياء إبراهيم-عليه السلام- ، حرصًا على التميز عن اليهود الذين كانوا يقولون إن محمدًا يتبع قبلتنا ويوشك أن يتبع ديننا، فعَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: « كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَّى نَحْوَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، سِتَّةَ عَشَرَ أَوْ سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحِبُّ أَنْ يُوَجَّهَ إِلَى الكَعْبَةِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: {قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ} [البقرة: 144] فَتَوَجَّهَ نَحْوَ الكَعْبَةِ «، وَقَالَ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ، وَهُمُ اليَهُودُ: {مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا، قُلْ لِلَّهِ المَشْرِقُ وَالمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} [البقرة: 142] فَصَلَّى مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ، ثُمَّ خَرَجَ بَعْدَ مَا صَلَّى، فَمَرَّ عَلَى قَوْمٍ مِنَ الأَنْصَارِ فِي صَلاَةِ العَصْرِ نَحْوَ بَيْتِ المَقْدِسِ، فَقَالَ: هُوَ يَشْهَدُ: أَنَّهُ صَلَّى مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَنَّهُ تَوَجَّهَ نَحْوَ الكَعْبَةِ، فَتَحَرَّفَ القَوْمُ، حَتَّى تَوَجَّهُوا نَحْوَ الكَعْبَةِ(6).

ومن هذه الأحاديث ما ورد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ-رضي الله عنه- أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى لَا يَصْبُغُونَ، فَخَالِفُوهُمْ»(7).

ولعل الهدف من وراء ذلك أعمق من مجرد التشبه بهم في تركهم للصبغ ، فالتشبه بغير المسلمين يجر إلى الرضا بفعلهم ، ويؤدي إلى انسلاخ المسلم من تعاليم دينه ، بل والتهاون في أمور عقيدته وهو ما وضح جليًّا للعيان في أيامنا هذه ممن قلد غير المسلمين في لباسهم فصار به الأمر إلى موافقتهم في أحوالهم كلها ، بل أصبح احتفال بعض المسلمين بأعياد غير المسلمين يدعو للعجب ، فيخرجون للمنتزهات ويظهرون البهجة والسرور أكثر من غير المسلمين أنفسهم، لدرجة أن غير المسلمين يخاطبونهم قائلين: اتركوا لنا فرصة لنستمتع بعيدنا، ولنتمكن من الاحتفال به !!

ومن ضمن الأمور التي حرصت السنة النبوية على التأكيد عليها، النهي عن التشبه بالأعاجم في قيام بعضهم لبعض بقصد التعظيم ، فالعظمة لله وحده ، فعَنْ أَبِي أُمَامَةَ، قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُتَوَكِّئًا عَلَى عَصًا فَقُمْنَا إِلَيْهِ فَقَالَ: «لَا تَقُومُوا كَمَا تَقُومُ الْأَعَاجِمُ، يُعَظِّمُ بَعْضُهَا بَعْضًا»(8).

أما إذا كان القيام من باب إظهار المودة والاحترام كالقيام للوالدين، أو لعالم ، أو لصديق فلا مانع منه شرعًا، ولا يدخل تحت هذا النهي كما قرره العلماء-رحمهم الله تعالى-.

قال الإمام ابن حجر الهيتمي-رحمه الله تعالى-: « أما من أحب ذلك إكرامًا له لا على الوجه المذكور فلا يتجه تحريمه؛ لأنه صار شعارًا في هذا الزمان لتحصيل المودة ...قول أصحابنا يستحب القيام لمن فيه علم أو صلاح أو شرف أو ولادة أو رحم أو ولاية مصحوبة بصيانة أو صداقة أو نحوها؛ لأنهم قيَّدوا ذلك بقولهم برًا واحترامًا وإكرامًا لا رياء وتفخيمًا، وهذا الذي نفوه هو الذي نهى عنه النبي - صلى الله عليه وسلم - بقوله: «كَمَا تَقُومُ الْأَعَاجِمُ، يُعَظِّمُ بَعْضُهَا بَعْضًا»(9).

---

6) أخرجه: الإمام البخاري في صحيحه/كتاب:الصلاة/باب التوجه نحو القبلة حيث كان 88/1 ، 89 حديث:(399).

7) حديث متفق عليه:أخرجه الإمام البخاري في صحيحه/كتاب:أحاديث الأنبياء/باب: ما ذكر عن بني إسرائيل 170/4 حديث:(3462)، الإمام مسلم في صحيحه/كتاب: اللباس والزينة/ باب: في مخالفة اليهود في الصبغ1663/3 حديث رقم: (2103).

8) أخرجه الإمام أبو داود في سننه/كتاب: الأدب/باب: في قيام الرجل للرجل 358/4 حديث:(5230)، الإمام ابن ماجه في سننه/كتاب:الدعاء باب/دعاء النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم2-/1261 حديث(3836). وقال الحافظ المنذري: رواه أبو داود وابن ماجه، وإسناده حسن. فيه أبو غالب واسمه حزور، ويقال: نافع، ويقال: سعيد بن الحزور، فيه كلام طويل ذكرته في مختصر السنن وغيره، والغالب عليه التوثيق، وقد صحح له الترمذي وغيره والله أعلم. يراجع: الترغيب والترهيب للحافظ المنذري 289/3 حديث(4109) ط1: دار الكتب العلمية - بيروت1417هـت: إبراهيم شمس الدين.

9) يراجع:الزواجر عن اقتراف الكبائر للإمام أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري، شهاب الدين شيخ الإسلام، أبي العباس (المتوفى: 974هـ) 282/2 ، 283 ط1: دار الفكر1407هـ - 1987م.

بل في مجال الطعام والشراب وجدنا هوية واضحة للمسلمين في طريقة الأكل والشرب ، وفي تعظيم هذه النعم ، فالمسلم يحمد الله-عزَّ وجلَّ- على طعامه وشرابه، فعَنْ مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ، قَالَ: بَيْنَمَا هُوَ يَتَغَدَّى، إِذْ سَقَطَتْ مِنْهُ لُقْمَةٌ، فَتَنَاوَلَهَا، فَأَمَاطَ، مَا كَانَ فِيهَا مِنْ أَذًى، فَأَكَلَهَا، فَتَغَامَزَ بِهِ الدَّهَاقِينُ، فَقِيلَ: أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ، إِنَّ هَؤُلَاءِ الدَّهَاقِينَ يَتَغَامَزُونَ، مِنْ أَخْذِكَ اللُّقْمَةَ، وَبَيْنَ يَدَيْكَ هَذَا الطَّعَامُ، قَالَ: إِنِّي لَمْ أَكُنْ لِأَدَعَ، مَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لِهَذِهِ الْأَعَاجِمِ «إِنَّا كُنَّا يُؤْمَرُ أَحَدُنَا، إِذَا سَقَطَتْ لُقْمَتُهُ، أَنْ يَأْخُذَهَا، فَيُمِيطَ، مَا كَانَ فِيهَا مِنْ أَذًى وَيَأْكُلَهَا، وَلَا يَدَعَهَا لِلشَّيْطَانِ»(10).

بل لم يدع -صلَّى الله عليه وسلم- أمرًا فيه إظهار لهوية المسلم والمحافظة عليها إلا ودلنا عليه، حتى يتميز المسلم عن غيره في أحواله كلها، فعَنْ أَنَسٍ أَنَّ الْيَهُودَ كَانُوا إِذَا حَاضَتِ الْمَرْأَةُ فِيهِمْ لَمْ يُؤَاكِلُوهَا، وَلَمْ يُجَامِعُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ فَسَأَلَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِي ٱلْمَحِيضِ...﴾ [البقرة: 222] إِلَى آخِرِ الْآيَةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اصْنَعُوا كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا النِّكَاحَ» فَبَلَغَ ذَلِكَ الْيَهُودَ، فَقَالُوا: مَا يُرِيدُ هَذَا الرَّجُلُ أَنْ يَدَعَ مِنْ أَمْرِنَا شَيْئًا إِلَّا خَالَفَنَا فِيهِ، فَجَاءَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ، وَعَبَّادُ بْنُ بِشْرٍ فَقَالَا يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ الْيَهُودَ تَقُولُ: كَذَا وَكَذَا، فَلَا نُجَامِعُهُنَّ؟ فَتَغَيَّرَ وَجْهُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنْ قَدْ وَجَدَ عَلَيْهِمَا، فَخَرَجَا فَاسْتَقْبَلَهُمَا هَدِيَّةٌ مِنْ لَبَنٍ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَرْسَلَ فِي آثَارِهِمَا فَسَقَاهُمَا، فَعَرَفَا أَنْ لَمْ يَجِدْ عَلَيْهِمَا(11).

ومن هنا حرصت السنة النبوية على التأكيد على تميز المسلم في أدق التفاصيل فلا يصح للمسلم أن يقلد غيره فيما لا يليق من مظهره أو لباسه، بل في حركته أو سلوكه، ومن باب أولى في جانب العقيدة والأخلاق.

المطلب الثاني:حرص السنة على تنقية الأمة من آثار الجاهلية.

حرص الإسلام على تميز الشخصية الإسلامية ، وعمل النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم- على محو آثار وترسبات الجاهلية التي تمسخ هوية المسلم، وتبعده عن دينه وهدي نبيه-صلَّى الله عليه وسلَّم- ؛ فالمسلم محب للخير، يسعى إليه دائمًا، نافع لبلده ومجتمعه، لا يحقر أحدًا من عباد الله-سبحانه وتعالى-.

فعَنِ الْمَعْرُورِ بْنِ سُوَيْدٍ، قَالَ: لَقِيتُ أَبَا ذَرٍّ بِالرَّبَذَةِ، وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ، وَعَلَى غُلَامِهِ حُلَّةٌ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: إِنِّي سَابَبْتُ رَجُلًا فَعَيَّرْتُهُ بِأُمِّهِ، فَقَالَ لِي النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ؟ إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ، إِخْوَانُكُمْ خَوَلُكُمْ، جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ، فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلَا تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ»(12).

وفي حديث سيدنا جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: كُنَّا فِي غَزَاةٍ - قَالَ سُفْيَانُ: مَرَّةً فِي جَيْشٍ - فَكَسَعَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ: يَا لَلْأَنْصَارِ، وَقَالَ الْمُهَاجِرِيُّ: يَا لَلْمُهَاجِرِينَ، فَسَمِعَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «مَا بَالُ دَعْوَى الجَاهِلِيَّةِ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَسَعَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ: «دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ»(13).

وحذَّر النبي- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – من اتباع طريق اليهود والنصارى فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ سَلَكُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكْتُمُوهُ» ، قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ: اليَهُودَ، وَالنَّصَارَى قَالَ: «فَمَنْ»(14).

---

10) أخرجه الإمام ابن ماجه في سننه/كتاب: الأطعمة/باب: اللقمة إذا سقطت 1091/2 حديث:(3278). قال الإمام البوصيري: هذا إسناد رجاله ثقات غير أنه منقطع قال أبو حاتم الحسن لم يسمع من معقل بن يسار انتهى رواه مسدد في مسنده عن يزيد بن زريع بإسناده ومتنه وله شاهد في صحيح مسلم وغيره من حديث جابر بن عبد الله وأنس بن مالك.يراجع: مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه لأبي العباس شهاب الدين أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل بن سليم بن قايماز بن عثمان البوصيري الكناني الشافعي (المتوفى: 840هـ) 12/4 ط2: دار العربية – بيروت 1403هـ ت: محمد المنتقى الكشناوي.

ومعنى:فتغامز به الدهاقين أي أشاروا بالتحقير بالعين والجفن والحاجب أي عاب الدهاقين فلاحو العجم لهذا الأمر بسبب عدم علمهم إنجاح الحاجة.يراجع:شرح سنن ابن ماجه للسيوطي وغيره ص236 ط: قديمي كتب خانة – كراتشي.

11) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه/كتاب: الحيض/ باب: اصنعوا كل شيء إلا النكاح246/1 حديث رقم: (302).

12) حديث متفق عليه:أخرجه الإمام البخاري في صحيحه/كتاب:الإيمان/باب: المعاصي من أمر الجاهلية، ولا يكفر صاحبها بارتكابها إلا بالشرك 15/1 حديث:(30) ، الإمام مسلم في صحيحه/كتاب: الإيمان والنذور/باب: إطعام المملوك مما يأكل 1282/3 حديث رقم: (1661).

13) حديث متفق عليه:أخرجه الإمام البخاري في صحيحه/كتاب:تفسير القرآن/باب قَوْلِهِ: {سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ، لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ، إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي القَوْمَ الفَاسِقِينَ} 154/6 حديث:(4905) ، الإمام مسلم في صحيحه/كتاب: البر والصلة والآداب/باب:نصر الأخ ظالمًا أو مظلومًا 1998/4 حديث رقم: (2584).

14) حديث متفق عليه:أخرجه الإمام البخاري في صحيحه/كتاب:أحاديث الأنبياء/باب ما ذكر عن بني إسرائيل 169/4 حديث:(3456) ، الإمام مسلم في صحيحه/كتاب: البر والصلة والآداب/باب:اتباع سنن اليهود والنصارى 2054/4 حديث رقم: (2669).

فمن صفات النبي-صلى الله عليه وسلَّم- أنه بشير ونذير، فالحديث وإن كان يخبر عمَّا يصير إليه حال الأمة في آخر الزمان، إلا أنه يحمل تحذيرًا وإنذارًا من اتباع طريق غير المسلمين، كما أنه يستنهض همم المسلمين في البحث عن سبب ما صارت إليه الأمة في آخر الزمان من السير خلف غير المسلمين في كل صغيرة وكبيرة، وكيف صار حال خير أمة أخرجت للناس، حتى أصبح المسلم المستمسك بدينه غريبًا في وطنه ولا حول ولا قوة إلى بالله العلي العظيم.

وهذا الحديث النبوي الشريف يتضمن إعجازًا نبويًا ، حيث إننا نرى عيانًا ما أخبر به الصادق المصدوق -صلى الله عليه وسلَّم- من تبعية المجتمعات المسلمة لغير المسلمين ، حتى في أحقر الأمور وأتفهها، فلو سلكوا جحر ضب لسلكه الكثيرون من أبناء أمتنا!!

المبحث الثاني: التطبيقات الفقهية المعاصرة لمنهج السنة في المحافظة على هوية الأمة.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: منهج السنة في اختيار الأسماء ، وتطبيقه على واقعنا المعاصر.

جعل الإسلام من حق الولد على أبيه أن يسميه اسمًا حسنًا ، وأحب الأسماء ما ورد في السنة المطهرة، فعَنِ ابْنِ عُمَرَ-رضي الله عنهما-، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ أَحَبَّ أَسْمَائِكُمْ إِلَى اللهِ عَبْدُ اللهِ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ»(15).

ويلحق بهذين الاسمين أي: عبد الله وعبد الرحمن ما كان مثلهما كعبد الرحيم وعبد الملك، وتفضيل التسمية بهما محمول على من أراد التسمي بالعبودية، لأنهم كانوا يسمون عبد شمس وعبد الدار، فلا ينافي أن اسم محمد وأحمد أحب إلى الله -تعالى- من جميع الأسماء، فإنه لم يختر لنبيه إلا ما هو أحب إليه هذا هو الصواب ولا يجوز حمله على الإطلاق اهـ(16).

وكل ما أضيف إلى الله فحسن وكذا أسماء الأنبياء(17)، وكذلك الصحابة -رضوان الله عليهم-.

فعَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ، قَالَ: لَمَّا قَدِمْتُ نَجْرَانَ سَأَلُونِي، فَقَالُوا: إِنَّكُمْ تَقْرَءُونَ يَا أُخْتَ هَارُونَ، وَمُوسَى قَبْلَ عِيسَى بِكَذَا وَكَذَا، فَلَمَّا قَدِمْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ:«إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَمُّونَ بِأَنْبِيَائِهِمْ وَالصَّالِحِينَ قَبْلَهُمْ»(18).

وقد حثَّ النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- على التسمية باسمه الشريف، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «تَسَمَّوْا بِاسْمِي وَلاَ تَكْتَنُوا بِكُنْيَتِي»(19).

قال مالك وأهل مكة يتحدثون ما من بيت فيه اسم محمد إلا رأوا خيراً ورزقوا(20).

ومن ثم قال الشافعي في تسمية ولده محمدا: سميته بأحب الأسماء إليّ(21).

وقد سمَّى النبي - صلى الله عليه وسلم - بحسن وحسين(22).

وأما أحب أسماء الإناث إلى الله تعالى ورسوله ، فلا شك في تفضيل أسماء بنات النبي- صلَّى الله عليه وسلم- السيدة زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة-رضي الله عنهن جميعًا، وكذلك أسماء زوجاته-رضي الله عنهن جميعًا-.

وقد حرص النبي -صلى الله عليه وسلم- على تغيير ما لا يصح من الأسماء فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: « أَنَّ زَيْنَبَ كَانَ اسْمُهَا بَرَّةَ، فَقِيلَ: تُزَكِّي نَفْسَهَا، فَسَمَّاهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَيْنَبَ «(23).

---

15) أخرجه: الإمام مسلم في صحيحه/كتاب: البر والصلة والآداب/باب:نصر الأخ ظالمًا أو مظلومًا 1682/3 حديث رقم: (2132).

16) يراجع: رد المحتار على الدر المختار(حاشية ابن عابدين) 417/6 ط2:ار الفكر-بيروت 1412هـ - 1992م.

17() يراجع: الإقناع في فقه الإمام أحمد بن حنبل لموسى بن أحمد بن موسى الحجاوي المقدسي، ثم الصالحي(المتوفى: 968هـ) الناشر: دار المعرفة بيروت – لبنان 409/1 ت: عبد اللطيف محمد موسى السبكي.

18) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه/كتاب:الآداب/بَابُ النَّهْيِ عَنِ التَّكَنِّي بِأَبِي الْقَاسِمِ وَبَيَانِ مَا يُسْتَحَبُّ مِنَ الْأَسْمَاءِ 1685/3 حديث رقم: (2135).

19) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه/كتاب:العلم/باب إثم من كذب على النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم- 33/1 حديث:(110) ، الإمام مسلم في صحيحه/كتاب:الآداب/بَابُ النَّهْيِ عَنِ التَّكَنِّي بِأَبِي الْقَاسِمِ وَبَيَانِ مَا يُسْتَحَبُّ مِنَ الْأَسْمَاءِ 1684/3 حديث رقم: (2134).

20) يراجع: البيان والتحصيل لابن رشد 541/17 ط2: دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان 1408هـ - 1988م.

21) يراجع: تحفة المحتاج في شرح المنهاج 373/9 الناشر: المكتبة التجارية الكبرى بمصر: بدون طبعة عام النشر: 1357 هـ - 1983 م(ثم صورتها دار إحياء التراث العربي - بيروت، بدون طبعة وبدون تاريخ).

22) يراجع: مواهب الجليل للحطاب 256/3 ط3: دار الفكر1412هـ - 1992م.

23) حديث متفق عليه:أخرجه الإمام البخاري في صحيحه/كتاب:الأدب/باب تحويل الاسم إلى اسم أحسن منه 43/8 حديث:(6192) ، الإمام مسلم في صحيحه/كتاب: الآداب / باب:استحباب تغيير الاسم القبيح إلى حسن 1687/3 حديث رقم: (2141).

أما في أيامنا هذه ، وبسبب انتشار موجات التغريب، وما تبثه وسائل الإعلام من أفلام ومسلسلات تهدم القيم في المجتمع ، وتحارب الفضيلة ، وقد عكف على مشاهدة هذه الأفلام والمسلسلات والبرامج الكبير والصغير، بل والأدهى من ذلك تأثر الكثيرين بها تأثرًا شديدًا؛ لدرجة أنهم صاروا يسمُّون أبناءهم على أسماء هؤلاء الممثلين، والبعض الآخر أصبح يخجل من التسمية باسم خديجة أو عائشة أو فاطمة أو غيرهن ممن سمَّى عليهم المسلمون على مر الدهور والأيام ، فإن ظهر مسلسل وكانت هناك ممثلة تحمل اسم خديجة مثلًا ، وجدنا الكثيرين يهرولون في تسمية ابنتهم خديجة ، ليس حبًا في السيدة خديجة-رضي الله عنها وأرضاها- ، بل حبًا في هذه الممثلة التي تسمَّى خديجة !!

والعجب أن هؤلاء وأمثالهم كانوا يخجلون من هذا الاسم في العهد القريب !!

لكن بعد ظهور ممثلة تحمل نفس الاسم ، أصبحت التسمية به علامة على الرقي والتحضر!! ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

قال الإمام ابن القيم -رحمه الله تعالى- الأسماء ثلاثة أقسام:

[الأول] : قسم يختص المسلمين.[والثاني] : قسم يختص الكفار.[والثالث] : قسم مشترك...

والثاني: كجرجس وبطرس ويوحنا ومتى ونحوها، فلا يمنعون منه ولا يجوز للمسلمين أن يتسموا بذلك؛ لما فيه من المشابهة فيما يختصون به(24).

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ-رضي الله عنهما-، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ»(25).

المطلب الثاني: منهج السنة في المحافظة على هيئة المسلم، وتطبيقه على قصات الشعر.

ومما انتشر في أيامنا هذه، وخاصة بين فئة الأطفال والشباب تقليد غير المسلمين في حلاقة الشعر ، فتجدهم يحلقون بطريقة معينة لا لشيء غير أن هذا المغني أو الممثل أو لاعب الكرة صنع نفس الشيء.

ولو أتينا إلى السنة النبوية المطهرة لوجدنا -على سبيل المثال- نهي النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم- عن القزع.

فعَنْ نَافِعٍ، مَوْلَى عَبْدِ اللَّهِ: أَنَّهُ سَمِعَ ابْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَقُولُ: «سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَنْهَى عَنِ القَزَعِ» قَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ: قُلْتُ: وَمَا القَزَعُ؟ فَأَشَارَ لَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ قَالَ: إِذَا حَلَقَ الصَّبِيُّ، وَتَرَكَ هَا هُنَا شَعَرَةً وَهَا هُنَا وَهَا هُنَا، فَأَشَارَ لَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ إِلَى نَاصِيَتِهِ وَجَانِبَيْ رَأْسِهِ. قِيلَ لِعُبَيْدِ اللَّهِ: فَالْجَارِيَةُ وَالغُلاَمُ؟ قَالَ: لاَ أَدْرِي، هَكَذَا قَالَ: الصَّبِيُّ. قَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ: وَعَاوَدْتُهُ، فَقَالَ: أَمَّا القُصَّةُ وَالقَفَا لِلْغُلاَمِ فَلاَ بَأْسَ بِهِمَا، وَلَكِنَّ القَزَعَ أَنْ يُتْرَكَ بِنَاصِيَتِهِ شَعَرٌ، وَلَيْسَ فِي رَأْسِهِ غَيْرُهُ، وَكَذَلِكَ شَقُّ رَأْسِهِ هَذَا وَهَذَا(26).

وعَنْ نَافِعٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: رَأَى صَبِيًّا قَدْ حُلِقَ بَعْضُ شَعْرِهِ وَتُرِكَ بَعْضُهُ، فَنَهَاهُمْ عَنْ ذَلِكَ، وَقَالَ: «احْلِقُوهُ كُلَّهُ، أَوِ اتْرُكُوهُ كُلَّهُ»(27).

وفي حديث الْحَجَّاجُ بْنُ حَسَّانَ، قَالَ: دَخَلْنَا عَلَى أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، فَحَدَّثَتْنِي أُخْتِي الْمُغِيرَةُ، قَالَتْ: وَأَنْتَ يَوْمَئِذٍ غُلَامٌ وَلَكَ قَرْنَانِ، أَوْ قُصَّتَانِ، فَمَسَحَ رَأْسَكَ، وَبَرَّكَ عَلَيْكَ، وَقَالَ: «احْلِقُوا هَذَيْنِ - أَوْ قُصُّوهُمَا - فَإِنَّ هَذَا زِيُّ الْيَهُودِ»(28).

أي: زينتهم وعادتهم في رءوس أولادهم فخالفوهم(29).

---

24) يراجع: أحكام أهل الذمة لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ) ط1: رمادى للنشر – الدمام 1418هـ – 1997م ت: يوسف بن أحمد البكري - شاكر بن توفيق العاروري.

25) أخرجه:الإمام أبو داود في سننه/كتاب:اللباس/باب:في لبس الشهرة 44/4 حديث:(4031) ، الإمام أحمد في المسند 126/9 حديث(5115).

26) حديث متفق عليه:أخرجه الإمام البخاري في صحيحه/كتاب:اللباس/باب:القزع 163/7 حديث:(5920)، الإمام مسلم في صحيحه/كتاب: اللباس والزينة/ باب: كراهة القزع 1675/3 حديث رقم: (2120).

27) أخرجه الإمام أبو داود في سننه/كتاب:الترجل/باب:في الذؤابة 83/4 حديث:(4195) ط1: الناشر: المكتبة العصرية، صيدا - بيروت ت:محمد محيي الدين عبد الحميد ، الإمام النسائي في سننه الصغرى/كتاب: الزينة/ باب: الرخصة في حلق الرأس 130/8 حديث رقم: (5048). ط2: مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب 1406هـ - 1986م. ت:عبد الفتاح أبو غدة، السنن الكبرى /كتاب: الزينة/ باب: الرخصة في حلق الرأس 312/8 حديث رقم: (9250) ط1: مؤسسة الرسالة – بيروت 1421هـ - 2001 م ت:حسن عبد المنعم شلبي. 1421هـ - 2001م.

28) أخرجه الإمام أبو داود في سننه/كتاب:الترجل/باب:ما جاء في الرخصة 83/4 حديث:(4197)، وضعَّفه الشيخ الألباني-رحمه الله تعالى- يراجع: مشكاة المصابيح لمحمد بن عبد الله الخطيب العمري، أبي عبد الله، ولي الدين، التبريزي (المتوفى: 741هـ)1271/2 حديث(4484) الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت. ت: محمد ناصر الدين الألباني.

29) يراجع: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح لعلي بن (سلطان) محمد، أبي الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (المتوفى: 1014هـ) 2845/7 ط1: دار الفكر، بيروت – لبنان 1422هـ - 2002م.

قال الإمام النووي-رحمه الله تعالى-:» وأجمع العلماء على كراهة القزع إذا كان في مواضع متفرقة إلا أن يكون لمداواة ونحوها وهي كراهة تنزيه، وكرهه مالك في الجارية والغلام مطلقًا، وقال بعض أصحابه: لابأس به في القصة والقفا للغلام. ومذهبنا كراهته مطلقًا للرجل والمرأة؛ لعموم الحديث. قال العلماء: والحكمة في كراهته أنه تشويه للخلق، وقيل: لأنه زي أهل الشر والشطارة، وقيل: لأنه زي اليهود وقد جاء هذا في رواية لأبي داود والله أعلم»(30).

وفي شروط سيدنا عمر-رضي الله عنه- على أهل الذمة: أن يحلقوا مقادم رءوسهم؛ ليتميزوا بذلك عن المسلمين. فمن فعله من المسلمين كان متشبهًا بهم(31).

الخاتمة

اللهم ارزقنا حسنها

الحمد لله الذي بمنِّه وكرمه تتم الصالحات، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا وحبيبنا محمدًا رسول الله -صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم-

وبعد ،،

فقد أكرمني المولى -تبارك وتعالى- ومَنَّ عليَّ بالانتهاء من هذا البحث، وفيما يلي ذكر لأهم النتائج التي توصلت إليها خلال بحثي.

أهم النتائج التي توصلت إليها خلال البحث:

1. رسمت السنة النبوية المطهرة منهجًا واضحًا للمحافظة على هوية الأمة الإسلامية وثوابتها، من ترسم خطاه نال سعادة الدارين.
2. حرص النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم- على التأكيد على تميز المسلمين، وحذَّر الأمة الإسلامية من اتباع غير المسلمين أو الانخراط في طريقهم.
3. كان لفقهاء المسلمين دور بارز في فهم السنة، وكان لهذا الفهم أكبر أثر في المحافظة على هوية الأمة.
4. تميزت المجتمعات الإسلامية بهويتها الأصيلة في مصادرها، وأصولها وفروعها والتي يجب على المسلم الاعتزاز والفخر بها.
5. التشبه بغير المسلمين يجر إلى الرضا بفعلهم ، ويؤدي إلى انسلاخ المسلم من تعاليم دينه ، بل والتهاون في أمور عقيدته وهو ما وضح جليًّا للعيان في أيامنا هذه.
6. حرصت السنة النبوية على التأكيد على تميز المسلم في أدق التفاصيل فلا يصح للمسلم أن يقلد غيره فيما لا يليق من مظهره أو لباسه، بل في حركته أو سلوكه، ومن باب أولى في جانب العقيدة والأخلاق.
7. ساهمت وسائل الإعلام، وشبكات التواصل الاجتماعي -بشكل ملحوظ- في هدم ثوابت الأمة، والمجتمعات المسلمة.
8. لا يجوز للمسلمين أن يتسموا بالأسماء الخاصة بغير المسلمين لما فيه من المشابهة فيما يختصون به.

أهم التوصيات:

1. التحذير من المخططات التي تحاول طمس الهوية الإسلامية وتعمل على تشويه صورة الإسلام.
2. عقد الندوات الدينية، وخاصة في مراكز الشباب للتحذير من انجراف الشباب مع موجات التغريب التي تفد إلينا من بلاد غير المسلمين.
3. الاهتمام بالعلماء والحث على تقديرهم وتحسين أوضاعهم المالية والمعيشية فهم عماد الأمة.
4. تشكيل لجان فقهية يكون كل اهتمامها الرد على ما يثار في وسائل الإعلام من شبهات، ومحاولات للطعن في السنة النبوية المطهرة.
5. وجوب محاورة من تأثر بالثقافات الغربية وأصبح من دعاة التغريب.

---

30) يراجع:شرح النووي على صحيح مسلم 101/14 ط2: دار إحياء التراث العربي - بيروت1392هـ

31) يراجع: المغني لابن قدامة موفق الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي الجماعيلي الدمشقي الصالحي الحنبلي (٥٤١ - ٦٢٠ هـ) (1/ 124) ط3: دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية: ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م ت: الدكتور عبد اللَّه بن عبد المحسن التركي، الدكتور عبد الفتاح محمد الحلو.

فهرس المصادر والمراجع.

أولًا: القرآن الكريم « جلَّ من أنزله ».

ثانيًا: كتب الحديث وعلومه:

1. الترغيب والترهيب للحافظ المنذري عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله، أبي محمد، زكي الدين المنذري (المتوفى: 656هـ) ط1: دار الكتب العلمية - بيروت1417هـ ت:إبراهيم شمس الدين.
2. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وسننه وأيامه (صحيح البخاري) لمحمد بن إسماعيل أبي عبدالله البخاري ط1: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم: (محمد فؤاد عبد الباقي) 1422هـ ت: محمد زهير بن ناصر الناصر.
3. سنن ابن ماجه لابن ماجه أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت: 273هـ) ط: دار إحياء الكتب العربية ت: محمد فؤاد عبد الباقي.
4. سنن أبي داود لأبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد ابن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (ت: 275هـ) ط: المكتبة العصرية، صيدا - بيروت ت: محمد محيي الدين عبد الحميد.
5. السنن الصغرى لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (ت: 303هـ) ط2: مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب 1406هـ- 1986م ت: عبد الفتاح أبو غدة.
6. السنن الكبرى لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (ت: 303هـ) ط1: مؤسسة الرسالة - بيروت 1421هـ - 2001م ت: حسن عبد المنعم شلبي.
7. شرح سنن ابن ماجه للسيوطي وغيره ط: قديمي كتب خانة - كراتشي.
8. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح لعلي بن (سلطان) محمد، أبي الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (المتوفى: 1014هـ) ط1: دار الفكر، بيروت - لبنان 1422هـ - 2002م.
9. مسند الإمام أحمد بن حنبل لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل (ت: 241هـ) ط1: مؤسسة الرسالة 1421هـ - 2001م ت: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرين.
10. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم-(صحيح مسلم) لمسلم بن الحجاج أبي الحسن النيسابوري (ت: 261هـ) ط:دار إحياء التراث العربي - بيروت ت: محمد فؤاد عبد الباقي.
11. مشكاة المصابيح لمحمد بن عبد الله الخطيب العمري، أبي عبد الله، ولي الدين، التبريزي (المتوفى: 741هـ) الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت. ت: محمد ناصر الدين الألباني.
12. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت: 676هـ) ط2: دار إحياء التراث العربي - بيروت 1392هـ
13. مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه لأبي العباس شهاب الدين أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل بن سليم بن قايماز بن عثمان البوصيري الكناني الشافعي (المتوفى: 840هـ) ط2: دار العربية - بيروت 1403هـ ت: محمد المنتقى الكشناوي.

ثالثًا: كتب الفقه:

أ-كتب الحنفية:

1. الدر المختار شرح تنوير الأبصار وجامع البحار لمحمد بن علي المعروف بعلاء الدين الحصكفي الحنفي (ت: 1088هـ) ط1: دار الكتب العلمية 1423هـ- 2002م ت: عبد المنعم خليل إبراهيم.
2. رد المحتار على الدر المختار (حاشية ابن عابدين) لابن عابدين، محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدمشقي الحنفي (ت: 1252هـ) ط2: دار الفكر-بيروت 1412هـ - 1992م.

ب) كتب المالكية:

1. البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل لمسائل المستخرجة لأبي الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي (المتوفى: 520هـ) ط2: دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان 1408هـ - 1988م.
2. مواهب الجليل في شرح مختصر خليل لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن الطرابلسي المغربي، المعروف بالحطاب الرُّعيني المالكي (المتوفى: 954هـ) ط3: دار الفكر 1412هـ - 1992م

جـ) كتب الشافعية:

1. تحفة المحتاج في شرح المنهاج الناشر: المكتبة التجارية الكبرى بمصر: بدون طبعة عام النشر: 1357هـ - 1983م(ثم صورتها دار إحياء التراث العربي - بيروت، بدون طبعة وبدون تاريخ).

د) كتب الحنابلة:

1. الإقناع في فقه الإمام أحمد بن حنبل لموسى بن أحمد بن موسى الحجاوي المقدسي، ثم الصالحي(المتوفى: 968هـ) الناشر: دار المعرفة بيروت – لبنان ت: عبد اللطيف محمد موسى السبكي.
2. «المغني لابن قدامة موفق الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي الجماعيلي الدمشقي الصالحي الحنبلي (٥٤١ - ٦٢٠ هـ) ط3: دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية: ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م ت: الدكتور عبد اللَّه بن عبد المحسن التركي، الدكتور عبد الفتاح محمد الحلو.

رابعًا:كتب الفقه العام:

1. أثر الفتوى في المحافظة على الهوية الإسلامية إعداد الأستاذ الدكتور/ عبد الله بن محمد بن أحمد الطيار بحث مقدم إلى(مؤتمر الفتوى واستشراف المستقبل). المنعقد بجامعة القصيم بالسعودية في الفترة من 23: 24 من شهر المحرم 1435هـ 27 :28 /نوفمبر 2013م.
2. الإفتاء في وسائل الإعلام بين واجب التوجيه وضرورة الانضباط للقواعد الشرعية تأليف: الحاج الحفظاوي(بحث مقدم إلى مؤتمر الفتوى واستشراف المستقبل).

خامسًا:كتب التاريخ:

1. ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر لعبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبي زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي (ت: 808هـ) ط2: دار الفكر، بيروت 1408هـ - 1988م ت: خليل شحادة.

البحث الرابع

أسَاليبْ السنّة النَبوية فيْ عِلاج الخِلافات الزوجية

Methods of the Sunnah of the Prophet in treating marital disputes

الاستاذ الدكتور: برزان مُيّسر حامد الحميد

جامعة الموصل/ العراق

الايميل : dr.barzan_78@yahoo.com

الملخص:

الحمدلله وبه نستعين والصلاة والسلام على خير الأنام وعلى آله وصحبه الطيبين الكرام وبعد :

فإن الحياة الزوجية هي مشروع العمر ومتن الحياة ونواة المجتمع وسر بقاء البشرية ، فهي علاقة جدّية جليلة تنعقد بكلمة الله وتحوطها أمانة الله تعالى ، طرفاها الذكر والأنثى ، وثمرها الذرية الصالحة الطيبة، قال تعالى في محكم التنزيل : ((وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ)) [سورة الروم :21] .

والسعادة الزوجية حُلم ينشدهُ الجميع ، وأمنية تُراود كل زوجين ، ولكن المقاصد تنال بالأسباب ولا يقوم بناء السعادة الزوجية إلاّ على ركنين أساسيين هما :-

الأول : جلب أسباب المودة وأستدامتها . الثاني : دفع أسباب الخلاف ورفعها .

وجلب أسباب المودة والسعادة لها أسبابها :-

1. الاحترام والتقدير المتبادل بين الزوجين
2. المودة والرحمة بين الزوجين .
3. الصراحة والوضوح بين الزوجين
4. معرفة كل من الزوجين ما له وما عليه .

5. الأشتغال بعظائم الامور والترفع عن سفاسفها
6. الاحتكام الى شرع الله عند الخلاف .
7. تلبية رغبات أحدهما للآخر على قدر المستطاع
8. الحوار الهادئ والبنّاء .
9. التشاور فيما يخصهما من أمور
10. طاعة الزوجة لزوجها وحسن معاشرة الزوج لزوجته .
11. قوامة الرجل وحنان المرأة .

أما دفع أسباب الخلاف والمشاكل ، ورفعُها ، فإنه يحتاج أبتداءً الى معرفة أسباب الخلاف أو المشكلة ، ثم الى البدء في وضع الحلول المناسبة لكل سبب .

وقد أهتم الدين الاسلامي الحنيف بالحياة الزوجية أهتماماً عظيماً ، وسمّى الله تعالى عقد الزواج ميثاقاً غليظاً ، قال الله تعالى : ((وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا)) [سورة النساء :21] . ولأن صلاح الأسرة يؤدي الى مجتمع صالح ، وفسادها فساد للمجتمعات ، فقد وضع الأسلام قواعد ثابتة للحياة الزوجية وأحاطها بكل عناية، لضمان استمرارها ودوامها، فلم يترك جانباً منها إلاّ تعرض له موضحاً حكم الله تعالى فيه، وبيّن لكل من الزوجين ما له من حقوق وما عليه من واجبات ، وحذّر من كل من يكّدر صفو العلاقة الزوجية .

ومما لا شك فيه أن الحياة الزوجية السعيدة مطلب لكل زوجين، ولكن سفينة الحياة قد تعترضها بعض الأمواج العاتية المتلاطمة ، فتهدد سيرها وقد تحّول مجراها الى وجه لا يرضاه ركابها، كذلك الحياة الزوجية قد تعتريها بعض المشاكل التي تنغصُ صُفوها ، وتهدّد بقاؤها . والخلافات الزوجية أمر لا بدّ منه ، والذي يدّعي خلوّ حياته منها فإدعاؤه غير صحيح بل هو ضرب من الخيال ، فطبيعة الحياة وتعقيداتها تفرض ذلك وتولد هذه الخلافات والمشكلات ما دام الأنسانُ إنساناً .

فحياة النبي (صلّى الله عليه وسلّم) مع أزواجه مع سموها ورفعتها وطهرها لم تخلُ من المشاكل والخلافات ، ذلك أن الرسول الكريم محمداً (صلّى الله عليه وسلّم) وزوجاته بشر، ولا بدّ أن يطرأ على هذه الحياة البشرية ما يطرأ على حياة الناس من المشاكل والخلافات لنتعلم منها ونأخذ الدروس والعبر.

والقضية الأهم ليست في وجود هذه المشاكل والخلافات التي تُعكّر صفو الحياة الزوجية بل في طرق تعامل الزوجين معها وكيفية وضع الحلول المناسبة لها .

فبيت النبوة – كما أسلفنا – أشرف البيوت وأطهرها، كانت تمر به المشكلات والمحن ، ولكن كان لنبينا (عليه افضل الصلاة واتم التسليم) وهو الرحمةُ المهداة، مهارات وأساليب بديعة وطرق حكيمة أستطاع من خلالها أن يحتوي تلك المشاكل والخلافات ، فتنجو سفينة الحياة الزوجية من أن تغرق في امواجها أو أن تعصف بها رياحها .

وقد نقلت لنا كتب السيرة النبوية المُطّهرة والحديث النبوي الشريف، صوراً من تلك المشكلات والخلافات التي عصفت بالبيت النبوي الشريف، وأبرزت لنا النهج المحمّدي في التعامل مع تلك المشاكل والخلافات بحكمة ورؤية ودراية ، وهذا ينبغي أن نتأمله لنستلهم منه الدروس والعِبر ولتكون نبراساً يَضئ لنا في مدلهماتُ الخطوب .

الكلمات المفتاحية: أساليب، السنّة النبوية ، الخلافات، علاج ، الزوجية .

Abstract :

Married life is the project of life, the body of life, the nucleus of society, and the secret of the survival of humanity.

Undoubtedly, a happy married life is a requirement for every married couple, but the ship of life may be intercepted by some powerful crashing waves, threatening its course and may turn its course to a face that is not acceptable to its passengers. And marital disputes are inevitable, and whoever claims that his life is free of them, his claim is not true, rather it is a kind of imagination, as the nature of life and its complexities impose this and generate these differences and problems as long as a person is a human being.

The life of the Prophet (may God's prayers and peace be upon him) with his wives, with their eminence, elevation and purity, was not without problems and disagreements, because the Holy Prophet Muhammad (peace and blessings of God be upon him) and his wives are human beings, and it is inevitable that this human life will have the same problems and disagreements that occur in people's lives To learn from them and take lessons and lessons.

The most important issue is not the existence of these problems and disagreements that disturb marital life, but rather the ways the spouses deal with them and how to find appropriate solutions to them.

The House of Prophecy - as we mentioned above - is the most honorable and purest of the houses. Troubles and tribulations were passed through it, but our Prophet (upon him be the best of prayers and peace be upon him), which is the gift of mercy, had wonderful skills and methods and wise methods through which he was able to contain those problems and disagreements, so the ship of married life would be saved from that Drowning in its waves or being swept by its winds.

The books of the purified biography of the Prophet and the honorable hadith of the Prophet conveyed to us pictures of those problems and disagreements that afflicted the noble Prophet's house, and they showed us the Muhammadan approach in dealing with those problems and disagreements with wisdom, vision and know-how. Engagements .

Keywords:methods, the Sunnah of the Prophet, disputes, treatment, marriage.

المقـــدمة :

الحمدلله الملك العلاّم ، الذي شرّع الشرائع وسَنَّ الأحكام وأوضح فيما شرعه وبيّن الحلال والحرام، وضمّن دينه وشريعته كل ما فيه مصلحة للأنام، أما بعد :

لقد حرص الأسلام على صيانة الأسرة من التفكك والأنهيار ومن الشقاق والشتات، وأحاطها بسياج متين من الآداب والأخلاق، وأرسى المبادئ القويمة التي تدرأ عنها المشكلات والخلافات التي تنغص على الزوجين سعادتهما وتذهب بالمودة والسعادة بينهما. كما منع الأسلام كل ما من شأنه أن يُفرق بين افرادها أو يعيق الأسرة عن تحقيق أهدافها .

وقد حصرَ القران الكريم موضوع المرجعية في شخص النبي (صلى الله عليه وسلم) عندما قال:)) لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ))[سورة الاحزاب: 21] فهو (صلى الله عليه وسلم) القدوة والأسوة في كل ما يهم الانسان ويخصه في حياته وشؤونه، لذلك كان (صلى الله عليه وسلم) هو النموذج الأوحد في الكمال الانساني والرقي الحضاري،وتعاليمه هي البوصلة الهادية الى الطريق القويم المستقيم،وبها يتم التوازن المنشود للحياة والأحياء .

وفي هذه الدراسة المتواضعة سأُقدم أنموذجاً نتعرف من خلاله على منهج النبي (صلى الله عليه وسلم) في حياته الزوجية، وتعامله مع اهله داخل منزله وخارجه، كما نتعرف على مهاراته وأساليبه (صلى الله عليه وسلم) في حل الخلافات والمشاكل الزوجية في بيته الكريم .

وجدير بالذكر أنّ دراسة هذا الموضوع تأتي في أطار الحديث عن فقه الأسرة المسلمة ، والبحث عن مزيد من الحلول للحفاظ على خصائصها وميزاتها والإبقاء على تماسكها ووحدتها . وهنا لا بد من الأشارة الى أنّ نظام الأسرة في الأسلام ما زال محتفظاً بخصائصه ومزاياهُ ولم يتصدع رغم كل محاولات المسخ والتشويه التي تُريدُ لِعقدِ هذا النظام أن ينفرط ، وأن تخرج الأسرة من النظام الذي أراده الله تعالى نظاماً مستقراً آمناً - يقوم بواجبه في تنشئة الأجيال المؤمنة لتحقيق الأهداف والغايات العليا- الى التشتت والفوضى والضياع ، ومن ثم الأنصياع الكامل لمخططات الشيطان ، وتحقيق اهدافه للنيل من كرامة الانسان، وتفتيت المجتمع المسلم . وأستقرار الأسرة يستحق منّا كل رعاية وأهتمام ، وذلك لأنها تمثل آخر حلقة من الحلقات التي يستهدفها التآمر الغربي في صراعه مع الاسلام عقيدةً وشريعةً وأخلاقاً.

ولهذا كان من الضروري أن تُقدَّمُ الحياة الزوجية للنبي (صلى الله عليه وسلم) بصورة معاصرة ، وبلغة معاصرة ، لتعيش الأسرة المسلمة في هذا العصر قريباً من أنموذج الأسرة النبوية ، ويتم من خلالها إعادة تشكيل الأسرة المسلمة ، بدلاً عن تشكيلها من خلال العادات البائدة أو الافكار الوافدة .

ولا شك إنَّ هذه الأساليب التي أتبعها النبي (صلى الله عليه وسلم) في حل الخلافات والمشاكل الزوجية التي عرضت في بيته الكريم هي بمثابة الحلول لكثير من المشاكل التي تعترض الحياة الزوجية ، ويستطيع الزوج الحكيم بعد دراستها أن يستفيد منها في معالجة أية مشكلة ، وذلك بالقياس عليها ، والأستهداء بها، ومن ثم الأطمئنان الكامل بصحة نتائجها ، بأعتبارها صادرة عن أكمل الأزواج سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام . بل يستطيع المسلم أن يستفيد منها في معالجة كثير من المشكلات اليومية التي تعترضه في حياته الخاصة والعامة ، وهنا تكمن اهمية هذه الدراسة .

وأقتضت طبيعة الدراسة أن نقسمّها الى مقدمة ومبحثين وخاتمة عرضنا فيها أهمَّ من توصلت إليهِ الدراسةُ من نتائج ، تناولنا في المبحث الأول : الرسول الزوج(صلّى الله عليه وسلم) ومنهجه في حياته الزوجية، ومن الأمثلة على ذلك حُسن تعامل النبي(صلّى الله عليه وسلم) مع أهله في الجوانب الأقتصادية، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر مسألة السكن، فقد أسكن رسول الله(صلّى الله عليه وسلم) أزواجه في الحجرات ، وكان لكل زوجة حجرة خاصة بها، وقد جاء ذكر الحجرات في القران الكريم بقوله تعالى:((إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْلَا يَعْقِلُونَ))[سورة الحجرات: 4]. كما جاء ذكرها في السنّة النبوية المُطّهرة : عن أم سلمة زوج النبي(صلّى الله عليه وسلم) قالتِ : أسْتيقظ رسول الله(صلّى الله عليه وسلم) ليلة فزعاً يقول : ((سبحان الله ! ماذا أنزل من الخزائن ؟ وماذا أنزل من الفتن ؟ من يوقظ صواحب الحجرات ؟ - وهو يقصد بذلك أزواجه لكي يصلّين - رُبَّ كاسية في الدنيا، عارية في الآخرة .

في حين أختص المبحث الثاني بالحديث عن: بعض أساليبه ومهاراته (صلّى الله عليه وسلم) في حل الخلافات والمشكلات الزوجية، نذكر من هذه الأساليب، أسلوب الأبتسامة والدعابة ، فكان يرى (عليه الصلاة والسلام) أنَّ موقفاً معيناً لا يُجْدِي ولا ينفع فيه الغضب ولا العنف، وما أكثر المواقف التي كان يقابلها (عليه الصلاة والسلام) بالتبّسم المشفق ، أو الدعابة الحلوة التي تغّير وجه الموقف كله، فكم من مشكلة ليس لها من حلٍ سوى الأبتسامة أو الدعابة الحلوة التي تضفي عليها طابع المرح ، وتبعدها عن دائرة الجد الذي يزيد من تفاقم المشكلة أحياناً ، ويصعب معه حلّها، وسنعرض بعضاً من هذه المواقف في ثنايا البحث ان شاءالله.

أهمية موضوع الدراسة : تكمن أهمية موضوع الدراسة في: إنَّ الأساليب التي أتبعها النبي (صلى الله عليه وسلم) في حل الخلافات الزوجية التي عرضت له في بيته الكريم هي بمثابة الحلول لكثير من المشاكل التي تعترض الحياة الزوجية ، ويستطيع الزوج الحكيم بعد دراستها أن يستفيد منها في معالجة أية مشكلة ، وذلك بالقياس عليها ، والأستهداء بها، ومن ثم الأطمئنان الكامل بصحة نتائجها ، بأعتبارها صادرة عن أكمل الأزواج سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام .

أهداف الدراسة : الوقوف على المفردات السلوكية التي انتظم منها عقدُ الحياة الكريمة للأسرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم ، وإتخاذها النموذج الأوحد للمسلم ، ومثال للأسرة السعيدة لكل من أراد أن تكون حياته الزوجية سعيدة .

مشكلة الدراسة: تتلخص في أن المشكلات والخلافات الزوجية بدأت تتفاقم في مجتمعنا الإسلامي أكثر من أي وقت مضى ، وفي الوقت نفسه يتم إستيراد الحلول من الشرق والغرب وممن يعلم وممن لا يعلم ، ويتم التجاهل عمداً أو جهلاً الأساليب النبوية التي زخرت بها السنّة النبوية في الأقوال والأفعال والتقريرات ، كما إن هذه الخلافات لم تخلُ منها حياة الصحابة الكرام(رضي الله عنهم) حتى وضع لها النبي(صلى الله عليه وسلم) الحلول والعلاجات المناسبة ، بل بيت النبوة نفسه ضرب لنا أروع الأمثلة في حل مثل هذه الخلافات الزوجية حال حدوثها أو وقوعها .

منهج الدراسة : لقد آثرنا اعتماد المنهج القائم على الأستقراء والوصف والتحليل، للوقوف على ماهية الأساليب والمهارات التي صدرت عن مشكاة النبوة وعالج بها الخلافات والمشكلات التي عرضت في بيته الكريم ، مع الرجوع الى المصادر المختصة وتوثيق النصوص حسب أصول البحث التاريخي .

الدراسات السابقة : من خلال البحث والتمحيص أتضح لنا أن هناك من تعرض للكتابة في مثل هذه المواضيع التي تخص بيت النبوة على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم وأساليبه الشريفة في حل المشكلات التي أعترضت له مع زوجاته أمهّات المؤمنين ، نذكر منها الدراسة التي تقدم بها أسد مجيب الله سعادت والتي وسمت بـــــــ :» مهارات حل الخلافات الزوجية في السنّة النبوية « ، وكذلك الدراسة التي تقدم بها عبد السميع الانيس والتي وسمت بـــــــ : الاساليب النبوية في معالجة المشكلات الزوجية .

المبحث الأول

الرسول الزوج(صلّى الله عليه وسلم) ومنهجه في حياته الزوجية

إنّ مما أهتم به الأسلام ،هو الأسرة المسلمة ، فقد وردت آيات كثيرة في كتاب الله عز وجل تنّظم الأسرة وتقّيم صلبها وتعالج مشاكلها، ثم جاءت السنّة النبوية المطّهرة فأتممت الأمر وأوضحته ، وكانت سيرة الرسول(صلى الله عليه وسلم) خير مثال على حسن رعاية الأسرة ورعايتها، والمحافظة عليها والقيام بحقوقها .

إنّ أي مؤمن في المجتمع الأسلامي لا يكتسب صفة الأفضلية ، ولا ينالُ شرف الخيرية بين المسلمين إلاّ بعد أن يُتقن التعامل الجيد مع اهله ، ذلك لأنها اللبنة الاولى في المجتمع ، فإذا أحسن الفرد المسلم التعامل معها كان ذلك بمثابة الشهادة له بأنه مؤهل لان يصبح عضواً نافعاً في المجتمع الإسلامي .

وفي هذا يقول عليه الصلاة والسلام : ((خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي)) (1) .

وإذا كان الامر كذلك فلا بد لنا من الرجوع الى النموذج الذي مثّل قمة الخيرية في التعامل الأفضل مع اهله : إنه الرسول الزوج (صلى الله عليه وسلم) .

---

1) أخرجه الترمذي (3895)، وقال هذا حديث حسن ، وابن حبان (4177) ،عن عائشة، ورواه ابن ماجة (1977) عن ابن عباس ، ورواه احمد (10106) ، والترمذي (1162) عن ابو هريرة ، ولفظه: « وخياركم خياركم لنسائهم» .

ولا بد لنا ان نقف على المفردات السلوكية التي انتظم منها عقدُ الحياة الكريمة لهذه الاسرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام .

إن الأسرة النبوية هي النموذج الأوحد للمسلم ، وهي مثال الأسرة السعيدة لكل من يريد أن تكون حياته الزوجية سعيدة .

وإذا كان الأمر كذلك فلا بدّ لنا من الأطلاع على مفردات هذه الخيرية في حياته (صلى الله عليه وسلم) مع أهله ، وذلك من خلال تعامله (صلى الله عليه وسلم) مع زوجاته في الجوانب التي سيأتي ذكرها لاحقاً .

أولاً:- تعامل النبي (صلى الله عليه وسلم) مع زوجاته في الجوانب الاقتصادية :

ويتضح ذلك من خلال الأمثلة الآتية :-

أ:- من حيث السكن :

لقد أسكن رسول الله(صلّى الله عليه وسلم) أزواجه في الحجرات ، وكان لكل زوجة حجرة خاصة بها، وقد جاء ذكر الحجرات في القران الكريم بقوله تعالى: ((إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ))[سورة الحجرات: 4]. كما جاء ذكرها في السنّة النبوية المُطّهرة : عن أم سلمة زوج النبي(صلّى الله عليه وسلم) قالتِ : أسْتيقظ رسول الله(صلّى الله عليه وسلم) ليلة فزعاً يقول : ((سبحان الله ! ماذا أنزل من الخزائن ؟ وماذا أنزل من الفتن ؟ من يوقظ صواحب الحجرات ؟ - وهو يقصد بذلك أزواجه لكي يصلّين - رُبَّ كاسية في الدنيا ، عارية في الآخرة(2) .

ب:- من حيث الإحسان في النفقة :

ومن مظاهر الخيرية في الحياة الزوجية للنبي (صلى الله عليه وسلم) أنه كان كريماً في إنفاقه على أهله ، وهذا أمر غير مستغرب أبداً ، لا سيما إذا علمنا من شمائله عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم أنه كان أجود الناس (3) .

فهل يُعقل أن يكون أجود الناس خارج بيته ، ولا يكون أجود الناس داخل بيته ؟ والأدلة على ذلك كثيرة ، منها ما جاء عن لقيط بن صَبرْة قال : ((كنت وافد بني المنتفق الى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ... وفيه :

بينما نحن مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) جلوس إذ دفع الراعي غنمه الى المُراح- ماوى الغنم والأبل ليلاً - ومعه سخلة تَيْعِر - هو صوت الشاة- فقال : ما ولدت يافلان ؟ قال: بَهْمةَ- وهي : ولد الشاة أول ما يولد - قال : فأذبحح لنا مكانها شاة .

ثم قال : لا تحسبنّ أنّا من أجلك ذبحناها ، لنا غنم مئة ، لا نريد أن تزيد ، فإذا ولّد الراعي بَهْمةَ ذبحنا مكانها شاة)) (4) .

إنّ رسول الله(صلى الله عليه وسلم) كان غنياً بدليل قوله تعالى:((ووجدك عائلاً فأغنى))[الضحى: 8]. وكان يسأل ربه الغنى فيقول:((اللهمّ إني اسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى))(5) .

وكان يستعيذ بالله تعالى من الفقر ، فيقول : ((اللهمّ إني أعوذ بكَ من الكفر والفقر))(6) .

قال ابن حزم : ((وكان يُنفق على نسائه كل سنة عشرين وسقاً من شعير ، وثمانين وسقاً من تمر ، هكذا رويناه من طريق في غاية الصحة . وروينا من طريق فيه اضعف: ان هذا العدد لكل واحدة منهن في العام ، فالله اعلم ، فقد كان لكل واحدة منهن الإماء والعبيد والعتقاء في حياته(صلى الله عليه وسلم) (7) .

لكن قال الشوكاني في «نيل الأوطار» : ((ويدل على ذلك ما ثبت أن النبي(صلى الله عليه وسلم) كان يعطي كل واحد من

---

2) رواه البخاري(7069) كتاب الفتن .

3) رواه البخاري(2627) .

4) أخرجه أبو داؤد (143) .

5) رواه مسلم (2721) ، والترمذي (3489) عن عبدالله بن مسعود .

6) انظر الحديث بكامله في سنن أبي داؤد (5090) وغيره .

7) جوامع السيرة النبوية، ص 34، والوسق : ستون صاعاً، والصاع في الموازين المعاصرة : ثلاثة الآف غراماً على جهة التقريب .

زوجاتـه مئـة وسـق مـن خيـبر)) (8) .

وقـد كان للنبـي محمـد (صـلى اللـه عليـه وسـلم) مصـادره المتعـددة التـي يُنفـق منهـا عـلى اهلـه (9) ، ومنهـا : الفـيء (10) ، والغنائـم (11) ، والصفـي (12) ، وكذلـك الهدايـا التـي كانـت تهـدى إليـه مـن المسـلمين وغيرهـم ، فمـن المعلـون أن رسـول الله(صـلى اللـه عليـه وسـلم) كان يقبـل الهديـة ولا يـأكل الصدقـة (13) .

ثانياً:- تعامل النبي (صلى اللّه عليه وسلم) مع زوجاته في الجانب الانساني :

مـن مظاهـر الخيريـة عنـد رسـول اللـه (صـلى اللـه عليـه وسـلم) حُسـن تعاملـه مـع زوجاتـه في جانبـه الانسـاني ويتضـح ذلـك مـن خـلال الامثلـة الآتية :-

أ:- دخوله عليهن ومؤانسته لهن :

وكان لـه (صـلى الـه عليـه وسـلم) نظـام في الدخـول والخـروج عليهـن يعرفنـه جميعـاً ، وكان يطـوف عليهـن كل صبـاح فيسـلّم عليهـن ويدعـو لهـن .

عـن ابـن عبـاس قـال: ((وكان رسـول اللـه (صـلى اللـه عليـه وسـلم) إذا صـلّى الصبـح جلـس في مصـلاه ، وجلـس النـاس حولـه حتـى تطلـع الشـمس ، ثـم يدخـل عـلى نسـائه إمـرأة إمـرأة يسـلّم عليهـن ، ويدعـو لهـن ، فـإذا كان يـوم إحداهـن كان عندهـا)) (14) .

وجدير بالذكر ان هذا النظام الذي سار عليه رسول الله(صلى الله عليه وسلم) لم يتركه ، وكان يطبقه حتى أيام زواجهِ .

عـن أنـس(رضي اللـه عنـه) قـال: بُنـي عـلى النبي(صـلى اللـه عليـه وسـلم) بزينـب ابنـة جحـش بخبـز ولحـم ... وفيـه : خـرج النبي(صـلى اللـه عليـه وسـلم) فأنطلـق الى حجـرة عائشـة فقـال : ((السـلام عليكـم أهـل البيـت ورحمـة اللـه)) . فقالـت : وعليـك السـلام ورحمـة اللـه ، كيـف وجـدت اهلـك ؟ بـارك اللـه لـك . فتقَّـرى – أي تتبـع- حجـر نسـائه كلهـن ، يقـول لهـن كـما يقـول لعائشـة ، ويقلـن لـه كـما قالـت عائشـة ثـم رجـع النبـي (صـلى اللـه عليـه وسـلم)، فـإذا رهـط ثلاثـة يتحدثـون في البيـت، وكان النبـي - صـلى اللـه عليـه وسـلم - شـديد الحيـاء، فخـرج منطلقـا نحـو حجـرة عائشـة، فـما أدري أخبرتـه أو أخـبر أن القـوم قـد خرجـوا، فرجـع حتـى وضـع رجلـه عـلى أسـكفة البـاب داخلـه، والأخـرى خارجـه، وألقـى السـتر بينـي وبينـه وأنـزل الحجـاب (15) .

وفي روايـة اخـرى: أولم رسـول اللـه (صـلى اللـه عليـه وسـلم) حـين بنـى بزينـب بنـت جحـش، فأشـبع النـاس خبـزا ولحـما، وخـرج إلى حجـرات أمهـات المؤمنـين، كـما كان يصنـع صبيحـة بنائـه، فيسـلم عليهـن، ويدعـو لهـن، ويسـلمن عليـه، ويدعـون لـه، فلـما رجـع إلى بيتـه رأى رجلـين، جـرى بينهـما الحديـث، فلـما رآهـما رجـع عـن بيتـه، فلـما رأى الرجـلان نبـي اللـه رجـع عـن بيتـه وثبـا مسرعـين، فـما أدري أنـا أخبرتـه بخروجهـما أو أخـبر، فرجـع حتـى دخـل البيـت؛ فأرخـى السـتر بينـي وبينـه، وأنزلـت آيـة الحجـاب.

وقـد كان عليـه الصـلاة والسـلام يعـدل بـين نسـائه، ولم يكـن يفضـل واحـدة منهـن عـلى غيرهـا فيـما يملـك العـدل فيـه، ومـن ذلـك : القسـم العـادل في المبيـت ، والقرعـة بينهـن أذا أراد سـفراً (16) .

ب:- تصريحه بحب اهله :

8) 221/5 .

9) انظر الحديث بكامله في سنن أبي داؤد (5090) وغيره .

10) وهو ما أفاء الله عليه من المشركين من غير قتال ، ومثال ذلك : الاموال التي كانت تأتيه من نخيل بني النضير وفدك. رواه البخاري(4033)، ومسلم(1757).

11) ما كان يغنمه المسلمون من جراء المعارك العسكرية التي كانت تقع بينهم وبين اعدائهم وهي كثيرة .

12) وهو ما كان رسول الله عليه الصلاة والسلام يصطفيه من كل غنيمة يغنمها المسلمون قبل ان يقسم المال . انظر: الأموال ، لأبي عبيد، ص14 ؛ وانظر كذلك : الأساليب النبوية لـــــ : عبد السميع الانيس ،ص 21 .

13) رواه أبو داؤد :174/4 .

14) رواه أبو داؤد :174/4 .

15) رواه البخاري(4793) ، كتاب التفسير ، باب: قوله « لا تدخلوا بيوت النبي الاّ أن يُؤذن لكم الى طعام» .

16) اخرجه أبو داؤد (3135) كتاب النكاح ، باب القسم بين النساء ،والحاكم :186/2؛ وانظر كتاب الطبقات لأبن سعد :365/1؛ الاساليب النبوية لـــــ عبد السميع الانيس، ص 31 .

ومن مظاهر الخيرية في الحياة الزوجية للنبي(صلى الله عليه وسلم) في جانبها الأنساني أنه كان يحب اهله ويصرح بذلك :

وفي هذا الصدد أود أن أشير الى آية كريمة في كتاب الله تعلى تتحدث عن العلاقة التي يجب أن تسود بين الزوجين ، قال تعالى: ((ومن ايته ان خلق لكم من انفسكم أزواجاً ...)) [الروم: 21] .

إذاً ، فليس بغريب على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ان يتحدث عن هذه المودة ، وهناك شواهد متعددة تدل على ما نحن بصدد الحديث عنه نذكر منها :

عن عائشة (رضي الله عنها) قالت (17) : ما غِرْتُ على أحد من نساء النبي (صلى الله عليه وسلم) ما غِرْتُ على خديجة وما رأيتها ، ولكن كان النبي (صلى الله عليه وسلم) يكثر ذكرها - وفي رواية (18) :

لكثرة ذكره إياها ، وثناءه عليها - وربما ذبح الشاة ثم يُقطّعها اعضاءً ، ثم يبعثها في صدائق (19) خديجة ، فربما قلت له : كأنه لم يكن ي الدنيا امرأة إلاّ خديجة ! فيقول: ((إنها كانت ، وكانت ، وكان لي منها ولد)) . وقد أوردت لنا كتب السيرة والحديث شواهد كثيرة بهذا الخصوص ولكن اكتفينا بما ذكرناه خشية الأطالة .

ثالثاً:- وفاؤه بحقوق المعاشرة الزوجية الخاصة :

ومن مظاهر الخيرية في الحياة الزوجية للنبي (صلى الله عليه وسلم) في جانبها الأنساني : وفاؤه بحقوق المعاشرة الزوجية الخاصة .

فقد شرّع الأسلام المباشرة الزوجية للأستمتاع الطيّب، وأباح ممارستها في عامة الظروف والأحوال ، وجعلت مجالات الحظرمحدودة للغاية وذلك في فترة الحج عندما يكون كل من الزوجين في حالة الإحرام ، وفيما اذا كان كل من الزوجين أو احدهما صائماً .

وفيما اذا كانت المرأة في حالتي الحيض والنفاس ، وأعني بالمباشرة المحظورة هنا الجماع . بل ان الحق تبارك وتعالى قد قرر بأن حب الشهوات من النساء من متع الحياة فقال: ((زين للناس ...))[آل عمران :14] .

وقد أكد النبي(صلى الله عليه وسلم) هذا المعنى عندما قال: ((الدنيا متاع ، وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة)) (20) .

وإذا كانت المرأة من افضل مُتع الحياة فلا غرابة ان نجدها من الأمور التي حُبّبت إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) ، وهو امر يتفق مع الفطرة السليمة ، ويتجاوب مع الإنسانية الكاملة التي مثلها رسول الله عليه الصلاة والسلام .

عن أنس (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم):((حُبِب إليَّ من دنياكم : النساء والطيب، وجعلت قرة عيني في الصلاة)) (21) .

ان النبي عليه الصلاة والسلام يريد بهذا التوجه ان يصرف أمته عن الرهبنة التي شاعت في اوساط المتدينين في الديانات الاخرى، وعن العادات والأفكار التي ألفوها وهي بعيدة كل البعد عن المنطق السليم ، والفطرة المستقيمة .

ولهذا فالزواج من سنته (صلى الله عليه وسلم) وقد نعى على أصحابه عندما أراد أن لا يتزوج النساء ، فقال :((... أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له ، ولكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس منّي)) (22) .

وهناك نماذج من الحياة الزوجية الخاصة عند النبي (صلى الله عليه وسلم) ، وهي بمثابة الجانب التطبيقي لما قررته آنفاً من مفاهيم حول المعاشرة الزوجية ، وهي بحد ذاتها كافية ليطلّع المسلم على هديه (صلى الله عليه وسلم) في مثل هذا الموضوع الحساس ، ومن ثم يتابع الطريق بمفرده ضمن الأطار الذي رسمه النبي عليه الصلاة والسلام له .

---

17) رواه البخاري (3818) ، ومسلم (2435) ، (76) .

18) رواه البخاري (5228) .

19) صدائق أي : صديقات . انظر: الاساليب النبوية لـــ عبد السميع الانيس، ص 36 .

20) رواه مسلم (1467) .

21) رواه احمد (12293)، (12294)، والنسائي :7/61-62، والحاكم :2/160، وصححه، والضياء في «المختارة» (1737)، وصححه وقوّاه الذهبي في «الميزان»:2/177، وحسنه ابن حجر في التلخيص :3/116 .

22) رواه البخاري (5063) ، ومسلم (1041) .

ومن هذه النماذج: وفاؤه (صلى الله عليه وسلم) بحق المرأة من المباشرة، وكذلك على الزوجة الصالحة أن تهيئ نفسها لزوجها، وتستعد له، وفي هذا الباب يدخل أيضاً : تزين المرأة وتجملها، وإن أراد الزوج تكرار الجماع في الليلة الواحدة فلا بأس لكن عليه أن يتوضأ ، لقوله:(صلى الله عليه وسلم):((إذا اتى أحدكم اهله ثم أراد أن يعود فليتوضأ)) (23) .

ومن الأمور التي كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يؤكد عليها في الحياة الزوجية الخاصة : الملاعبة والمضاحكة بين الزوجين، وكذلك التقبيل قبل المباشرة ، والملاطفة في الطعام والشراب، وأغتساله مع زوجاته (24) .

وهناك مفردات خيرية أخرى في الحياة الخاصة للنبي (صلى الله عليه وسلم) توضح مدى تعامله الحسن مع زوجاته في جوانب كثيرة يطول شرحها، لذا سنكتفي بالأشارة إليها بشكل سريع، ومنها تعامله (صلى الله عليه وسلم) مع زوجاته في الجانب التعاوني، والجمالي ، والترفيهي وغير ذلك .

المبحث الثاني

بعض أساليبه ومهاراته (صلّى الله عليه وسلم) في حل الخلافات والمشكلات الزوجية

ينبغي أن يُعلم أن بيته عليه الصلاة والسلام هو أفضل البيوت وأزكاها ، فهو عليه الصلاة والسلام أحسن الناس معاشرة لأهله، وأكملهم خلقاً وتعاملاً مع زوجاته عليه الصلاة والسلام.

فقد روى عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي) (25) .

قال ابن كثير رحمه الله : « وكان من أخلاقه صلى الله عليه وسلم أنه جميل العِشْرَة دائم البِشْر ، يداعب أهله ، ويَتَلَطَّفُ بهم ، ويُوسِّعُهُم نَفَقَته ، ويُضاحِك نساءَه ، حتى إنه كان يسابق عائشة أم المؤمنين يَتَوَدَّدُ إليها بذلك ، قالت : سَابَقَنِي رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فَسَبَقْتُهُ ، وذلك قبل أن أحملَ اللحم ، ثم سابقته بعد ما حملتُ اللحمَ فسبقني ، فقال : « هذِهِ بتلْك « ، ويجتمع نساؤه كل ليلة في بيت التي يبيت عندها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيأكل معهن العشاء في بعض الأحيان ، ثم تنصرف كل واحدة إلى منزلها ، وكان ينام مع المرأة من نسائه في شعار واحد ، يضع عن كَتِفَيْه الرِّداء وينام بالإزار ، وكان إذا صلى العشاء يدخل منزله يَسْمُر مع أهله قليلاً قبل أن ينام ، يُؤانسهم بذلك صلى الله عليه وسلم) (26) .)

لقد عاش رسولنا الكريم (صلى الله عليه وسلم) مع زوجاته الطاهرات أمهات المؤمنين حياة سعيدة طيبة هانئة إذا إنها كانت تطبيقاً عملياً دقيقاً لقوله تعالى:((وعاشروهن بالمعروف))[سورة النساء: جزء من الاية19]. فلا عجب بعد ذلك أن نرى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يتحدث عن حياته الزوجية بقوله:((وانا خيركم لأهلي)) . وقد سبق الحديث عن هذه الخيرية في الجوانب الأقتصادية والأنسانية وغيرهما ، في حياته الزوجية(صلى الله عليه وسلم) .

ولكن لا بد أن تثور بعض المشكلات في هذا البيت الكريم « وهي من الندرة بحيث لا تُذكر لولا ما تَعَّود المسلمون من ذكر كل كبيرة وصغيرة في حياته الخاصة والعامة على السواء ، وهذا مع طول العشرة ، وتعدد الزوجات، وكثرة الحوادث الجسام ، وقلة النسل الذي يصل المقطوع ، ويرأب المصدوع (27) .

ولكن رسولنا الكريم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم كان في كل مرة يعالج هذه المشكلات والخلافات ، ويقضي عليها بما عرف عنه من الحكمة والعقل والرحمة والأنصاف ، ولقد أتبع عليه الصلاة والسلام في معالجة هذه المشكلات والخلافات اساليب ومهارات متعددة حاولنا أستقصاؤها بكل ما أوتينا من قوة وحلم في البحث عنها لتكون نبراساً تهدي بها الأسرة المسلمة في أرتقاءها الى محلها الأسمى ، والمحافظة على دورها في تنشئة الأجيال المؤمنة لتحقيق الاهداف العليا في مجتمعنا الإسلامي، وهي بمثابة الحلول لكثير من المشاكل التي تعتري الحياة الزوجية ، ويستطيع الزوج الحكيم بعد دراستها أن يستفيد منها في معالجة وحل أي مشكلة

23) رواه مسلم (6023) .

24) ابن حجر، فتح الباري : 272/7 ؛ وانظر : الاساليب النبوية لـــــ عبد السميع الانيس ، ص 42 .

25) رواه الترمذي(3895) وصححه الالباني في صحيح سنن الترمذي .

26) تفسير ابن كثير : 2/ 242. .

27)) عبقرية «محمد»، لـــ عباس محمود العقاد ،ص125 ؛ وانظر: الاساليب النبوية لـــــ عبد السميع الانيس، ص 97 .

تعترضه ، وذلك بالقياس عليها والأستهداء بها ، ومن ثم الاطمئنان الكامل بصحة نتائجها ، بأعتبارها صادرة عن أكمل الأزواج سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم ، بل يستطيع المسلم أن يستفيد منها في معالجة كثير من المشكلات اليومية والخلافات الزوجية التي تعترضه في حياته الخاصة .

ويمكننا استعراض بعض من هذه المهارات والأساليب على النحو التالي :

أولاً:- مهارة الحلم وضبط النفس :

الحلم هو ضبط النفس والطبع عند هيجان الغضب(28) ، وهو رزانة في البدن، يقتضيها وفور العقل(29) .

قال الغزالي : « واعلم أنه ليس حسن الخلق معها – أي الزوجة- كف الأذى عنها ، بل أحتمال الأذى منها ، والحلم عند طيشها وغضبها ، اقتداءً برسول الله (صلى الله عليه وسلم)؛ فقد كانت أزواجه (رضي الله عنهن) تراجعنه الكلام وتهجره الواحدة منهن يوماً إلى الليل «(30) .

ولكن حين يحتفظ(صلى الله عليه وسلم) بحلمه مع أهله؛ مع أن الكلفة مرفوعة ، والعشرة مبسوطة ، يجعلك توقن يقيناً أن خلق الحلم قد تجذر في نفسه ، وأعتاد عليه طبعه حتى صار لا يتصنعه .

قال القاضي عياض:» وأن كل حليم قد عرفت منه زلة وحفظت عنه هفوة وهو عليه الصلاة والسلام لا يزيد مع كثرة الأذى إلا صبراً ، وعلى إسراف الجاهل إلا حلماً « (31) .

ومن أعظم الأمثلة على حلمه وسعة صدره (صلى الله عليه وسلم) مع نسائه، موقفه من رفعهن الصوت عليه حال الخصومة، فعن النعمان بن بشير (رضي الله عنه) قال: جاء أبو بكر (رضي الله عنه) يستأذن على النبي ، فسمع عائشة (رضي الله عنها) وهي رافعة صوتها على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فإذن له، دخل ، فقال: يا أبنة أُمّ رومان ، وتناولها أترفعين صوتك على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، قال: فحال النبي (صلى الله عليه وسلم) بينه وبينها ، قال: فلما خرج أبو بكر (رضي الله عنه) جعل النبي (صلى الله عليه وسلم) يقول لها يترضاها : ألا ترين أني قد حُلتَ بين الرجل وبينك ، قال : ثم جاء أبو بكر (رضي الله عنه) فأستأذن عليه ، فوجده يضاحكها ، قال : فإذن له ، فدخل ، فقال له أبو بكر (رضي الله عنه):يارسول الله أشركاني في سِلمِكما كما أشتركتماني في حربكما « (32) .

في هذا الموقف علينا أن نتأمل أحتمال وحُلم النبي (صلى الله عليه وسلم) عند رفع الصوت عليه ، الذي يمكن ان يسمعه حتى من هو خارج الدار ، ثم علينا أن ننظر متعجبين لحاله وهو يدافع عنها ، ويترضاها، مسقطاً حق نفسه عليه الصلاة والسلام، محتملاً ما يصدر منها من أذية .

ومن المواقف الاخرى التي تدل على حلمه وسعة صدره(صلى الله عليه وسلم) تجاه ما ينشب من خلاف داخل بيته الكريم، ما جاء عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: (كان النبي صلى الله عليه وسلم عند بعض نسائه، فأرسلت إحدى أمهات المؤمنين بصحفة (إناء) فيها طعام، فَضَرَبَتِ التي النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم فِي بَيْتِهَا يَدَ الْخَادِمِ، فسقطت الصحفة فانفلقت، فجمع النبي صلى الله عليه وسلم فِلَقَ الصحفة، ثم جعل يجمع فيها الطعام الذي كان في الصحفة ويقول: غارت أمكم، ثم حبس الخادم حتى أُتِيَ بصحفة من عند التي هو في بيتها، فدفع الصحفة الصحيحة إلى التي كُسِرَت صحفتها، وأمسك المكسورة في بيت التي كَسَرت(33) .

وأخرج الإمام أحمد في مسنده من حديث أنس رضي الله عنه: (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عند بعض نسائه،

28) مفردات الراغب، «مادة حلم» .

29) التوقيف على مهمات التعريف .

30) إحياء علوم الدين: 23/2 .

31) الشفا :2/1 .

32) أخرجه أبو داؤد في سننه :329/7 ، وأحمد في مسنده : 2/ 271(حديث 18392) ، والطحاوي في مشكل الأثار (5309) ، والنسائي في الكبرى (9110، 8221) وهو حديث صحيح . انظر: سلسلة الاحاديث الصحيحة : 922/5 .

33) رواه البخاري (5225) .

قال: أظنها عائشة، فأرسلت إحدى أمهات المؤمنين مع خادم لها بقصعة فيها طعام، قال: فضربت الأخرى بيد الخادم فكسرت القصعة نصفين، قال: فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقول: غارت أمكم، قال: وأخذ الكسرتين فضم إحداهما إلى الأخرى فجعل فيها الطعام، ثم قال: كلوا فأكلوا)، وأغلب روايات هذا الحديث وردت مُنْهَمَة بلفظ: «عند بعض نسائه» وإن كان قد ورد في بعضها أنه في بيت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وهو الذي عليه شُرَّاح الحديث (34) .

لقد عزا النبي صلى الله عليه وسلم تصرف عائشة رضي الله عنها إلى الغيرة، وقام صلى الله عليه وسلم بجمع الإناء المكسور، وأعاد الطعام فيه، وأبقى لها الإناء الذي كسرته، وأرسل بإناء عائشة رضي الله عنها السليم إلى أم المؤمنين التي كُسر إناؤها معللاً فعله هذا بقوله ـ كما روى الترمذي ـ: (طعام بطعام، وإناء بإناء)، وأمر الحاضرين بأن يأكلوا الطعام، فأكلوه) (35). وانتهى الموقف عند هذا الحد، وذلك لحلمه وحكمته (صلى الله عليه وسلم.)

قال ابن حجر: «قوله: (غارت أمكم (اعتذار منه صلى الله عليه وسلم لئلا يُحمل صنيعها على ما يُذم، بل يجري على عادة الضرائر من الغيرة، فإنها مركبة في النفس بحيث لا يُقدر على دفعها ... وفي الحديث حسن خلقه صلى الله عليه وسلم، وإنصافه وحلمه»، وقال:» فيه إشارة إلى عدم مؤاخذة الغيْراء بما يصدر منها، لأنها في تلك الحالة يكون عقلُها محجوباً بشدة الغضب الذي أثارته الغيرة»(36).

وقال الطيبي:» إنما أَبْهِمَت عائشة تفخيماً لشأنها، وإنه مما لا يخفى ولا يلتبس أنها هي، لأن الهدايا إنما كانت تُهْدَى إلى النبي صلى الله عليه وسلم في بيتها».(37) . وهذا من كمال حلمه وتواضعه، وحسن معاشرته وتعظيم نعمة ربه .

وقال الطيبي : الخطاب عام لكل من يسمع هذه القصة من المؤمنين اعتذاراً منه صلى الله عليه وسلم لئلا يحملوا صنيعها على ما يُذم»(38) .

وفي ذلك قيل:

وبعض الأمهات يوماً أرسلت	إلى النبي بطعام صنعت
في صحفة لها لبيت عائشه	قالت فغرت، فغدت مستوحشه
ثم ضربت الصحفة فسقطت	للأرض ثم بالطعام انفلقت
فلمَّه المختار لا كمثلكم	يقول للأصحاب: غارت أمكم»(39)

ثانياً :- أسلوب الأبتسامة والدعابة :

فلقد كان يرى (عليه الصلاة والسلام) أنَّ موقفاً معيناً لا يُجْدِي ولا ينفع فيه الغضب ولا العنف، وما أكثر المواقف التي كان يقابلها (عليه الصلاة والسلام) بالتبّسم المشفق ، أو الدعابة الحلوة التي تغّير وجه الموقف كله، فكم من مشكلة ليس لها من حلٍ سوى الأبتسامة أو الدعابة الحلوة التي تضفي عليها طابع المرح ، وتبعدها عن دائرة الجد الذي يزيد من تفاقم المشكلة أحياناً، ويصعب معه حلّها .

وفي السنّة النبوية المطّهرة نماذج كثيرة في تبسمه(صلى الله عليه وسلم) وقت الخلاف ، نقتصر على ذكر نموذج واحد لبيان هذا الأسلوب .

عن عائشة(رضي الله عنها) قالت: قلت يارسول الله أرأيت لو نزلت وادياً وفيه شجرة قد أُكل منها، ووجدت شجراً لم يؤكل منها في أي منها كنت تُرتع بعيرك؟

قال: ((في التي لم يُرتع منها))، زاد في رواية أبي نعيم :قالت: فأنا هِيهَ. يعني أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لم يتزوج

34) مسند الأمام احمد(12046) قال شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين .

35) الترمذي(1359) .

36) فتح الباري :5 /126 .

37) شرح مشكاة المصابيح :2188/7 .

38) شرح مشكاة المصابيح :2189/7 .

39) الازهري ، ألفية أم المؤمنين عائشة، ص ص22-23 .

بكراً غيرها (40) .

وفي رواية أخرى : قالت: دخل عليَّ يوماً رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، فقلت : أين كنت منذ اليوم؟ قال: ((ياحميراء كنت عند أم سلمة)).

فقلت: ما تشبع من أم سلمة ؟ قالت: فتبسّم .

ثم قلت : يارسول الله ، ألا تخبرني عنك لو أنك نزلت بعدوتين إحداهما لم ترع ، والأخرة قد رعيت أيهما كنت ترعى؟

قال: ((التي لم ترع))

قلت : فأنا لست كأحد من نسائك ، كل امرأة من نسائك كانت عند رجل غيرك .

قالت: فتبسّم رسول الله (صلى الله عليه وسلم)) (41) .

ثالثاً:- أسلوب التغاضي والتغافل :

وهو من الأساليب التي كان يستعملها رسول الله(صلى الله عليه وسلم)في معالجة وحل المشاكل والخلافات الزوجية، ذلك أن كثيراً من هذه الخلافات والمشاكل لا يمكن حلّها بأسلوب الخصومة ، ولا ينفع معها الجدل ، وكم رأينا من خلافات ما زادها الجدل إلاّ تعقيداً ، بل زاد من صعوبة حلها .

وكم رأينا من خلافات قُضيَ عليها في مهدها بسبب تغاضي الزوج عنها ، والإبتعاد عن إثارتها ، والإنصراف عنها الى عبادة أو عمل نافع مفيد .

ومن الامثلة على هذا الأسلوب النبوي ما جاء عن أنس (رضي الله عنه) انه قال : كان للنبي (صلى الله عليه وسلم) تسع نسوة ، فكان إذا قسم بينهن لا ينتهي إلى المرأة الأولى إلاّ في تسع ، فكنَّ يجتمعن كل ليلة في بيت التي يأتيها . فكان في بيت عائشة(رضي الله عنها) ، فجاءت زينب فمدَّ يده إليها .

فقالت: هذه زينب، فكف النبي (صلى الله عليه وسلم) يده. فتقاولتا حتى أستخبتا(42)، وأقيمت الصلاة .

فقالت عائشة: الآن يقضي النبي(صلى الله عليه وسلم) صلاته فيجيء أبو بكر فيفعل بي ويفعل .

فلما قضى النبي (صلى الله عليه وسلم) صلاته أتاها أبو بكر ، فقال لها قولاً شديداً .

وقال: ((أتصنعين هذا ؟)) (43) .

من خلال هذا الحديث يتضح لنا ان نبي الرحمة عليه الصلاة والسلام لم يباشر معالجة الموقف في قمة ثورته بل تغاضى عنه ، وأنصرف الى الصلاة . والإغضاء الرحيم هو أفضل حل لهذه المشكلة « لا سيما وان الدافع لكل واحدة من المتخاصمتين هنا هو حب رسول الله(صلى الله عليه وسلم) ، ولا يجوز ان يكون الحب سبباً لإساءة محبوبها إليها ،فلا يجزى الإحسان بالإساءة عند سيد الانبياء وخاتم المرسلين صلوات الله تعالى عليه وسلم» (44) .

ثالثاً:- أسلوب الحوار والأقناع :

ومن الأساليب التي أستعملها النبي(صلى الله عليه وسلم) في معالجة المشكلات الزوجية أسلوب الحوار الهادف لإقناع الزوجة بالعدول عن خطأ وقعت به ، أو فكرة مسبقة حملتها وهي غير صحيحة .

ولا شك أن إتباع مثل هذا الأسلوب داخل الأسرة له أثره الكبير في أستقرارها،وضمان مستقبلها،إذ يجعل الأسرة تتنسم نسائم الحرية ،وهي تتبادل الأراء فيما بينها ،وتتحاور في كل مشكلة تعرض لكي تتجاوزها .

ولنا في رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أسوة وقدوة فهو الذي علّمنا فن الحوار ، وهو الذي أستعمل أسلوب الإقناع لمعالجة ما يعترضه من مشكلات .

---

40) رواه البخاري (5077) ، قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري»:366/9وفي هذا الحديث : بلاغة عائشة وحُسن تانيها في الأمور.

41) الطبقات الكبرى لأبن سعد : 55/8 ؛ وانظر: الاساليب النبوية لـــ عبد السميع الانيس، ص 99 .

42) قوله أستخبتا : من السخب ، وهو أختلاط الأصوات وأرتفاعها ، كما في شرح صحيح مسلم للنووي: 47/10 .

43) رواه مسلم (1463) (47) .

44) انظر كتاب : دراسة تحليلية لشخصية الرسول (صلى الله عليه وسلم) لـــ محمد رواس قلعجي، ص 185 .

ومن نماذج أسلوب الحوار والإقناع عند الرسول الزوج عليه الصلاة والسلام ما ورد عن السيدة عائشة حيث أنها قالت- وهي تصف سفراً -: وكان متاعي فيه خف ، وكان على جمل ناج(45) وكان متاع صفية فيه ثقل، وكان على جمل ثفال(46) بطيء يتبطأ بالركب .

فقال رسول الله(صلى الله عليه وسلم) : ((حولوا متاع عائشة على جمل صفية ، وحولوا متاع صفية على جمل عائشة حتى يمضي الركب)) .

قالت عائشة: فلما رأيت ذلك قلت: يالعباد الله ، غلبتنا هذه البهودية على رسول الله .

قالت: فقال رسول الله(صلى الله عليه وسلم) : ((ياأم عبدالله: إن متاعك كان فيه خف ، وكان متاع صفية فيه ثقل ، فأبطأ بالركب ، فحولنا متاعها على بعيرك، وحولنا متاعك على بعيرها)) .

فقالت: ألست تزعم أنك رسول الله ؟

قالت : فتبسم .

قال: ((أو في شك أنت ياأم عبدالله ؟))

قالت: قلت: ألست تزعم أنك رسول الله أفهلاّ عدلت ؟

وسمعني أبو بكر، وكان فيه غرب-أي حدة- فأقبل علي ، فلطم وجهي .

فقال رسول الله(صلى الله عليه وسلم) :((مهلاً يا أبا بكر)) .

فقال: يارسول الله : أما سمعت ما قالت ؟

فقال: رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : ((إن الغيرى لا تبصر أسفل الوادي من أعلاه)) (47) .

ومن خلال هذا الحديث يتضح لنا كيف عالج النبي عليه الصلاة والسلام هذه المشكلة عن طريق الحوار، وبيّن لها السبب الذي دعاه إلى أن يتخذ القرار المذكور .

ومن أساليبه الاخرى(صلى الله عليه وسلم) في الإقناع والحوار لتغيير فكرة مسبقة حملتها زوجته عنه ، عن أبن عمر (رضي الله عنه) قالت صفية : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من أبغض الناس الى قتل زوجي وأبي وأمي فما زال يعتذر إليَّ ويقول: ((ياصفية إن أباك ألب على العرب وفعل وفعل حتى ذهب ذلك من نفسي)) . وهكذا أستطاع النبي عليه الصلاة والسلام بهذا الأسلوب أن ينقل أم المؤمنين صفية(رضي الله عنها) من الكر إلى الأيمان وأصبح صلوات الله وسلامه عليه من أحب الناس إليها بعد أن كان من أبغض الناس إليها ولجأ الى أسلوب الحوار مع زوجته ليبيّن لها السبب الدافع لقتله قومها وأبيها وزوجها فهل لنا أيها الأخت الكريمة في رسول الله أسوة حسنة ؟(48) .

رابعاً:- أسلوب العظة والتذكير :

وهذا الأسلوب يستعمل في حال تقصير المرأة في اداء حق الله تعالى عليها، أو في أداء حقوق الزوج التي أوجبها الشرع له عليها .

وهو أيضاً من الأساليب التي أستعملها النبي(صلى الله عليه وسلم) في معالجة الخلافات والمشاكل الزوجية. وحق الله تعالى عليها هو فعل ما أمرها به، وترك ما نهاها عنه ، وقد أمر الله تعالى المسلم بوقاية أهله من النار ، ويدخل في هذا الأمر قطعاً الزوجة ، لأن زوجته من أهله ، وإنما تكون الوقاية بحملها على طاعة الله تعالى ، وأجتناب ما نهى عنه، بالعظة والنصيحة والتذكير والتخويف والترغيب والترهيب ، وألا فـــــــ «بوسائل» التأديب الأخرى المشروعة كالهجر مثلاً .

قال تعالى: ((يأيها الذين))[سورة التحريم:6] . وقال عليه الصلاة والسلام: ((كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته ... والرجل

45) ناج : أي مسرع . انظر: الاساليب النبوية لـــــ عبد السميع الانيس، ص 114 .

46) ثفال : أي بطيء ثقيل لا ينبعث الّا كرهاً .

47) رواه أبو يعلى في مسنده : 8/ 4670 ، وقال الهيثمي في « مجمع الزوائد « :322/4: رواه ابو يعلى ، وفيه محمد بن اسحاق وهو مدلس ، وسلمة بن الفضل ، وقد وثقه جماعة : ابن معين وأبن حبان ، وأبو حاتم ، وضعفه جماعة ، وبقية رجاله رجال الصحيح . وقد رواه أبو الشيخ بن حيان في كتاب الأمثال ، وليس فيه غير أسامة بن زيد الليثي ، وهو من رجال الصحيح ، وفيه ضعف، وبقية رجاله ثقات . وقال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» :406/9: «وسنده لا بأس به» .

48) مهارات حل الخلافات الزوجية لـــــ أسد مجيب الله ، ص ص 24 - 25 .

راعٍ في بيت أهله ، وهو مسؤول عن رعيته ...)) (49) .

ومن نماذج وعظه (صلى الله عليه وسلم) لأهله ما جاء عن عائشة (رضي الله عنها) قالت : قلت للنبي(صلى الله عليه وسلم): حسبك من صفية كذا وكذا - تعني: قصيرة - .

فقال: ((لقد قلتِ كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته)) .

قالت: وحكيت له إنساناً – أي بان أفعل مثل فعله ، أو أقول مثل قوله على وجه التنقيص- .

فقال: ((ما أحب أني حكيت إنساناً ، وان لي كذا وكذا)) (50) .

فالكلمة هي كائن حي عند الأنسان الواعي الذي فقه وجوده في هذه الحياة ، وفهم أبعاد علاقته مع خالقه ونفسه ومجتمعه. ولذلك فقد أولى النبي(صلى الله عليه وسلم) الكلمة أهتماماً بالغاً ، فهو لا يفتأ يذكر الأمة بأثارها ، وينبه العقول إلى أبعادها .

إنّ في الحديث الذي دار بين النبي(صلى الله عليه وسلم) والسيدة عائشة(رضي الله عنها) ووعظه لها ترهيباً لكل من تسّول له نفسه فيلقي بالكلمة وهي مخالفة لمنهج الله تبارك وتعالى غير آبه بها ، ولا متفكر بمسؤولية تجاهلها .

خامساً:- أسلوب التّروي والتّثبت والتحقيق قبل أصدار الأحكام :

وهذا أيضاً من الأساليب التي لجأ أليها النبي (صلى الله عليه وسلم) في حل الخلافات والمشكلات الزوجية التي نشبت في بيته الكريم .

ويتضح جلياً هذا الأسلوب في حادثة الأفك التي أستطاع النبي (صلى الله عليه وسلم) أن يعالجها بأسلوب التروي والتثبت والتحقيق الهادئ فيها حتى نزل الوحي يفصل في تلك المحنة ويبرئ ام المؤمنين السيدة عائشة(رضي الله عنها) (51) .

فعندما تشك الزوجة في زوجها هل لها أن تتثبت أولاً من شكوكها بدلاً من ان تملئ الدنيا ضجيج بشكواها ثم يتضح لها عكس ما قالت فتهدم بيتها بدون داعٍ . فهل لنا أيتها الأخت الكريمة إتباع هدي النبي المصطفى (صلى الله عليه وسلم) حتى تنعم أسرنا وبيوتنا المسلمة بالإستقرار والعيش الرغيد؟ .

سادساً :- أسلوب العتاب الشديد عند الغضب:

وهو أيضاً من الأساليب التي أستعملها النبي(صلى الله عليه وسلم) في معالجة ما يقع من مشاكل وخلافات مع زوجاته(رضوان الله تعالى عليهن أجمعين)، في موقف لا ينبغي ان يمر دونما حساب .

لقد أراد النبي(صلى الله عليه وسلم) من وراء ذلك أن يضع حداً لمشكلة طالما كررت ، والحيلولة دون وقوعها مرة ثانية في بيته الكريم ، وأليك بيان ذلك :

قالت السيدة عائشة (رضي الله عنها) : كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إذا ذكر خديجة لم يكد يسأم من ثناء عليها ، وأستغفار لها، فذكرها يوماً ، فحملتني الغيرة ، فقلت : لقد عوضك الله من كبيرة السن!

قالت: فرأيته غضب غضباً شديداً . أُشقطت في خلدي ، وقلت في نفسي: اللهمّ إن أذهبت غضب رسولك عني لم أعد أذكرها بسوء ما بقيت .

فلما رأى النبي(صلى الله عليه وسلم) ما لقيت، قال: ((كيف قلت؟ والله لقد آمنت بي إذ كذبني الناس ،وآوتني إذ رفضني الناس ، ورزقت مني الولد إذ حرمتموه مني)) .

قالت: فغدا وراح عليَّ بها شهراً (52) .

في هذا الحديث نجد أن النبي (صلى الله عليه وسلم) غضب غضباً شديداً من زوجه السيدة عائشة لأنها تعرضت لإمراة لها منزلتها في الأسلام ، ولها قدرها عند النبي(صلى الله عليه وسلم) .

---

49) رواه البخاري (893) .

50) أخرجه الامام أحمد (24964)،(25560)، وأبو داؤد (4875)، والترمذي (2502) ، وقال حديث حسن .

51) مهارات حل الخلافات الزوجية لـــــ أسد مجيب الله ، ص 25 .

52) رواه حسن أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» : 21/23 ورجاله ثقات سوى عبدالله البهي .

إنها السيدة خديجة :سيدة نساء العالمين ،وهي أول من آمن به، وصدقه قبل كل أحد، وثبتت جأشه .

قال أبن الأثير: خديجة أول خلق الله أسلم أسلم بإجماع المسلمين(53)، لكن النبي(صلى الله عليه وسلم) لم يكتفِ بموقفه الغاضب ، بل شرع يبين لها أسباب حبه للسيدة خديجة ، وثنائه عليها ، فقال: ((والله لقد آمنت بي إذ كذبني الناس، وآوتني إذ رفضني الناس، ورزقت مني الولد إذ حرمتموه مني))، وهي صفات عظيمة أتصفت بها هذه السيدة الجليلة .

ولهذا كان النبي(صلى الله عليه وسلم) شديد الحب لها ، عظيم الوفاء معها حتى بعد وفاتها ، ومن مظاهر هذا الوفاء أنه:((كان (صلى الله عليه وسلم) إذا ذبح الشاة يقول : ((أرسلوا بها الى أصدقاء خديجة...)) (54) .

وهو(صلى الله عليه وسلم) لم يكتفِ بهذا الموقف الغاضب مع بيان أسبابه ، بل أتخذ أسلوب العتاب المتكرر ، فقد ظل يعاتبها على ما بدر منها شهراً كاملاً : ((فغدا وراح عليَّ بها شهراً)).حتى تعلم جيداً بأن ما بدر منها ما ينبغي أن يمر دونما حساب ولا عتاب .

ولا شك ان النبي(صلى الله عليه وسلم) أراد بهذا الأسلوب أن يضع حداً لمشكلة طالما كررت، حتى لا تتكرر مرة ثانية في بيته الكريم .

وقد حقق هذا الأسلوب أهدافه ، ويدل على ذلك قول السيدة عائشة(رضي الله عنها) :((وقلت والذي بعثك بالحق لا أذكرها بعد هذا إلا بخير)) (55) .

قال الشاعر(56) :

إذا ذهب العتابُ فليسَ ودٌ ويبقى الودُ مَا بقيَ العتابُ

هذه بعض من أساليبه (صلى الله عليه وسلم) في حل ومعالجة الخلافات والمشكلات الزوجية، وهناك أساليب ومهارات أخرى ذكرتها لنا كتب الحديث والسيرة العطرة مع حوادثها، لكننا أرتأينا أن نقف عند هذا الحد خشية الأطالة، وهي جميعها كانت أساليب ومهارات وقائية لمعالجة ما وقع في بيته الكريم (صلى الله عليه وسلم) من مشكلات وخلافات مع زوجاته الطاهرات، ذلك لأن أكثر هذه الخلافات قد تنشأ عن إغفال جانب من هذه الجوانب، أو التقصير فيه ، ومن ثم فأن التأكيد على هذه الجوانب هو جزء من حل المشكلات بالقضاء على أسبابها .

٥٣) أسد الغابة : ٧٨/٧ .

٥٤) رواه مسلم (٢٤٣٥) .

٥٥) حديث حسن، فقد رواه الطبراني في «المعجم الكبير» : ٢٣/٢٣ عن طريق عبدالله بن أبي نجيح عن عائشة . ورجاله ثقات .

٥٦) يُنسب هذا البيت الشعري الى أبي تمام ، لكنني لم أجده في ديوانه المطبوع .

الخاتمة :

بعد الانتهاء من هذه الرحلة الطيّبة التي قضيناها في جنبات البيت النبوي الشريف، يطيب لي أن ألخص أبرز ما توصلت إليه من نتائج على النحو التالي :-

إن في سيرة النبي(صلى الله عليه وسلم) مواقف حوارية مضيئة، تقطر جلالاً وجمالاً وطهراً ، وتنثال لطفاً ورفقاً ونبلاً .

كان برغم حلمه وعفوه وأحتماله إلاّ أنه يلجأ إلى آخر الدواء مع زوجاته (رضي الله عنهن) وهو التأديب حرصاً منه على نفعهن، خاصة حين يكون الخطأ ذنباً -أي في حق الله تعالى .

لقد مثّل النبي(صلى الله عليه وسلم) قمة الأنسانية والخيرية في التعامل الأمثل مع أهل بيته الطاهرين، وقد ظهر ذلك جلياً من خلال تعامله الراقي مع زوجاته أمهات المؤمنين(رضي الله عنهن) في جميع المفردات السلوكية التي انتظم منها عقد الحياة الزوجيةلأسرة النبي(صلى الله عليه وسلم) في الجوانب الحياتية المختلفة، كالاقتصادية والانسانية وغيرهما .

إنّ المشكلات التي عرضت في بيت النبوة الكريم كانت قليلة جداً ، وهي من الندرة بحيث لا تكاد تُذكر لولا المسلمون الذين تعودوا على ذكر كل صغيرة وكبيرة في حياته (صلى الله عليه وسلم) الخاصة والعامة على حد سواء، وقد استعمل النبي عليه الصلاة والسلام أساليب ومهارات مختلفة عالج من خلالها المشكلات والخلافات التي نشبت ي بيته الكريم.

أيضاً يحذّرنا النبي(صلى الله عليه وسلم) من اللجوء الى الأستبداد والتغطرس الذي يعد من الامراض الخطيرة التي تعصف بالأسرة المسلمة فتهوي بها وتقضي على حاضرها وستقبلها، بل على العكس من ذلك دعانا من خلال هذه الاساليب والمهارات الى اللجوء اليها والأقتداء بها من أجل أن تنعم الأسرة بالسعادة والعيش الرغيد .

التوصيات :-

ضرورة الرجوع الى الحياة الزوجية الخاصة لنبي الرحمة محمد(صلى الله عليه وسلم) ومتابعة دراستها ،والكشف عن كافة جوانبها ،وأستقراء بقية المهارات والأساليب التي لجأ أليها النبي(صلى الله عليه وسلم) في أحتواء ومعالجة الخلافات والمشاكل الزوجية التي عرضت في بيته الكريم .

على كل مسلم أن يقتدي بسنّة نبيه الكريم(صلى الله عليه وسلم) والركون الى جميع الأساليب والمهارات التي استعملها في معالجة وحل ما نشب في بيته الكريم من مشاكل وخلافات زوجية، والقياس عليها، كي تنعم الأسرة المسلمة بالسعادة المنشودة، وتهنئ بالعيش الرغيد .

ثبت المصادر والمراجع

- ابن الأثير، أبي الكرم عز الدين ابو الحسن علي الجزري (ت:630هـ)
- أسد الغابة في معرفة الصحابة، بيروت، دار الفكر، د،ت .
- الأزهري،يحيى بن عطية الصامولي
- ألفية أم المؤمنين عائشة المسماة الروضة الانيقة في نصرة العفيفة الصدِّيقة رضي الله عنها وأرضاها، ط1، القاهرة، دار التقوى للطبع والنشر والتوزيع، 2011 .
- الالباني، محمد ناصر الدين(ت:1419هـ)
- سلسلة الاحاديث الصحيحة ، الرياض، مكتبة المعارف، 1995م .
- صحيح سنن الترمذي، الرياض، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، د،ت .
- الأنيس، عبد السميع

- الاساليب النبوية في معالجة المشكلات الزوجية(بحوث تحليلية للحياة الزوجية في بيت النبوة)، د، م ، دار ابن الجوزي، د، ت .
- البخاري، ابو عبدالله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم(ت:256ه)
- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله(صلى الله عليه وسلم) وسننه وأيامه، بيروت، دار الارقم، د،ت .
- الترمذي، ابو عيسى محمد بن عيسى بن سورة بن موسى السلَّمي(ت:279ه)
- الجامع، القاهرة، دار الحديث، د،ت .
- ابو تمام، حبيب بن أوس بن الحارث الطائي(ت: 231ه)
- ديوان ابو تمام،تحقيق: إيليا الحاوي، ط1، بيروت، دار الكتاب اللبناني، 1981م .
- ابن حبان، الامير ابو الحسن علي بن بلبان الفارسي علاء الدين(ت:739ه)
- الأحسان في تقريب صحيح ابن حبان، تحقيق: شعيب الأرناؤوط ، بيروت، مؤسسة الرسالة، د،ت .
- ابن حجر العسقلاني، احمد بن علي بن محمد الكناني(ت:852ه)
- التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، المدينة المنورة،1964م .
- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، بيروت، دار الجيل، د،ت .
- ابن حزم الاندلسي، ابو محمد علي بن احمد (ت:456ه)
- جوامع السيرة، ط2، دمشق، دار ابن كثير، 1986م .
- ابن حنبل، الامام ابو عبدالله احمد بن محمد الشيباني(ت:241ه)
- مسند احمد بن حنبل،تحقيق:شعيب الأرناؤط وآخرين، بيروت، مؤسسة الرسالة، د،ت .
- أبو داؤد، سليمان بن الأشعث بن اسحاق السجستاني المشهور بـــــ (ت:275ه)
- السنن، طبعة دار الأرقم، بيروت، د،ت .
- الذهبي، شمس الدين محمد بن احمد(ت: 748ه)
- ميزان الأعتدال في نقد الرجال ، بيروت، دار الفكر، د،ت .
- ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع البصري(ت: 230ه)
- الطبقات الكبرى، بيروت، دار صادر، د،ت .
- سعادت، أسد مجيب الله
- مهارات حل الخلافات الزوجية في السنة النبوية، شبكة الالوكة الالكترونية، قسم الكتب، د، ت .
- الطبراني، سليمان بن أحمد (360ه)
- المعجم الكبير، ط2، بيروت، دار احياء التراث العربي، د، ت.
- الطحاوي، أبو جعفر احمد بن محمد بن سلامة الأزدي(ت: 321ه)
- شرح مشكل الأثار، تحقيق: شعيب الأرناؤط،بيروت، مؤسسة الرسالة، د،ت .
- الطيبي ، الحسين بن عبدالله بن محمد(ت: 743هـ)
- شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بالكاشف عن حقائق السنن، تحقيق: عبد الحميد هنداوي،ط1، مكة المكرمة، مكتبة نزار مصطفى الباز 1417هـ/ 1997م .
- ابو عبيدة، القاسم بن سلام الهروي(ت:224ه)
- الاموال، بيروت، دار الكتب العلمية، د،ت .
- العقاد، عباس محمود

- عبقرية محمد، بيروت، دار الكتاب اللبناني، د،ت .
- ابن عياض، ابو الفضل عياض بن موسى السبتي اليحصبي(ت:544هـ)
- الشفا بتعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم، تحقيق: عبد علي كوشك ، دبي، جائزة دبي الدولية للقران الكريم ، 1434هـ/2013م .
- الغزالي، الامام ابو حامد محمد الطوسي النيسابوري(ت: 505هـ)
- أحياء علوم الدين، د،م، مكتبة الايمان، د، ت .
- قلعجي، محمد رواس
- دراسة تحليلية لشخصية الرسول (صلى الله عليه وسلم)، ط1، بيروت، 1981م .
- ابن كثير الدمشقي، اسماعيل بن عمر(ت:707هـ)
- تفسير القران الكريم،ط1، القاهرة، 1988م .
- ابن ماجة، ابو عبدالله محمد بن يزيد الربعي(ت:273هـ)
- السنن، بيروت، المكتبة العلمية، د،ت .
- الموصلي، ابو يعلى احمد بن علي بن المثنى التميمي(ت: 306 أو 307هـ)
- المسند، تحقيق: حسين سليم أسد، ط1، د،م، دار المامون للتراث، 1404هـ .
- مسلم، الامام ابو الحسين مسلم بن الحجاج بن(ت:261هـ)
- المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، بيروت، دار الارقم، د، ت .
- المقدسي، الضياء (ت:606هـ)
- الاحاديث المختارة، تحقيق: عبدالملك بن دهيش،مكة المكرمة، مكتبة النهضة الحديثة، 1990 .
- النسائي، ابو عبد الرحمن احمد بن شعيب(ت:303هـ)
- سنن النسائي الكبرى، بيروت،طبعة دار الكتب العلمية- وطبعة مؤسسة الرسالة،
- د،ت .
- النووي، الامام الحافظ محي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف(ت:676هـ)
- شرح صحيح مسلم، بيروت، دار الكتب العلمية- القاهرة، مطبعة الشعب، د،ت .
- الهيثمي، ابو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر(ت:807هـ)
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تحقيق: الأعظمي، بيروت، دار الكتاب العربي، 1979م .

البحث الخامس

السنة النبوية من منظور الاتجاهات النسوية

The Sunna of the Prophet from the perspective of the Feminists

مينة بستاني، طالبة باحثة بسلك الدكتوراه، وحدة الاختلاف العقدي

جامعة الحسن الثاني، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، عين الشق، الدار البيضاء، المغرب.

الملخص

تشكلت في التراثين اليهودي والمسيحي صورة سلبية عن المرأة، حيث عُدت بأنها أصل الخطيئة وسبب شقاء الجنس البشري، كان لتلك الصورة انعكاس في أعمال ومواقف المفكرين والفلاسفة الغربيين، ومع التفنن في احتقار المرأة وامتهانها تشكل نظام قدس الرجل ونصبه في قمة الهرم الاجتماعي، وجعل المرأة في أسفله، وهاته الهيمنة الذكورية هي ما أطلق عليه النظام «الأبوي»، هذا الأخير الذي سعت حركات تحرير المرأة ومن بعدها الاتجاهات النسوية لمحاربته، ودعت إلى إعادة بناء خطاب جديد من منظور نسوي لإنصاف النساء والتعبير عن طموحاتهم واحترام حقهن في المساواة الكاملة مع الرجل، ونسجت النسوية في العالم العربي على منوال سابقاتها، حيث التقيتا في اتهام التراث الديني بالذكورية؛ لذا ظهرت اتجاهات نسوية تدعوا إلى القطيعة مع الدين برمته، وأخرى إلى إعادة قراءة نصوص الوحي وتأويلها، وتفاوت أيضا موقف النسويات في العالم العربي من السنة النبوية، لتخلصت الورقة إلى:

- ان السنة النبوية والقرآن في الإسلام يمثلان عنصري الوحي، والطعن في أحدها ينسحب على الآخر.
- انطلقت النسويات من موقف سلبي مسبق من السنة النبوية، لذا سعين بزعمهن لتصحيح المفاهيم الخاطئة المتعلقة بالمرأة في جذورها الدينية والتاريخية وفي امتداداتها المعاصرة.
- إن النسويات بمختلف تلويناتها، حتى تلك التي تزعم أنها تتخذ الإسلام إطارا مرجعيا، بضاعتهنّ مزجاة في التعاطي مع نصوص الوحي وغير ملمات بعلوم الحديث ومناهجه.
- لا يخرج تعاطي المشككات من النسويات مع السنة النبوية عن هذه الأصول إما بإسقاط الحاجة إليها، أو بالطعن في نقلتها، أو بالتشكيك في مناهج المحدثين، أو بادعاء تعارض بعض الأحاديث الصحيحة لما هو أرجح منها.

Abstract

A negative image was formed in the Jewish and Messianic Cultures about women. They were blamed for men's sin and considered as the root of sin and the cause of the misery of the human race. This image was reflected in the works and attitudes of western thinkers and philosophers. They excelled in undervaluing women, seen them as untrustworthy and humiliating them in a system that glorify the man by placing him at the top of the social hierarchy, and placing women at the bottom allowing male domination in so called "patriarchal system". A system that women liberation movements and all the feminist trends try to fight against and call for the reconstruction of a new discourse f in order to do justice to women, express their aspirations and respect their right to full equality with men. Despite of the differences in the background, Feminist in the Arab world followed the steps of the western women accusing the religious heritage of patriarchy. Some of them start calling for a secular life without religion while others call for a new reading and new interpreting of the texts of revelation. The position of Arab feminists towards Sunna varied and can be summarized in the following points:

The Sunna and the Qur'an in Islam represent the two elements of revelation, and infringement of the one is an infringement of the other.

Feminists set out from a negative pre-existing position on the prophetic Sunna. Therefore, they claim to correct misconceptions related to women in their religious and historical roots and in their contemporary extensions.

The feminists in their various trends, even those who keep Islam as their background, have no knowledge in dealing with the texts of revelation and no scientific back ground in tackling the science of Hadith.

The doubting feminists do not go beyond the following opinions: dropping the need for it, or questioning the methodologies of the narrators of hadith, or claiming that some authentic hadiths co

المقدمة

أعلى الإسلام من مكانة المرأة، وكرمها غاية التكريم على خلاف الصورة السلبية التي تشكلت في التراثين اليهودي والمسيحي، حيث عُدت بأنها أصل الخطيئة وسبب شقاء الجنس البشري، لذا عوقبت بأعباء الحمل والولادة، وجُعل الرجل سيدا عليها. وقد كان لتلك الصورة انعكاس في أعمال ومواقف المفكرين والفلاسفة الغربيين ، ومع التفنن في احتقار المرأة وامتهانها تشكل نظام قدس الرجل ونصبه في قمة الهرم الاجتماعي، وجعل المرأة في أسفله، وهاته الهيمنة الذكورية هي ما أطلق عليه النظام «البطريركي»(1)، هذا الأخير الذي سعت حركات تحرير المرأة الغربية ومن بعدها الحركات النسوية العالمية لمحاربته، ودعت إلى إعادة بناء خطاب جديد من منظور نسوي لإنصاف النساء والتعبير عن طموحاتهن واحترام حقهن في المساواة الكاملة مع الرجل، ونسجت النسوية في العالم العربي على منوال سابقاتها، حيث توافَقَتا في اتهام التراث الديني بالذكورية؛ لذا ظهر اتجاها نسويا يدعو إلى القطيعة مع الدين برمته، وآخر إلى إعادة قراءة وفهم نصوص الوحي قرأنا وسنة.

إشكالية البحث: يروم هذا المقال معرفة موقف النسويات من السنة النبوية في محاولة للإجابة على الأسئلة التالية:

1) البطريركية: هي التسمية التي تطلق الآن على السيطرة الذكورية في مقابل امتهان المرأة أو تهميشها أو عدم الاعتراف بحقوقها، فهذا المصطلح نشأ أساسا في إطار ثقافة النص التوراتي ثم انتقل إلى النص الإنجيلي حتى أصبح سمة على مرتبة كنسية، ولكنه في دلالته ظل يحمل انحيازا واضحا للرجل ضد المرأة وللأب ضد الأم. (النسوية: قراءة في الخلفية المعرفية لخطاب المرأة في الغرب، الدكتور رياض القرشي، دار حضر موت للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، سنة 2008م، ص 39-40.

لماذا هذا الهجوم الشرس على السنة النبوية الشريفة؟ وهل حقا أن السنة المطهرة هضمت حقوق النساء؟ ثم ما مدى تأثير الفكر الغربي على كتابات النسويات العربيات في تكريس هذا الخط المعادي للإسلام قرآنا وسنة ولتراثه؟

تتفرع عن هذه الإشكالية التساؤلات الآتية:

ماذا نعني بالنسوية في العالم العربي وما اتجاهاتها؟ وما صلتها بالفكر الغربي؟

وما مكانة السنة النبوية عند النسويات العربيات؟

وهل للنسوية في العالم العربي موقف واحد أم هناك مواقف متعددة من السنة النبوية؟

وما أساليب النسويات في استخدامهن الأحاديث النبوية عند انتقادهن التراث الفقهي؟

الكلمات المفتاحية:

السنة النبوية – النسوية– النوع.

Gender- Feminist - The Sunna of the Prophet

أهمية الموضوع:

توالت الكتابات حول النسوية بمختلف اتجاهاتها، وتعددت المؤلفات التي ترد على الطاعنين في الإسلام وتراثه، وتصدى علماء المسلمين قديما وحديثا لرد الصائل عن الإسلام وثوابته، وأرجو أن تكون هذه الورقة التي أفادت كثيرا من كتابات السابقين امتدادا لتلك الجهود، خاصة أن النسويات ركزن في العقود الأخيرة على دراسة الوحي قرآنا وسنة من منظورهن، وعقدن المؤتمرات والندوات لضرب الإسلام والتشكيك في مصداقيته بدعوى نصرة المرأة وقضاياها بزعم أنه دين ظلم النساء!

أهداف الموضوع:

بيان مكانة المرأة في الإسلام من خلال الكشف عن خلفيات النسويات وشبهاتهن، ومحاولتهن الطعن في مصادر التلقي لدى المسلمين خاصة الكتاب والسنة، فبضدها تتميز الأشياء.

توضيح أن الخلل في فهم النسويات لبعض الأحاديث - التي تعتقدن أنها تحط من مكانة المرأة -، ولإسقاطهن مناهج وافدة على التراث الإسلامي.

الدراسات السابقة:

لم أقف على دراسة تحت هذا العنوان: «السنة النبوية من منظور الاتجاهات النسوية»، لكن صدرت مؤلفات لباحثين وباحثات بعناوين ومضامين متقاربة، تتبعت الفكر النسوي نشأة وتطورا، وأخرى انتقدت النسويات وفندت شبهاتهن، وأوضحت استشكالاتهن حول بعض الأحاديث النبوية.

من الدراسات السابقة التي أفدت منها كثيرا:

حركات تحرير المرأة من المساواة إلى الجندر (2)، للدكتور مثنى أمين الكردستاني، دار القلم، القاهرة، عام 1425هـ2004-م، الطبعة الأولى. حيث رصد فيه المؤلف تطور الحركات «الأنثوية»، وكيف أنها متناقضة مع مفاهيم الإسلام ومنطلقاته، واستفدت من تبيانه أن «النسوية»- ترجمة غير دقيقة لكلمة «Feminism» الإنجليزية، والأصوب هو ترجمة هذه الأخيرة ب «الأنثوية»، و «Womenism» بلفظ « النسوية»(3).

النسوية وما بعد النسوية، لسارة جامبل، ترجمة أحمد الشامي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، سنة 2002م، الطبعة الأولى. عادت فيه الكاتبة إلى خطابات تحرير المرأة، مرورا بموجات النسوية ومراحل تطورها، وصولا لما أطلق عليه ب «ما بعد النسوية».

النسوية والمنظور الإسلامي، جمع أميمة أبو بكر - وهو كتاب يوثق لأعمال مؤتمر القاهرة يومي 17-18 مارس، 2012م، الذي عقد من طرف باحثات من العالم العربي وأوروبا، وكتاب «النسوية والدراسات الدينية» لنفس الكاتبة-أميمة-، ترجمة رندة أبوبكر،

2) «الجندر Gender» مصطلح ظهر في سبعينيات القرن العشرين وهو كلمة إنجليزية من أصل لاتيني، وتعني «جينس Genus» أي: الجنس من حيثُ الذكورة والأنوثة.

3) حركات تحرير المرأة من المساواة إلى الجندر، للدكتور مثنى أمين الكردستاني، دار القلم، القاهرة، عام 1425هـ2004-م، الطبعة الأولى، ص 49 وما بعدها.

مؤسسة المرأة الذاكرة، سنة 2012م. وتتجلى أهمية الكتابين في التوثيق لآراء النسويات المعاصرات ولمواقفهن من مصادر تلقي العقيدة الإسلامية.

خارج السرب بحث في النسوية الإسلامية الرافضة وإغراءات الحرية، فهمي الجدعان، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، لبنان، 2012. تتبع فيه الكاتب مراحل الحركات النسوية في العالم العربي.

الفكر النسوي الإسلامي في العالم العربي المعاصر بين التراث والحداثة، للدكتورة ميسون ضيف الله الدبوبي، دار النشر الآن، سنة 2020م، رصدت صاحبته تحديات الفكر النسوي الإسلامي بالعالم العربي.

منهجية صياغة البحث:

اعتمدت روم البساطة والوضوح في الطرح، فصغت هذه الورقة متبعة المنهجية الآتية:

كتابة الآيات البينات من الذكر الحكيم عن طريق القص واللصق من مستند القرآن الكريم بالرسم العثماني برواية ورش عن نافع، مع ذكر اسم السورة ورقم الآية في المتن.

تخريج الأحاديث تخريجا مختصرا، واكتفي في غالب الأحيان بالعزو إلى الصحيحين أو أحدهما، مع ذكر الكتاب، والباب، ورقم الحديث.

توثيق النقول قدر المستطاع، مع وضع علامات التنصيص في حال الاقتباس المباشر، خاصة في مقولات النسويات عملا بمبدأ «من فيهن أدينهن».

كتابة بيانات أغلب المصادر والمراجع كاملة عند أول ذكر، مع تخفيفها في المواضع الموالية بالاكتفاء باسم الكتاب والمؤلف، والصفحة.

الاكتفاء بالترجمة لبعض صاحبات الاتجاهات النسوية ترجمة يسيرة تلقي بعض الضوء على محل الشاهد، كذكر جنسيتهن وسنة وفاة بعضهن وبعض مؤلفاتهن، مع عدم الالتزام بالترجمة للصحابة ولكل الأعلام والكتاب المذكورين في هاته الورقة.

اتباع أكثر من منهج في كتابة هذا المقال: اقتضت طبيعة البحث اعتماد أربعة مناهج في تحرير فقراته، المنهج التاريخي عند تتبع مراحل النسوية مثلا، والمنهج الوصفي لرصد بعض القضايا، والمنهج المقارن عند مقارنة النسوية العربية بالنسوية في الغرب، دون إغفال للمنهج النقدي للرد - ولو بالاختصار- على طعون النسويات حول الإسلام عامة والسنة النبوية فيما يتعلق بالمرأة خاصة.

جاءت هذه الورقة في مقدمة ومبحثين وخاتمة، ثم لائحة المصادر والمراجع كالاتي:

المبحث الأول: النسوية بين العالمين الغربي والعربي:

النِّسوية في اللغة نسبة لنسوة ونساء ونسوان، كما جاء في الصحاح: «نسا: النِّسوة والنُسوة بالكسر والضم، والنِّساء والنِّسوان جمع امرأة من غير لفظها» (4)، وفي اللسان-مادة نسا-: «النّساء جمع نِسوة إذا كثُرن» (5)، وفي القاموس المحيط-مادة نسى-: «النِّسوة، والنِّساء، والنِّسوان، جموع المرأة من غير لفظها، والنسبة نسوي / نسوية» (6). فالنسوية في اللغة نسبة إلى نسوة بالكسر والضم، والنساء والنسوان جمع امرأة من غير لفظها.

المطلب الأول: النسوية في الغرب

وفي اصطلاح المفكرين الغربيين المعاصرين، تعرف النسوية بـ: «وصف الأفكار والحركات التي تتخذ من تحرير المرأة، أو تحسين أوضاعها بعمق هدفها الأصلي» (7)، فهذا التعريف يقف عند هدف تحرير المرأة وتحسين أوضاعها.

ويمكن اعتماد المعنى الواسع للنسوية على أن المقصود منه هو: «كل نظرية تعتبر العلاقة بين الجنسين علاقة إجحاف، وإخضاع،

4) الصحاح، لإسماعيل بن حماد الجوهري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 1419هـ- 1999م، الطبعة الأولى، 1991/5.

5) لسان العرب، لجمال الدين بن منظور الإفريقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 1419هـ- 1999م، الطبعة الثالثة، 131/14.

6) القاموس المحيط، للفيروز آبادي، إشراف محمد نعيم العرقسوسي، مكتب تحقيق التراث بمؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة السادسة، ص 1338.

7) النسوية والمواطنة لريان فورث، ترجمة وتحقيق، أيمن بكر وسمر الشيشكلي وفريدة النقاش، منشورات المركز القومي للترجمة، سنة 2017 م، ص45.

أو اضطهاد وتحاول تحديد علاج مصادر هذا الاضطهاد» (8)، فالنسوية في الغرب ليست أيديولوجية، أو مجرد مطالب محددة لضمان حقوق المرأة... إنها أعلى من ذلك بكثير؛ هي فضاء معرفي علماني، استهدف الحد من سيطرة الأحكام الذكورية في التاريخ الغربي الوثني والكنسي والفلسفي، وقد عرفت صيرورة تاريخية تمثلت في ثلاثة مراحل:

مرحلة المساواة في الحقوق: Equity Feminism

حيث ظهرت إبان القرن التاسع عشر الميلادي، وانصبت جل قضاياها على المطالبة بالمساواة الاجتماعية والقانونية بما فيها التعليم والتوظيف، وقوانين الزواج، كرد فعل على الحيف التاريخي الذي عانت المرأة الغربية من ويلاته، من رائداتها «ماري ولستونكرافت»(9)، اتسمت هذه المرحلة بتصدي مفكراتها النسويات للأفكار السلبية -عن المرأة -المتوارثة من الكتاب المقدس بعهديه وكذا من أعمال المفكرين الغربيين.

مرحلة النوع البشري: Gender Feminism

استلهمت هاته المرحلة توجهها وتركيبها النظري من آراء «سيمون دي بوفوار»(10) وكتابها «الجنس الآخر» الصادر سنة 1949م، الذي دعت من خلاله إلى إعادة تشكيل كامل للصورة الثقافية للأنوثة، ومن أشهر مقولاتها: «أن المرأة لا تولد امرأة بل تصبح كذلك»، أي أن الأنوثة بنية اجتماعية، ليصبح هذا الرأي محوريا فيما ظهر بعد ذلك من سياسات نسوية ورأت أن فئة المرأة ليس لها وجود حقيقي، وإنما هي مجرد إسقاط لخيالات الذكر ومخاوفه. وبتحقيق المساواة الاقتصادية والاجتماعية الكاملة ستتحول المرأة داخليا وتصبح فاعلة مثلها مثل الرجل (11).

وقد تبنت هذا المصطلح - النوع البشري- تيارات ذات مرجعيات مختلفة؛ من بينها «النسوية الليبرالية» التي نادت بالمساواة والحرية للمرأة في جميع مناحي الحياة، لكنها انتُقدت لكون مطالبها انحصرت في نساء الطبقة الوسطى من البيض دون غيرها. أما «النسوية الاشتراكية الماركسية» فلم تهتم إلا بالنساء العاملات، بينما سعت «النسوية الراديكالية» إلى القضاء على النظام الأبوي بدعوى أنه هو الحل لحصول المرأة على حقوقها، وذلك عبر اجتثاث العلاقات الجنسية بين الرجل والمرأة، لكونها أصل التمايز بينهما واستبدالها بالعلاقات المثلية، حيث يتساوى الطرفان؟!

مرحلة «ما بعد النسوية»(12): Post Feminism

برزت هذه المرحلة في منتصف ثمانينات القرن الماضي، وواكبت مصطلحات «ما بعد الحداثة» و «ما بعد البنيوية»(13) و «ما بعد الاستعمار»(14)، ووضعت التعدد محل الثنائية، والتنوع محل الاختلاف، من أبرز منظرات هذا التيار «جوليا كريستيفا»(15)، والتي تعتبر من النساء اللواتي رسخن لحوار نسوي يتمحور حول التفكيك والاختلاف والهوية، واهتمت هذه الموجة بمعالجة صور الخلل الاقتصادي والاجتماعي إلى جانب قضايا المرأة.

---

8) دليل أكسفورد للفلسفة، لتدهوندرتش، 925/2.

9) كاتبة ونسوية إنجليزية، وفيلسوفة روائية، ولدت عام 1759 م، نادت في كتابها «دفاع عن المرأة» بالمساواة بين الجنسين وبتحقيق تكافؤ الفرص للنساء مع الرجال. معجم الأفكار والأعلام، لهتشنسون، ترجمة خليل الجيوشي، دار الفرابي، بيروت، لبنان، سنة 2007م، الطبعة الأولى، ص -555 556.

10) فيلسوفة وجودية ولدت في «باريس» سنة 1908 م، التحقت بمدرسة كاثوليكية للبنات، تخرجت من «السربون»، تأثرت بأفكار «جان بول سارتر». النسوية وما بعد النسوية، لسارة جامبل، ترجمة أحمد الشامي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، سنة 2002م، الطبعة الأولى، ص 278.

11) النسوية وما بعد النسوية، لسارة جامبل، ص 64.

12) يعد نوعا من المشاركة في خطاب «ما بعد الحداثة»، لأن كلا منهما يسعى لخلخلة التعريفات الثابتة للنوع (كون الانسان ذكرا أو أنثى)، ولتفكيك النماذج والممارسات الاستبدادية. المرجع السابق، ص 450.

13) حركة فلسفية ظهرت في القرن العشرين الميلادي، رفضت مقولة أن هناك تراكيب أساسية في اللغة والأنظمة تساعد على فهم المعنى، بالمقابل اعتمدت- «ما بعد البنيوية» على الاستعارة والكناية والمجاز المرسل. معجم الأفكار، ص447.

14) يقوم من جهة على إنكار ونفي مركزية «الثقافة الاستعمارية»، ومن أخرى على الاستيلاء على الخطاب الاستعماري وإعادة صياغته قصد تسخيره. وهناك تشابه شديد بين «ما بعد الاستعمار» و«وما بعد النسوية» لأن كليهما يحاول تأصيل خبرة المهمشين، وإعادة تشكيل النصوص المعتمدة في ظل الاستعمار/ و/أو النظام الأبوي. النسوية وما بعد النسوية، ص -449 450 بتصرف.

15) فرنسية من أصل بلغاري ولدت سنة 1941م، محللة نفسية وعالمة لغويات ومنظرة وروائية وكاتبة، من مؤلفاتها» الرغبة في اللغة» سنة 1977م، كتاب «زمن المرأة» 1979م، رغم رفضها مصطلح»feminism» اهتمت في كتاباتها بمسألة الاختلاف بين الجنسين وكيفية تأثيره على تكوين الفرد وموقعه في المحيط الثقافي. المرجع السابق، ص -385 386.

المطلب الثاني: النسوية في العالم العربي

وعلى غرار سابقاتها، مرت النسوية بالعالم العربي هي الأخرى بثلاثة مراحل:

المرحلة الأولى: بدأت في البروز بالديار المصرية إبان القرن التاسع عشر، بُعيد الاحتكاك بالحضارة الغربية، حيث جاء الاهتمام بالمرأة ملحقا بقضية النهضة، وتركزت الأفكار النسوية في هذه المرحلة على المطالبة بحق المرأة في التعليم والعمل، دون أن يُنسب تخلف المرأة وتدني وضعها الاجتماعي للدين نفسه (16).

أما في المرحلة الثانية: فقد تطور الحراك النسوي مع «قاسم أمين»(17) حين دعا المرأة العربية إلى اقتفاء أثر المرأة الغربية والسير على خطاها، وقد اتسمت هذه المرحلة بالمطالبة بالمساواة بين الجنسين؛ ليس فقط في مرافق التعليم وحق الانتخاب والترشيح، بل اتسعت المطالبة بالمساواة في الميراث، وقد تزعم هذا المطلب القبطي «سلامة موسى»(18) من خلال كتاباته، وسار على دربه وأثره من بني ديانته «مرقص فهمي»(19)، حين نقل موضوع حقوق المرأة إلى ميدان المواجهة مع المعتقدات الإسلامية؛ حيث نادى في كتاباته بالقضاء على الحجاب الإسلامي، مما أسهم في بروز أقلام نسوية تشربت هذه الدعوى، وأصبحت هي الأخرى تنادي بها، ومن أبرزهن «درية شفيق» (20)، و«هدى الشعراوي» (21)...

وفي المرحلة الثالثة: والتي بدأت مع خمسينات القرن الماضي، تم استلهام الرؤى الفلسفية الغربية بكل حيثياتها، لا سيما مع تصاعد حركة الترجمة لتلك الأدبيات الفكرية بمختلف تياراتها، وجعلها عقيدة للمرأة توجه حركاتها وسكناتها، ولم يقف الأمر عند ذلك، حيث ازداد الإقبال على دراسة النوع بحسب الرؤى الغربية، فهذه «نوال السعداوي»(22) تصر على أن الأنثى هي الأصل، وأنها أقوى في التكوين من الرجل مستشهدة بعلم الأحياء. أما «فاطمة المرنيسي»(23) فهي ترى أن القراءة الأبوية للإسلام هي التي سمحت بالعنف والتمييز ضد المرأة، لذا لا بد أن تعاد قراءة هذه النصوص لتصبح صالحة للاستدلال بها في كتاباتهن ودعواتهن، ورفض ما يخالف تأويلاتهن، ومن أبرز سمات هذه المرحلة؛ الدعوة للمساواة المطلقة في الإرث، وفي الطلاق، وفي الإنفاق، ومنع الرجل من التعدد، ناهيك عن منح المرأة الحق في الزواج من غير ولي، وفي التصرف في عفتها وجسدها...؟! ومثال لاستنكار القوامة والتعدد ما ذهب إليه «زكي نجيب محمود»24 متسائلا -بعد أن أصبحت المرأة طبيبة ومدرسة وعالمة...-بقوله: «هل يعقل أن يقال للمرأة المسلمة المعاصرة ما كان يقال لسالفاتها من قوامة الرجال عليها بالمعنى

16) اتسمت هذه المرحلة بغياب الكتابات النسائية، وكان من رواد هذه المرحلة رفاعة الطهطاوي وبطرس البستاني وأحمد الشدياق وفرنسيس مراش...الخ. ينظر حركات تحرير المرأة من المساواة إلى الجندر، للدكتور الكردستاني، ص200.

17) قاضي مصري ولد سنة 1865 م، دعا إلى تعليم وتحرير المرأة من التقاليد ويقصد الحجاب، من مؤلفاته تحرير المرأة» و» المرأة الجديدة»، توفي سنة 1908م. أعلام المورد، لمنير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ص 66.

18) مصري ولد من أبوين قبطيين سنة 1887م، اشتراكي آمن بالتطور ومادية الكون، من أولى مقالاته «نيتشه وابن الإنسان» الذي نشر في المقتطف سنة 1909م، أصدر أول مجلة أسبوعية مصرية «المستقبل»... ربط بين حجاب المرأة والشذوذ الجنسي، وحجاب المرأة وحرارة الجو في البلاد العربية... كتاب الأدب والحياة، لسلامة موسى، دار النشر المصرية، القاهرة، جمهورية مصر العربية، 1956 م، مقدمة الكتاب بقلم يوسف أحمد حمودة- التي حررها سنتين قبل وفاة سلامة موسى 1958 م-.

19) محامي مصري قبطي ولد سنة 1870م، تخرج من كلية «إكس» الفرنسية، شارك في الحركة الوطنية أيام مصطفى كامل ومن بعده، من مؤلفاته «المرأة في الشرق، توفي بالقاهرة سنة 1955م. الأعلام، لخير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، مايو 2002م، الطبعة الخامسة عشر، 204/7.

20) مصرية، من تلميذات لطفي السيد، بعد رجوعها من فرنسا حيث حصلت على الدكتوراه، شكلت حزب «بنت النيل»، دعت - حسب زعمها- إلى تحرير المرأة المصرية من أغلال الإسلام وتقاليده، وتعني الحجاب والطلاق وتعدد الزوجات... كانت على علاقة قوية بسفارتي أمريكا وبريطانيا في مصر، شاركت في العديد من المؤتمرات، منها «مؤتمر أثينا الدولي» نيابة عن نساء مصر سنة 1951م، كانت نهايتها منتحرة سنة 1975م. عودة الحجاب، لمحمد بن أحمد بن إسماعيل المقدم، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، عام 1427هـ- 2006م، الطبعة العاشرة، ص 118 وما بعدها.

21) هي هدى محمد سلطان باشا، ولدت 1879م، ناشطة مصرية في الدفاع - حسب زعمها- عن حرية المرأة، أول فتاة مصرية تظهر سافرة سنة 1919م في مظاهرة نسائية بالقاهرة ضد الإنجليز، مؤسسة لجمعية «الاتحاد النسائي»، قامت بإصدار مجلة «المصرية»، توفيت سنة 1947م. معجم أعلام النساء، لمحمد التونجي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، سنة 2001م، الطبعة الأولى، ص179.

22) طبيبة مصرية، وروائية معاصرة، عرفت بجرأتها على ثوابت الإسلام، عملت في الصحافة ونشرت «مجلة نون»، لها عدة مؤلفات منها: «المرأة والجنس» 1972م، و»الأنثى هي الأصل» 1974م، و»الوجه العاري للمرأة العربية 1977م. المرجع السابق، ص 176. (ت 2021م).

23) كاتبة نسوية، وعالمة اجتماع مغربية، ولدت بفاس سنة 1940 م، درست في « السربون»، من مؤلفاتها: « ما وراء الحجاب»، « الحريم السياسي»، « الجنس كهندسة اجتماعية»، « سلطانات منسيات في الإسلام»... توفيت سنة 2015م.

24) فيلسوف وكاتب وأكاديمي مصري، بعد حصوله على شهادة الدكتوراه في الفلسفة من جامعة «لندن»، عاد إلى «مصر» حيث عمل بها مدرسا في قسم الفلسفة من 1947م حتى سن المعاش سنة 1965م، وبعدها عمل أستاذا متفرغا إلى وفاته 1993م، قدم «زكي نجيب محمود» سيرته قي ثلاثة كتب «قصة نفس»، و»قصة عقل»، و»حصاد السنين» ومن أعماله ترجمة أربع محاورات لأفلاطون، والعديد من المقالات عن «ديكارت» و»هيجل» و»سبينوزا»...

زكي نجيب محمود مفكرا عربيا ورائدا للاتجاه العلمي التنويري، للدكتور عاطف العراقي، دار الوفاء، الإسكندرية، مصر، ص 11 وما بعدها بتصرف

القديم، ومن حق الرجل من أمثالها العاملات والعالمات والمثقفات والقائدات، مثنى وثلاث ورباع؟ ...ومرة أخرى لن نجد حلولا إلا في حضارة الغرب الحديث» (25)، هكذا أريد للمرأة المسلمة أن تسير في ركاب الغرب!

يلاحظ مما تقدم؛ تقارب النسوية العربية مع سابقاتها الغربية لحد التطابق، لدرجة تقول معها «دلال البزري»: «ورثت النسوية /الإسلامية كل مفاعيل اندفاعية النسوية في الغرب، لكنها تنكرت لها وقالت إنه الإسلام»(26)، وهذا ما أوضحه المفكر الأردني «فهمي الجدعان» حين استخلص من قراءته لتطور الاتجاه النسوي في العالم العربي، أنه مر بثلاث اتجاهات؛ الأول إصلاحي حاول إلباس النسوية بلباس إسلامي، والثاني رافض لغيره متمركز حول ذاته - وهذا الاتجاه رفض المفكر المصري «عبد الوهاب المسيري» تصنيفه كحركة نسوية -، والثالث تأويلي بنى رؤيته على رفض الخطاب العلماني في تحليل وضع المرأة، لأن الإسلام وحده هو من حقق لها الحرية والمساواة (27). لذا اهتمت النسوية في العالم العربي بالإعادات الثلاث: أولاها إعادة قراءة النص الديني، وثانيها إعادة فهمه، وثالثها إعادة صياغته بهدف «الرجوع للمصادر الشرعية لاستخراج الحق المغيب للمرأة على أيدي الفقهاء الذكور من خلال آرائهم وشروحهم على مصادر التشريع»(28)، ومنه يمكن تعريف ما يسمى ب»النسوية الإسلاموية» بأنها «منهج إعادة قراءة التاريخ الإسلامي والنصوص الدينية وتأويلها وتأسيس حقوق النساء والمساواة، فضلا عن تحديد معالم» رؤية تحررية نسوية للقرآن، لا تخرج أصحابها وصاحباتها (29) من حدود الدين والإيمان»(30)، فهذا الاتجاه وإن كان يدعي الانطلاق من المرجعية الإسلامية، فإنه في الآن نفسه يستلهم الرؤى الغربية بما فيها تلك التي دعت إلى قراءة الكتاب المقدس بعهديه أو ما يسمى باللاهوت النسوي، ليسقطها على التراث الإسلامي. وهذا الاتجاه الأخير في موقفه من السنة النبوية هو الذي سيكون محل الدراسة في هذه الورقة.

المبحث الثاني: مكانة السنة النبوية عند النسويات وموقفهن منها

إذا كانت السنة عند اللغويين هي «السيرة، حسنة كانت أو قبيحة»(31)، فإن العلماء منذ العصر النبوي الشريف حصروا استعمالها على طريقته وسيرته ﷺ في الدين، فالمعنى المراد هو طريقة الإسلام، والمنهج النبوي الحنيف...

وعند المحدثين: «ما أضيف إلى النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو وصف أو سيرة»(32). ومنهم من جعلها «تشمل ما أضيف إلى الصحابي أو التابعي» (33). على أنهم متبعون لسنة النبي r، والسنة بهذا المعنى مرادفة للحديث عند جمهور المحدثين، اعتمدت في هذه الورقة السنة النبوية مرادفة للحديث. فما مكانتها في الفكر النسوي؟

المطلب الأول: مكانة السنة النبوية عند النسوية في العالم العربي

مر معنا أن معظم الاتجاهات النسوية تنطلق من قناعة أن الأديان-بشكل عام- أسهمت في إقصاء المرأة وتهميشها، مما سمح للرجل بالهيمنة وإحكام سيطرته عليها، لذا لم تدخر النسويات الغربيات جهدا في إخضاع الكتاب المقدس للدراسة من منظورهن، متوسلات بأساليب عدة الغاية منها تنقيحه من التقاليد الذكورية بزعمهن، لذلك طالبن تارة بإعادة تفسير نصوصه في محاولة لفضح المركزية الذكورية للنصوص الكتابية، وتارة بالمطالبة بإعادة صياغتها؛ وذلك بتغيير المصطلحات والضمائر المذكرة إلى مصطلحات وضمائر محايدة، لأنهن يرين أن الخطاب بصيغة المذكر فيه نوع من الإقصاء والتهميش للمرأة(34). وبالفعل تفاعلت الكنيسة مع مطالب النسويات وتم إصدار «الطبعة المصححة» للكتاب المقدس بعهديه، كما سعت «ترجمة اليوم الدولية الجديدة» استبدال ألفاظ تخاطب الذكور بألفاظ تصلح للنوع-الجندر-.

---

25)تجديد الفكر العربي، للدكتور زكي نجيب محمود، مؤسسة هنداوي، سنة 2017م، ص 49-50.

26) الفكر النسوي الإسلامي في العالم العربي المعاصر بين التراث والحداثة، للدكتورة ميسون ضيف الله الدبوبي، دار النشر الآن، سنة 2020م، ص 57.

27) خارج السرب بحث في النسوية الإسلامية الرافضة وإغراءات الحرية، فهمي الجدعان، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، لبنان، 2012م، ص 42.

28) النقد النسوي وموقفه من الإسلام، للدكتورة سامية العنزي، بتاريخ 17 مايو 2016م، لها أولاين. https: //www. lahaonline. com/articles/view/50312. htm

29) منهم فاطمة المرنيسي، طارق رمضان، أمينة ودود، أسماء برلاس، رفعت حسن، أميمة أبو بكر.

30) خارج السرب، فهمي الجدعان، ص 42.

31) لسان العرب لابن منظور، مادة «سنن»، 225/13.

32) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، لمصطفى السباعي، دار الوراق، سنة 2011م، طبعة المكتب الإسلامي، ص 47.

33) المرجع السابق نفسه، نفس الصفحة.

34) للتوسع مقالة « النسوية والدين»، لأليسون جاسبر، نشرت ضمن كتاب «النسوية وما بعد النسوية»، لسارة جامبل، ص. 233

بالموازاة رأت النسويات في العالم العربي، كما تقول «نظيرة زين الدين»: «أن للمرأة الحق في المشاركة في الاجتهاد الشرعي تفسيرا وتأويلا، بل أنها أولى من الرجل بتفسير الآيات القائم فيها حقها وواجبها، لأن صاحب الحق والواجب أهدى إليها سبيلا» (35)، وبناء على هاته القناعة توالى الانكباب على دراسة التراث الديني الإسلامي من منظور نسوي، بنفس العدة المنهجية التي استخدمتها النسوية الغربية في التراثين اليهودي والمسيحي، فالتونسية «رجاء بن سلامة»(36) - من أكثر النسويات تطرفا - تقرر: «لم يعد بالإمكان اعتبار القرآن مصدرا للتشريع والاجتهاد في مجال المعاملات والحياة العامة، ولم يعد بالإمكان الإبقاء على اللامساواة بين الرجال والنساء، ولم يعد الإمكان قطع يد السارق، وقتل المرتد، وقتل الزاني المحصن، وجلد شارب الخمر...»(37)، وهذا طعن صريح في حجية القرآن الكريم وفي تشريعاته، وإذا كان هذا موقفهن من مصادر التلقي الإسلامية وفي طليعتها القرآن الكريم، فما بالك بالسنة النبوية!

ولقد توالت بعد ذلك الأقلام النسوية في كتابات غايتها مهاجمة التراث الإسلامي كشأن «رفعت حسن»(38) التي سارت في ركاب «رجاء بن سلامة» مؤكدة أن «مصادر التلقي الإسلامية لا تشكل كتلة متماسكة من التعاليم والارشادات يمكن أن نستخلص منها منظومة شاملة ومتفق عليها للمعايير الإسلامية» (39)، وموضحة مقصدها في موضع آخر قائلة: «إن القرآن أكثر إنصافا من شأن النوع، بينما تستمد معظم الأحكام المجحفة بالنساء من الحديث» (40)، وهذا طعن صريح في السنة المطهرة.

من الملاحظ أن النسويات- التأويليات بصفة خاصة- تستبعدن السنة النبوية، وقد تستحضر بعضهن السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي، وتتعاطى معهما وفق منهج تفكيكي يهدف إبراز تأثيرات السلطة الأبوية والتحيزات الذكورية تجاه المرأة. من رائدات هذا الاتجاه في المغرب «أسماء المرابط»(41) إحدى تلميذات «فاطمة المرنيسي» التي تعمل على إعادة دراسة الإطار التاريخي للوحي، لتجاوز العناصر الأسلوبية الخاصة بالخطاب الإسلامي المحافظ حول النساء، وتتساءل: «كيف يمكن أن نكتفي بتفسير جُمع وتراكم منذ قرون، اعتُمد فيما يخص المرأة التفسير الحرفي المباشر؟ ولماذا نبقى متعلقين بقراءات تقليدية عفا عليها الزمان؟ ونترك المنهج الذي أكد عليه من خلال مبادئه الأساسية الكبرى التي تدعو للاجتهاد وإعادة القراءة، ليمكن التوفيق بين الواقع الاجتماعي وبين النص ذاته» (42).

يتضح مما سبق أن الفكر النسوي يكرس مصدرية الواقع، عن طريق الربط بين فهم المفسرين والفقهاء للأحكام الشرعية وبين واقعهم، بدعوى أن فهمهم كان نتيجة للسياق الاجتماعي الذي عاشوه، لذا وجب تجاوزه.

المطلب الثاني: موقف النسويات من السنة النبوية

وجهت النسويات سهام طعونها إلى مجموعة من الأحاديث واعتبرت رواتها معادين للمرأة، وفي طليعتهم الصحابي الجليل «أبي هريره» رضي الله عنه الذي وصفته «المرنيسي» بأنه: «راوي الأحاديث التي تغرق الحياة اليومية لكل امرأة مسلمة عصرية بعد أن أصبح مصدر تفسير ضخم في الأدب الديني، كان «أبو هريرة» ويبقى دائما موضوع تناقضات، وهو بعيد عن أن يجمع عليه بصفته مصدرا موثوقا»(43).ومثلت لذلك بحديث:

---

35) النسوية والدراسات الدينية، ترجمة رندة أبوبكر، مؤسسة المرأة الذاكرة، سنة 2012م، ص 9.

36) كاتبة وباحثة تونسية ولدت سنة 1968 م، حصلت على دكتوراه الدولة في اللغة والآداب والحضارة العربية بأطروحة تحت عنوان: «العشق والكتابة، قراءة في الموروث»، درست التحليل النفسي بكل من «تونس» و«فرنسا»، هي إحدى المؤسسات لرابطة « العقلانيين العرب» ولجمعية «بيان الحريات بفرنسا»، ولجمعية «الثقافية التونسية للدفاع عن اللائكية»، تشتغل حاليا محللة نفسية. https: //www. noor- book. com/book/review/367592

37) المرجع السابق، ص 112.

38) باكستانية، باحثة في الدراسات الدينية النسوية، تنقلت بين جامعات «بريطانيا» و«أمريكا»، تتبنى منهجا خاصا في تأويل القرآن. النسوية والدراسات الدينية، - كتاب جماعي-، تحرير أميمة أبو بكر ص 300.

39) النسوية والدراسات الدينية، مقالة رفعت حسن بعنوان: «النساء المسلمات وإسلام ما بعد الأبوية، الطبعة الأولى، ص 215.

40) النسوية الإسلامية: حركة نسوية جديدة أم إستراتيجية نسائية لنيل الحقوق؟ أمل قرامي، المستقبل العربي، تموز / يوليو 2012، ع 401، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ص-36 37. http: //www. lagora- univ- oran2

41) طبيبة مغربية، انخرطت في بحث ودراسة قضايا النساء في الإسلام، نصبت مديرة مركز الدراسات والبحوث في قضايا النساء في الإسلام التابع للرابطة المحمدية للعلماء في الرباط، - الذي استقالت منه على إثر الضجة التي حدثت بسبب مطالبة «المرابط» بالمساواة في الإرث-. النسوية والمنظور الإسلامي، أميمة أبو بكر، ترجمة رندة أبوبكر، مؤسسة المرأة الذاكرة، الطبعة الأولى، سنة 2012م، ص 215.

42) القرآن والنساء دعوة للتحرر، لأسماء المرابط، ترجمة محمد الفران، سنة 2010 م، ص11.

43) الحريم السياسي، ص 98.

عن عبد الله بن عمر سمعت رسول الله rيقول: ((إنما الشؤم في ثلاثة: في الفرس والمرأة والدار))(44) ، تعلل «المرنيسي» ردها للحديث بسبب الخوف الخرافي من النسوي(45)، وتعيب على «البخاري» ذكره لهذا الحديث ثلاث مرات في صحيحة دون ذكر اعتراض السيدة «عائشة» tعليه.

ويُرد على هذه الشبهة: ليس في قوله ((إنما الشؤم في ثلاثة...)) إباحة الطيرة منها، ولكن معنى الحديث أن هذه الأشياء أكثر ما يتطير به الناس، فمن وقع في نفسه شيء أُبيح له أن يتركه، ويستبدل به غيره، حسما للمادة وسدا للذريعة لئلا يوافق شيئا من ذلك القدر، فيعتقد الطيرة، فيقع في اعتقاد ما ينهى عن اعتقاده، ويطول تعذبه، ونظيره الأمر بالفرار من المجذوم مع صحة نفي العدوى، ومعنى ذلك أن الحديث سيق لبيان اعتقاد الناس في ذلك، لا أنه إخبار من النبي r بثبوت ذلك، وقيل أيضا شؤم الدار ضيقها وسوء جوارها، وشؤم الفرس ألا يغزى عليه، وشؤم المرأة سوء خلقها، فيحمل الشؤم على قلة الموافقة وسوء الطباع (46).

-وعن ابن عباس وعمران بن الحصين عن النبيr قال: ((اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء، واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء))(47) ،ويرد على استشكال «المرنيسي» حول قولهr: ((اطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء)) بحديث آخر حين قالr لهن يوم عيد: ((يا معشر النساء تصدقن فإني رأيتكن أكثر أهل النار))(48)، وأبان النبي rعن علة ذلك بقوله: ((تكثرن اللعن وتكفرن العشير، ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن))، فمن جهة، في الحديث الشريف تنبيه للنساء وتأكيد على الحذر من استسهال اللعن، ومن جهة أخرى الحديث سيق مساق مدح النساء وتبيان قدرتهن على التأثير، فلو كان نقصا لكان الرجل به أحق، لأن اللب أخص من العقل، وإذا كان الرجل الضابط لأمره ينقاد لهن فغير الضابط أولى(49).

-عن «أبي هريرة» قال: قال رسول الله ((يقطع الصلاة المرأة والحمار والكلب، ويقي ذلك مثل مؤخرة الرحل))50، تستنكر «المرنيسي» هذا الحديث وتعبر عن ألمها الشديد منه51، استشكال «المرنيسي» راجع لاعتقادها أن هذه المذكورات الثلاث متساوية ما دامت جاءت في سياق واحد، والحق أنه لا تماثل في العلل التي تقطع بها هذه المذكورات الصلاة، قال الإمام القرطبي رحمه الله: «ذلك أن المرأة تفتن، والحمار ينهق، والكلب يروع، فيتشوش المتفكر في ذلك حتى تنقطع عليه الصلاة وتفسد، فلما كانت هذه الأمور تفيد آيلة إلى القطع جعلها قاطعة»(52)، فالاقتران في النظم لا يستلزم الاقتران في الحكم.

ويتضح موقف النسويات من الأحاديث النبوية بشكل أوضح من خلال نموذج حديث الرسول r: ((لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة)) (53)، الذي رواه «أبو بكرة»، لأنه من أكثر الأحاديث استشكالا من طرف النسويات:

-فمنهن من عدت هذا الحديث متعارضا مع أدلة قطعية من القرآن الكريم، مثل ما ذهبت إليه إحداهن بربط عجيب غريب بين متنه وبين الآية الخامسة من سورة البقرة التي يقول الله تعالى فيها عن المؤمنين: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة: 4]. معللة ذلك أن ملكة سبأ وهي امرأة قادت شعبها نحو الفلاح وهو السلام، على عكس «فرعون» الذي لم يفلح قومه وهو رجل بتوليه زمام أمورهم. لتستنتج أن الذكورة والأنوثة ليستا بضمان لفلاح الحاكم، مقررة أن هذا الحديث متعارض مع القرآن، ليضح أن استدلالها منعكس على نفسه بالبطلان، فصحيح أن الفلاح كما قالت ليس متعلق بالذكورة والأنوثة، ولكن فاتها أنه متعلق بالإيمان، فلا نجاح ولا فلاح في الدنيا والآخرة من غير إيمان.

---

44) أخرجه البخاري، كتاب الطب، باب لا عدوى، رقم الحديث 5752.

45) الحريم السياسي، ص 96.

46) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، تحقيق فؤاد عبد الباقي وآخرون، طبعة الريان، كتاب الجهاد والسير، باب ما يذكر من شؤم الفرس، رقم الحديث 2858، 71/6 وما بعدها بتصرف.

47) أخرجه البخاري، كتاب بدء الخلف، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، رقم الحديث 3241.

48) أخرجه البخاري، كتاب الحيض، باب ترك الحائض الصوم، رقم الحديث 304.

49) فتح الباري، 405/1.

50) أخرجه مسلم، كتاب الصلاة، باب قدر ما يستر المصلي، رقم الحديث 511.

51) الحريم السياسي، ص 85.

52) المفهم لما أشكل من كتاب تلخيص مسلم، لأبي عباس القرطبي، تحقيق محي الديب مستو وآخرون، دار ابن كثير، سنة 1996م الطبعة الأولى، كتاب الصلاة، باب اعتراض المرأة بين يدي المصلي، حديث رقم 407، 109/2.

53) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث 4425، (8/6).

- أما «فاطمة المرنيسي» فقد ادعت أن معظم الأحاديث موضوعة حتى ولو وجدت في الصحيحين، إذ تقول: «يوجد فيها من الأحاديث المكذوبة أكثر ما يوجد من الأحاديث الصحيحة» (54)، ورأت على منهجها أن هذا الحديث -رغم وروده في صحيح البخاري- معادي للنساء وتم استغلاله لاستبعادهن عن السلطة، وطعنت في أحد رواة الحديث «أبي بكرة «من جهتين:

الأولى باستنكارها لقوة ذاكرته- أبي بكرة - ولذكره هذا الحديث حسب زعمها لتبرئة نفسه بعد غلبة «علي» t في موقعة الجمل مصرحة بأنه «يجب أن تكون لأبي بكرة ذاكرة أسطورية لأنه تذكر بعد ربع قرن من موت النبي r، في الفترة التي استرد فيها «علي» « البصرة» بعد أن غلب «عائشة» في موقعة الجمل» (55)، وتابعت قائلة: « صُرع ثلاثة عشر ألف رجل من أنصار «عائشة» في ساحة المعركة، واستعاد «علي» المدينة، وكل الذين اختاروا جماعة «علي» كان عليهم تبرئة أنفسهم، وهذا ما يمكن به تفسير أن رجلا مثل « أبي بكرة» كان بحاجة ليتذكر أحاديث سماوية»(56)، فحسب المرنيسي كانت روايته للحديث بغرض سياسي. ولم تلتفت أن «عائشة» t لم تنازع «عليا»t الخلافة، ولم تخرج للقتال ولكن طلبا للقصاص من قتلة «عثمان»t، وأن «أبا بكرة» t كان من جملة الصحابة الذين اعتزلوا معركة الجمل، حتى أن «الشعبي» t قال: «لم يشهد الجمل من أصحاب «علي» t غير «عمار» t و»طلحة» t و»الزبير»t فإن جاوزوا بخامس فأنا منهم» (57). كما أن «أبا بكرة»t روى العديد من الأحاديث الناهية عن القتال بين المسلمين أصلا.

أما الثانية: فقررت «المرنيسي»: «أن» أبا بكرة» يجب رفضه كمصدر للحديث من قِبل كل المسلمين العالمين» (58)، معللة موقفها هذا بحد الجلد الذي تعرض له، لأنه كان من بين الشهود الأربعة على شبهة شروع «المغيرة بن شعبة في الزنى»، ولما حقق «عمر» t في الأمر تراجع أحدهم- الشهود- لعدم تحققه من الواقعة مما عرض باقيهم للجلد. ولم تنتبه أن حد «أبي بكرة» t جاء في مساق الشهادة، وما جاء في مساقها لا يوجب التفسيق ولا جرح العدالة (59).

يتبين إذن؛ أن «المرنيسي» لم ترد حديث «أبي بكرة» لنكارة في متنه أو طعن في عدالة رواته، وإنما لاعتمادها نهج التاريخانيين في استحضار الظروف المصاحبة لوروده. ورغم زعمها قراءة أمهات المصادر التاريخية والحديثية، وهنا يحق التساؤل عن مدى استيعابها لتلك المصادر ومدى قدرتها على التعاطي معها! خاصة أنها خلطت بين قبول الشهادة وبين قبول الرواية، كما تعاملت بانتقائية كبيرة حين استندت على «أسد الغابة» لاستخلاص معلومات عن أصل وسيرة «أبي بكرة»t متجاهلة ما قاله: «الحسن البصري» رحمه الله عنه: «لم ينزل البصرة من الصحابة ممن سكنها أفضل من «عمران بن حصين» و»أبي بكرة»» (60).

مما سبق نخلص لتعدد مواقف النسويات من السنة النبوية:

-إما بإنكار حجيتها جملة وتفصيلا كما فعلت « رفعت حسن» بدعوى أن معظم الأحكام المعادية للنساء مستمدة منها.

-أو بالطعن في متون بعض الأحاديث بدعوى أنها معارضة لما هو أرجح منها وهو الأدلة من القرآن الكريم، كما فعلت «رفعت حسن» و»أسماء المرابط».

-أو بالطعن في الرواة وفي علماء الأمة بدعوى جرح العدالة أو توظيف الأحاديث لأغراض سياسية تستهدف إبعاد النساء عن مقاليد السلطة والإمامة كما فعلت «المرنيسي» و»أسماء المرابط».

المطلب الثالث: انتقاء النسويات الأحاديث النبوية لانتقاد التراث الفقهي:

تتعامل النسويات بنوع من الانتقائية في التعامل مع السنة النبوية، فهنّ يطعنّ في الحديث حين يخالف آراءهنّ، ويستدلن حتى بالضعيف منها لتسويغ بعض أطروحاتهنّ، مثل ما ذهبت إليه «فاطمة المرنيسي» حين صنفت زيجات النبي r إلى نوعين، إذ تقول: «بعض هذه الزيجات كان لازما لاعتبارات حربية لتقوية شبكة التحالفات مع القبائل التي اعتنقت الإسلام مجددا أو

54) الحريم السياسي، ص 13.

55) الحريم السياسي، لفاطمة المرنيسي، ص 68.

56) المرجع السابق نفسه، ص -71 72.

57) السنة، لأبي بكر أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد الخلال (ت 311 ه)، تحقيق عطية الزهراني، دار الراية، الرياض، المملكة العربية السعودية، سنة 1989 م، 466/2.

58) حريم السياسي، لفاطمة المرنيسي، ص 79.

59) وهذا ما أكده علماء الأمة مثاله «ابن حزم» في «الإحكام في أصول الأحكام»، و»الزركشي» في «البحر المحيط في لأصول الفقه».

60) الإصابة في تمييز الصحابة لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، يليه كتاب الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر، تحقيق طه محمد الزيني، مكتبة ابن تيمية، القاهرة سنة 1414 ه، سنة1992م، 24/4.

مصاهرتها، لكن البعض الآخر كان الجمال الطبيعي للنساء هو العامل المسيطر»(61) ثم مثلت لزواجه r من «جويرية بنت الحارث»t للاعتبار الأول، ومن ابنة عمته «زينب بنت جحش»t للاعتبار الثاني، وادعت أن النبي r لما رأى «زينب»t مكشوفة الرأس صعق «صعقة الحب» -حاشاه- على حد قولها، لذلك أغمض عينيه وقال r: «سبحان الله الكبير، سبحان الله الذي يقلب الأفئدة والعيون وذهب»(62))63، فات «المرنيسي» أن سياق زواجه r من زينب كان لإبطال عادة التبني، مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾[الأحزاب : 37]. فقد روى البخاري، عن «أنس بن مالك» أن هذه الآية ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا ,﴾ [الأحزاب: 37] نزلت في شأن «زينب بنت جحش» و«زيد بن حارثة»))64.

كما ذهبت «أمل قرامي» في قراءتها «الجندرية» لبعض الأحاديث، إلى اتهام الفقهاء بالتحيز ضد النساء، بدعوى أن الشعائر التي أصلوا لها وبينوا أحكامها -كالصلاة مثلا- قائمة على التمييز بين الجنسين في الضمير الجمعي، ففي نظرها «أن أحكام الصلاة ليست إلا صياغة بشرية نابعة من المعايير الاجتماعية والمواضعات الثقافية السائدة في المجتمع وفي العصر» (65)، مسوغة طرحها هذا باختلاف أحكام الصلاة بين المرأة والرجل، ومثلت لذلك بحديث: ((التسبيح للرجال، والتصفيق للنساء)) (66). لأن التصفيق في نظرها مرتبط بالمعاملات التجارية وبسياسة الدواب، كما له وشائج ببعض الفنون التي اعتُبِرَت لصيقة بالمرأة نحو الرقص والغناء، وهي فنون متنزلة في إطار الملاهي الدنيوية، ومرتبطة في المتخيل الجمعي بالشيطان، ممّا يؤكد أن المرأة كائن دنيويّ نادرا ما يرتقي إلى عالم المقدس. أما التسبيح، فهو تنزيه لله... فالتسبيح طقس قولي يتلاءم مع الإطار التعبّدي، فلا يفصل المؤمن عن الدنيويّ كما هي الحال بالنسبة إلى التصفيق، بل يعمّق صلته بربّه وبالمقدس (67). ومنه خلُصت «قرامي» إلى أن الثقافة حدّدت وسائل التخاطب بين الناس على أساس التمييز بين الجنسين، في توظيف غريب للحديث لانتقاد الفقه الإسلامي.

وقد أوضح «أبو المظفر الشيباني» معنى هذا الحديث، بقوله: «التسبيح في الصلاة إذا وجد لم ينافها؛ لأنه مذكور في الصلاة، وإنما شرع التصفيق للنساء لأشياء منها:

- ألا يسمع المؤمنون صوت المرأة في الصلاة، فإنه وإن لم يكن عورة، فإن الأولى تجنبه مخافة الفتنة؛ لأن في أصوات النساء ترخيمًا ليس في أصوات الرجال.

- ومنها أيضًا: أنه قد يكون في المصلين من تكون زوجته أو ابنته في الصلاة، فإذا تكلمت تلك تأثر زوجها لكلامها من حيث إنه في عبادة، فإذا سمع صوتًا يعرفه تأثر بسماعه تأثرًا إما لغيرة تهيج، وإما إن تذكر حالًا قد كان بينه وبينها، أو غير ذلك.

- ومنها أيضًا: أنه بصوتها يعرف مكانها من الصفوف، وفي ذلك أيضًا ما يستدل به على ما يتغير به لبه من كونها في أوائل الصفوف أو في أواخرها أو في جوانبها، فكان التصفيق سترًا على ذلك كله، فأمرت أن تصفق ببطن كف على ظهر أخرى؛ لأن التصفيق ببطن كف على بطن الأخرى قد يستلذ، فلم يصلح ذلك في الصلاة ولا في غيرها» (68).

ليتضح بهذا أن الحديث ليس فيه تحقير ولا تبخيس لمكانة المرأة بل فيه حفاظ على عفتها وحمايتها من إثم الفتنة الذي يمكن أن تجره على نفسها من غير قصد منها، فالأصل في هذا الحديث هو حماية الجانب الروحي في الصلاة، فالمرء رجلا كان أو امرأة ما دام في المسجد فهو في عبادة...أما اعتماد شرح خارج هذا السياق فهو ضرب من الجهل المركب يجب على صاحبه العودة إلى ما قاله أهل العلم في الباب، عوض الاجتهاد بناء على آرائه وما يخدم وجهة نظره، قال تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[القصص : 50].

---

61) الحريم السياسي، لفاطمة المرنيسي، ص 128.

62) تاريخ الأمم والملوك، لأبي جعفر الطبري (ت 310)، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، عام 1387 هـ/1967 م، الطبعة الثانية، 562/2. (الحديث لا أصل له لا في كتب الحديث ولا في شروحه).

63) الحريم السياسي، لفاطمة المرنيسي، ص 128.

64) أخرجه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب ﴿وتخفي في نفسك ما الله مبديه﴾، حديث رقم:4787.

65) الاختلاف في الثقافة العربية الإسلامية، لأمال قرامي، 489.

66) صحيح، متفق عليه.

67) الاختلاف في الثقافة العربية الإسلامية، دراسة جندرية، لأمال قرامي، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، 2007م، الطبعة الأولى، ص 491.

68) الإفصاح عن معاني الصحاح، ليحيى بن هبيرة، أبو المظفر الشيباني، تحقيق فؤاد عبد المنعم أحمد، دار الوطن، عام 1417هـ بدون طبعة، 172/6.

خاتمة:

خلصت الورقة إلى ما يلي:

- للسنة النبوية نفس مكانة القرآن في الإسلام، فهما معا يمثلان عنصري الوحي، والطعن في أحدهما ينسحب على الآخر.
- انطلقت النسويات من موقف سلبي مسبق من السنة النبوية، - بدعوى اتهام علماء الإسلام بالذكورية-، لذا سعين بزعمهن لتصحيح المفاهيم الخاطئة المتعلقة بالمرأة في جذورها الدينية والتاريخية وفي امتداداتها المعاصرة.
- ان التيارات النسوية بمختلف تلويناتهن، حتى تلك التي تزعم أنها تتخذ الإسلام إطارا مرجعيا، بضاعتهنّ مزجاة في التعاطي مع نصوص الوحي وغير ملمات بعلوم الحديث ومناهجه باعتراف «المرنيسي» في مقدمة كتابها «الحريم السياسي».
- لا يخرج تعاطي المشككات من النسويات مع السنة النبوية عن هذه الأصول: إما بإسقاط الحاجة إليها، أو بالطعن في نقلتها، أو بالتشكيك في مناهج المحدثين، أو بادعاء تعارض بعض الأحاديث الصحيحة لما هو أرجح منها...
- ليست للنسويات منهجيات منضبطة في التعاطي مع السنة النبوية، فهن يتعاملن معها غالبا باستخفاف وانتقائية وعشوائية في الطرح.

التوصيات:

- غرس الهدي النبوي في المناهج الدراسية لمختلف الفئات العمرية.
- إبراز أصالة وتكامل مناهج علماء الحديث دراية ورواية، في الحفاظ على السنة النبوية المطهرة.
- مد جسور التواصل بين الجامعة الإسلامية بمنيسوتا وباقي الجامعات، بهدف تطوير الحركة العلمية، وعقد مؤتمرات مشتركة دورية ودولية.
- تأسيس مواقع علمية دعوية مؤهلة تابعة للجامعة لنصرة الوحي قرآنا وسنة.

لائحة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.
- الصحيحين.
- الاختلاف في الثقافة العربية الإسلامية، لأمال قرامي دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2007م.
- الإصابة في تمييز الصحابة لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، يليه كتاب الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر، تحقيق طه محمد الزيني، مكتبة ابن تيمية، القاهرة سنة 1414 هـ، سنة1992م.
- أعلام المورد، لمنير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان.
- الأعلام، لخير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، الطبعة الخامسة عشر، مايو 2002م.
- تاريخ الأمم والملوك، لأبي جعفر الطبري (ت 310)، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، الطبعة الثانية، عام 1387 هـ/1967 م.
- حركات تحرير المرأة من المساواة إلى الجندر، للدكتور مثنى أمين الكردستاني، دار القلم، القاهرة، الطبعة الأولى، عام 1425هـ-2004م.
- الحريم السياسي: النبي والنساء، لفاطمة المرنيسي ترجمة عبد الهادي عباس، دار الحصاد، دمشق، سوريا.

- خارج السرب بحث في النسوية الإسلامية الرافضة وإغراءات الحرية، فهمي الجدعان، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، لبنان، سنة 2012م.
- دليل أكسفورد للفلسفة، لتدهوندرتش.
- زكي نجيب محمود مفكرا عربيا ورائدا للاتجاه العلمي التنويري، للدكتور عاطف العراقي، دار الوفاء، الإسكندرية، مصر.
- السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، لمصطفى السباعي، دار الوراق، طبعة المكتب الإسلامي، سنة 2011م.
- السنة، لأبي بكر أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد الخلال (ت 311 ه)، تحقيق عطية الزهراني، دار الراية، الرياض، المملكة العربية السعودية، سنة 1989م.
- الصحاح، لإسماعيل بن حماد الجوهري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، عام 1419هـ- 1999م.
- عودة الحجاب، لمحمد بن أحمد بن إسماعيل المقدم، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة العاشرة، عام 1427هـ- 2006م.
- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، تحقيق فؤاد عبد الباقي وآخرون، طبعة الريان.
- الفكر النسوي الإسلامي في العالم العربي المعاصر بين التراث والحداثة، للدكتورة ميسون ضيف الله الدبوبي، دار النشر الآن، سنة 2020 م.
- القاموس المحيط، للفيروز آبادي، إشراف محمد نعيم العرقسوسي، مكتب تحقيق التراث بمؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة السادسة.
- القرآن والنساء دعوة للتحرر، لأسماء المرابط، ترجمة محمد الفران، سنة 2010 م.
- كتاب الأدب والحياة، لسلامة موسى، دار النشر المصرية، القاهرة، مصر العربية، 1956 م.
- لسان العرب، لجمال الدين بن منظور الإفريقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، 1419هـ- 1999م.
- معجم أعلام النساء، لمحمد التونجي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، سنة 2001م.
- معجم الأفكار والأعلام، لهتشنسون، ترجمة خليل الجيوشي، دار الفرابي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، سنة 2007م.
- المفهم لما أشكل من كتاب تلخيص مسلم، لأبي عباس القرطبي، تحقيق محي الديب مستو وآخرون، دار ابن كثير، الطبعة الأولى، سنة 1996م.
- النسوية الإسلامية: حركة نسوية جديدة أم إستراتيجية نسائية لنيل الحقوق؟ أمل قرامي، المستقبل العربي، ع 401، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، تموز / يوليو 2012م.
- النسوية والدراسات الدينية، ترجمة رندة أبوبكر، مؤسسة المرأة الذاكرة، سنة 2012م.
- النسوية والمنظور الإسلامي،» أميمة أبو بكر»، ترجمة رندة أبوبكر، مؤسسة المرأة الذاكرة، الطبعة الأولى، سنة 2012م.
- النسوية والمواطنة لريان فورث، ترجمة، تحقيق، أيمن بكر، سمر الشيشكلي، فريدة النقاش، منشورات المركز القومي للترجمة، سنة 2017 م.
- النسوية وما بعد النسوية، لسارة جامبل، ترجمة أحمد الشامي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، الطبعة الأولى، سنة 2002م.
- نقد الثوابت، آراء في العنف والتمييز والمصادرة، لرجاء بن سلامة، سنة 2011 م.
- النقد النسوي وموقفه من الإسلام، للدكتورة سامية العنزي، بتاريخ 17 مايو 2016، لها أولاين.
- https: //www. lahaonline. com/articles/view/50312. htm
- http: //www. lagora- univ- oran2.
- https: //www. noor- book. com/book/review/367592

البحث السادس

العصرانيون في مواجهة السنة النبوية (دراسة منهجية)

إعداد:
أ.م.د/ عبدالرحمن عبدالناصر سيد
أستاذ الحديث النبوي وعلومه المساعد بقسم الدراسات الإسلامية
كلية الآداب ــ جامعة المنيا
جمهورية مصر العربية

Tel: 00201061239659

Email: dr.abdalrhman2014@yahoo.com

الملخص:

ظهرت العديد من الحملات التي تواجه السنة النبوية، وتقدح فيها وفي حجيتها ، وتنفي الدور الذي جاءت من أجله، على أساس أنها المذكرة التفسيرية لآيات القرآن الكريم ، بدأت هذه الحملات منذ القرون الأولى واستمرت حتي عصرنا الذي نعيش، بتوجيه كل عناصر الطعن والقدح في سنته صلى الله عليه وسلم ، إلا أن هذه الحملات لم تختلف عن بعضها البعض في التوجيه العقلي ، ونفي الوحي عن السنة النبوية ، وقولهم إن السنة ليست وحيا، البعض منهم أنكر الوحي تماماً كالملاحدة الذين يرون بوجوب اتباع العقل دون غيره في الاعتقاد والإيمان والحياة، والبعض منهم أنكر الوحي على سنته صلى الله عليه وسلم ، وقالوا إن السنة ما هي إلا تجارب بشرية قد تقع لأي إنسان ولذلك نفوا عنها قضية الوحي كالعصرانيين.

لذلك هدفت الدراسة الوقوف على منهجهم في مواجهة السنة النبوية، والنظر في كيفية الرد عليهم، ومدى انتشارهم كتيارات منحرفة ، خاصة بعد انتشار وسائل التواصل الاجتماعي ، التي أدت بدورها إلى سرعان ما تنتشر المعلومات شرقا وغربا؛ لأن الهدف الرئيس لهذه التيارات هو استكمال سلسلة الحملات المتتابعة للطعن في السنة وثوابتها، وإغراق المجتمع الإسلامي في مشاكل الهوية والفكر والصدامات الفلسفية استمرارًا لنظرية هدم الإسلام من الداخل، ومن نتائج الدراسة استمرار الطعن والنقد في السنة النبوية قديما وحديثا، وما يفرق بين هذه التيارات هو الطريقة؛ لأن المبدأ ثابت والماهية ثابتة، فالاختلاف فقط في طريقتهم في التعامل العقلي مع النصوص، وهذا لا يمنع القول بأنها مذاهب منحرفة على مر الزمان، ولها منهجيتها في الطعن، ومنها أيضا الجابري، وشحرور، والترابي، وأركون، من العصرانيين الذين وجهوا سهامهم النقدية على السنة النبوية في العصر الحاضر، فيجب أن تكون هناك مؤسسة علمية ضخمة هدفها الذب عن السنة النبوية والدفع عنها.

الكلمات المفتاحية: العصرانيون، الإسلام، الشبهات، القدح، الطعن .

Abstract:

Several campaigns have emerged that confront the Prophetic Sunnah, criticize it and its authenticity, and deny the role for which it came, on the grounds that it is the explanatory memorandum of the verses of the Noble Qur'an. However, these campaigns did not differ from each other in rational guidance, denying revelation from the Prophetic Sunnah, and saying that the Sunnah is not a revelation. The revelation is according to his Sunnah, may God's prayers and peace be upon him, and they said that the Sunnah is nothing but human experiences that may happen to any human being.

Therefore, the study aimed to stand on their approach to confronting the Prophet's Sunnah, and to consider how to respond to them, and the extent of their spread as deviant currents, especially after the spread of social media, which in turn led to the rapid spread of information east and west; Because the main goal of these currents is to complete a series of successive campaigns to challenge the Sunnah and its constants, and to plunge the Islamic community into problems of identity, thought and philosophical clashes in continuation of the theory of demolishing Islam from within. ; Because the principle is fixed and the essence is fixed, the difference is only in their way of mentally dealing with texts, and this does not prevent us from saying that they are deviant sects over time, and they have a methodology of appealing, Also, among them are Al-Jabri, Shahrour, Al-Turabi, and Arkoun, among the modernists who directed their monetary arrows on the Prophetic Sunnah in the present era, so there must be a huge scientific institution whose goal is to defend and defend the Prophetic Sunnah.

key words: Modernists, Islam, suspicions, slander, appeal.

المقدمة:

الحمد لله الذي شرع لعباده من الدين ما يُصلح به دنياهم وأخراهم، وسن لهم من الأحكام والشرائع ما يعيشون به آمنين مطمئنين، ويَحيَون به سعداء مشمولين بعدل الحاكمين، واستقامة المحكومين.

وبعد ،،،،

ظهرت العديد من الحملات التي تواجه السنة النبوية، وتقدح فيها وفي حجيتها ، وتنفي الدور الذي جاءت من أجله، على أساس أنها المذكرة التفسيرية لآيات القرآن الكريم ، بدأت هذه الحملات منذ القرون الأولى واستمرت حتي عصرنا الذي نعيش، بتوجيه كل عناصر الطعن والقدح في سنته صلى الله عليه وسلم ، إلا أن هذه الحملات لم تختلف عن بعضها البعض في التوجيه العقلي ، ونفي الوحي عن السنة النبوية ، وقولهم إن السنة ليست وحيا، البعض منهم أنكر الوحي تماماً كالملاحدة الذين يرون بوجوب اتباع العقل دون غيره في الاعتقاد والإيمان والحياة، والبعض منهم أنكر الوحي على سنته صلى الله عليه وسلم ، وقالوا إن السنة ما هي إلا تجارب بشرية قد تقع لأي إنسان ولذلك نفوا عنها قضية الوحي كالعصرانيين.

ومن هنا جاءت دراستنا بعنوان:» العصرانيون في مواجهة السنة النبوية دراسة منهجية»، للوقوف على منهج هذه التيارات في مواجهة السنة النبوية، والنظر في كيفية الرد عليهم، ومدى انتشارهم كتيارات منحرفة ، خاصة بعد انتشار وسائل التواصل الاجتماعي ، التي أدت بدورها إلى سرعان ما تنتشر المعلومات شرقا وغربا؛ لأن الهدف الرئيس لهذه التيارات هو استكمال سلسلة الحملات المتتابعة للطعن في السنة و ثوابتها ومحاولة شغل المجتمع المسلم عن بناء المستقبل ، وإغراقه في مشاكل الهوية والفكر والصدامات الفلسفية استمرارًا لنظرية هدم الإسلام من الداخل.

ومن التيارات المهمة التي تواجهها المجتمعات اليوم والتي أصبحت ظاهرة لا يستهان بها مشكلة العصرانيين أو من يطلقون على أنفسهم وصف العصرية ، هذا التيار له خطر داهم على الفرد والمجتمع يجب الحذر منه، والتحذير من أصحابه، والعمل على معالجته.

وقد تصدى لتلك المشكلة من أبناء المسلمين على مرّ التاريخ رجال كثر، وعلماءُ صدق، بذلوا حياتهم لنصرة الإسلام ، ونذروا أوقاتهم لكشف تلك الغمة عن أبناء المسلمين من خلال الدعوة ، والحوار ، والنقد ، وكشف شبهات العصرانيين.

إشكالية الدراسة:

من خلال الدراسة يمكن الإجابة على بعض التساؤلات منها:

- ما مفهوم العصرية ، والعصرانيون.
- ما أوجه التحدي التي وَجهّتْ إلي السنة من طائفة العصرانيين.
- ما ضوابط بناء الشبهات والقدح في السنة لدى العصرانيين.

أهمية موضوع الدراسة وأسبابها:

ترجع أهمية البحث ، وأسباب اختياره إلى:

1. العصرانيون اليوم ظاهرة عالمية فالعالم الغربي في أوربا وأمريكا ، وإن كان وارثاً في الظاهر للعقيدة النصرانية التي تؤمن بالبعث والجنة والنار إلا أنه ترك هذه العقيدة الآن، وأصبح إيمان الناس هناك بالحياة الدنيا فقط ، وأصبحت الكنيسة مجرد تراث ، وأثر من آثار الماضي.
2. بيان الأسباب التي دفعت الشباب المسلم إلى هذا الاتجاه، والوقوف عليها، والقضاء عليها، لأن تفشي مثل هذه الظواهر بالمجتمع يعنى القضاء على جيل بأكمله يؤمنون بالانفتاح دون ضوابط أو معايير.
3. انتشار الحركات الإلحاديّة والعصرانية والعقلانية بين المسلمين في الوقت الحاضر بعد سقوط الخلافة الإسلاميّة، وانتشار المؤلفات التي تتضمن مطاعن قبيحة في الأديان، وبخاصّة الدين الإسلاميّ.
4. بيان منهجية أصحاب هذا التيار في مواجهة السنة النبوية .
5. كثرة الترويج لأفكار العصرانيين هذه الفترة عبر وسائل التواصل الاجتماعي.

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلي ما يلي.

1. بيان ظاهرة العصرية التي تعد من أبرز الظواهر الغربية الوافدة على مجتمعاتنا الإسلامية، مع أبرز المصطلحات المرادفة لها .
2. استخلاص ركائز العصرانيون في مواجهة السنة النبوية، مع بيان كيفية التصدي العلمي لها.
3. الاهتمام بالقضايا المستحدثة التي تؤثر على المجتمع الإسلامي من خلال تأصيلها ، ومناقشتها وبيان مشروعيتها ، وكيفية القضاء عليها.
4. محاولة عمل نظرية علمية منهجية من خلالها يمكن القضاء على الأفكار المغلوطة المتعلقة بالسنة النبوية .

منهجية الدراسة :

اعتمدت الدراسة على المنهج الاستقرائي التحليلي من خلال تتبع آراء العصرانيين، وأبرز مناهجهم في التصدي ومواجهة السنة النبوية، وبيان موقفهم من العديد من القضايا ، وتحليل ذلك تحليلا علميا بالمنهج النقدي القائم على وجود الأدلة والحجج العلمية .

خطة الدراسة:

تكون الدراسة من مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة على النحو التالي.

المقدمة: وفيها عنوان الدراسة ، وأسباب اختيار الموضوع ، وأهميته ، ومنهجه ، وإشكاليته ، وخطته من ترتيب المباحث والمطالب.

التمهيد: حول مفهوم العصرية والعصرانيون

المبحث الأول: التيارات والأفكار المرادفة لفكر التيار العصراني.

المبحث الثاني: منهجية التحدي والطعن في السنة النبوية عند العصرانيين.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة والتوصيات المقترحة.

ثم الفهارس الإجمالية للبحث، كفهرس المصادر والمراجع ، وفهرس الموضوعات .

التمهيد :

حول مفهوم العصرية والعصرانيون

العصرانية في اللغة : مصطلح دخيل على اللغة العربية ليس له تعريف في معاجم اللغة العربية الأصيلة ، يراد به مجارة روح العصر، والتعاطف مع الأفكار والمواقف والمقاييس الحديثة (1).

والعصرية هي مذهب جديد بدأ في مطلع هذا القرن، قرن بين الهزيمة والضياع ، وهو في جوهره إحياء لآراء الخوارج والمعتزلة ، تولى أمره رجال أريد لهم الصدارة في المكان، والرواج في الفكر ، يندر أن تعرف أحدهم دون أن تحس منه بشعور من يظن أنه مجدد ، وأنه لم يسبق إلى فكره «(2).

العصرانيون : نسبة إلى العصر الذي نعيش فيه، وبدأت هذه الكلمة في التداول على الألسنة والظهور كتيار في العصر الذي نعيش فيه لظهور اتجاه ديني يفرض أحكام وقواعد معينة على المجتمع .

والعصرانية : هي اتجاه يسعى إلى تطويع أحكام الدين ونصوصه إلى حاجات العصر، والضابط لديهم في ذلك اعتقادهم بأن ما تؤديه إليه عقولهم يعتبر مصلحة يوجب تقديمها بحجة روح الإسلام ، ومقاصد الدين ، وضرورياته.

جاء في موسوعة ويكيبيديا عن العصرانية هي : اتجاه يقدم العقل على النقل ، ويجعل العقل مصدراً من مصادر الدين ومحكما في النصوص(3).

عقب على ذلك محمد الناصر في كتابه المدرسة العصرانية بقوله:» إنها وجهة نظر في الدين مبنية على الاعتقاد بأن التقدم العلمي والثقافة المعاصرة تستلزم إعادة تأويل التعاليم الدينية التقليدية على ضوء المفاهيم الفلسفية والعلمية السائدة (4).

وبذلك فالعصرانية منهج ينفي كل الاستدلالات النقلية سوى ما يرتبط بالوحي القرآني ، والعقل لديهم يجب أن يقدم على غيره في دراسة المسائل ، ومناقشتها دون غيره، ويسعى إلى القول إن معرفة الطبيعة والكون وحتى الوجود في جوهره يعتمد على الاستدلال العقلي دون النظر إلى النصوص النقلية الوحيية أو حتى تجارب البشر ، وكل المسلمات في هذا الكون والوجود بما يرتبط بها من إثبات أو نفي أو قبول أو رفض أو بيان خصائص أو تحديد ملامح في النهاية ترتبط بماهية العقل(5).

ومصطلح العصرانية من المصطلحات الدخيلة في اللغة العربية، وليس له مكان في معاجم اللغة العربية الأصيلة ، والتدقيق فيه نجد أن هذا المصطلح ، وما يرادفه في مظانه من المصطلحات الغربية، ويشتمل إلى فهم العصرانية على أنها مجاراة روح العصر ، والتعاطف مع الأفكار ، والمواقف ، والمقاييس الحديثة بدأ بحركة في الفكر الكاثوليكي الذى سعى إلى تأويل تعاليم الكنيسة على ضوء المفاهيم الفلسفية والعلمية السائدة في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين (6).

1) ينظر موسوعة المورد، منير البعلبكي، 44/7.
2) ينظر : مفهوم تجديد الدين ، محمد سعيد بسطامي، ص97.
3) ينظر موسوعة ويكيبيديا ، مصطلح العصرانية، نقلا عن الاتجاهات العقلية الحديثة ، العقل، ص17.
4) المدرسة العصرانية، محمد حامد الناصر، ص15.
5) مقال بعنوان : العصرانية تخريب وتبديد لا تجديد ، موقع واي باك مشين .
6) العصرانيون ، أبو الفتح حسين، ص4 .

وفي الموسوعة العربية الميسرة :» أن العصرية والعصرانيون هي حركة ظهرت في القرن التاسع عشر إثر انتشار مذهب دارون في النشوء والتطور ، ومحاولة تطبيقه على التطور البشري ، مما يتعارض مع ما جاء في سفر التكوين ، وأساس هذه الحركة إنكار الوحي باعتباره خارجاً على القوانين الطبيعية ، واعتبار الكنيسة مجرد جمعية إنسانية ليس لها طابع إلهي خاص» (7).

ومن أبرز أصحاب هذا الاتجاه العقلاني العصراني رينيه ديكارت، وغوتفريت لا يبنيز ، وباروث سبينوز ، هؤلاء أعلام المدرسة الفلسفية العقلية ، وتبعهم في هذا الاتجاه وتطوره فولتير وتوماس، وأصحاب دعوة ما يسمى بالعقلانية الحضارية .

ومِنْ أبرز مَنْ دعا إلى هذا الاتجاه العصراني في العالم الإسلامي، سيد أحمد خان ودعوته في الهند الذي يرى ضرورة ايجاد تفسير جديد للإسلام ، وأبرز تلاميذه أيضا شراغ علي صاحب كتاب : الإصلاحات السياسية والقانونية والاجتماعية المقترحة للإمبراطورية العثمانية والدول الإسلامية الأخرى ، وسيد أمير علي في كتابه : روح الإسلام، ومحمد علي في كتابه: الدين الإسلامي، وغلام أحمد برونز من كتابه : الإسلام .

وتبعهم على هذا النهج محمد إقبال في كتابه: تجديد الفكر الديني في الإسلام، والشيخ محمد عبده، ومحمد رشيد رضا، وقاسم أمين ، وعلي عبدالرازق في كتابه: الإسلام وأصول الحكم، ومحمد فتحي عثمان في كتابه: الفكر الإسلامي والتطور ، وأمين الخولي في كتابه: المجددون ، ومحمود الشرقاوي في كتابه: التطور روح الشريعة الإسلامية ، والشيخ عبدالله العلايلي في كتابه: أين الخطأ (8).

والتجديد في نظرهم وجه من وجوه التحرر الغربي وهو تكريس عصري للقيم التحررية والإنسانية كما أوضح ذلك المستشرق جيب في معرض حديثه عن التجديد مبينا أنه لابد أن تكون نقاط العقيدة واضحة المعالم والتطبيق ، فيما عدا ذلك يكون الإنسان متحررًا في كل أفعاله(9).

المبحث الأول: التيارات والأفكار المرادفة لفكر التيار العصراني.

إن هناك أكثر من مذهب ومدرسة فكرية معاصرة بنيت عليها أفكار العصرانيين و استوحت منهجها من خلالها ، منها:

1. **الوجودية:** مذهب يقوم على إبراز قيمة الوجود الفردي، وخصائصه وجعله سابقاً على الماهية، فهو ينظر إلى الإنسان على أنه وجود لا ماهية، وأن الإنسان له مطلق الحرية في الاختيار، يرتع في المعاصي واقتناص الشهوات كما يحلو له دون الخوف من حسيب ولا رقيب(10)، فتحرر الإنسان في أفعاله، وإطلاق الحرية الكاملة له دون قيد هو ما تدعو له العصرية الآن.

2. **الوضعية:** مذهب فلسفي يُرسي دعائم الإلحاد أو المادية أو اللادينية، يريد وضع دين العلم الجديد تحت مصطلح «الوضعية» أو «فلسفة الوضعية»، ويرى أن المعرفة اليقينية هي معرفة الظواهر التي تقوم على الوقائع التجريبية، ولا سيما تلك التي يتيحها العلم التجريبي، وينطوي المذهب على إنكار وجود معرفة تتجاوز التجربة الحسية، ولاسيما فيما يتعلق بما وراء المادة وأسباب وجودها(11)، ومن هنا تبنت الوضعية فكرة إلزام العقل بكل الحوادث والمتغيرات ، فنفى كل ما هو مقدس هو ما يروم إليه الإلحاد الفكر العصري .

3. **الشيوعية:** الشيوعية مذهب فكري اقتصادي اجتماعي يقوم على الإلحاد، أو على إنكار وجود رب خالق لهذا الكون ، وأن المادة هي أساس كل شيء، وأن أحداثها وتغيُّراتها مع أحداث التاريخ الإنساني تخضع لقانون جبريّ مزعوم في المادة، على أنه صفة من صفاتها الذاتية، أساسه فكرة فلسفية عنوانها: الماديّة الجدلية(12)، بذلك الشيوعية هي وجه من وجوه العصرية.

4. **المذهب العقلي:** العقلانية أو المذهب العقلي هو القول إن المعرفة تنشأ عن المبادئ العقلية القبلية والضرورية، لا عن التجارب الحسية؛ لأن هذه التجارب لا تفيد علماً كلياً، كما يطلق على الإيمان بالعقل وبقدرته على إدراك الحقيقة، وذلك لأن قوانين العقل مطابقة لقوانين الأشياء الخارجية، وأن كل موجود معقول، وكل معقول موجود، والعقل قادر على الإحاطة

7) الموسوعة العربية الميسرة، 2/ 1216.

8) ينظر : الموسوعة العربية العالمية، 390/17، العصرانيون حقيقة التجديد عند العصرانيين، حمزة أبو الفتح حسين، ص١٨.

9) ينظر: الاتجاهات الحديثة في الإسلام، جيب، ترجمة هاشم الحسيني، ص100.

10) المذاهب الفكرية المعاصرة، د. غالب عواجي، (857/2)، وينظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، (ص543)

11) موسوعة اليهود واليهودية، د . عبد الوهاب المسيري، 811/2.

12) مذاهب فكرية معاصرة د. غالب عواجي، (ص 259)، والمذاهب الفكرية المعاصرة،(1225/2)، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، (ص309) .

بكل شيء دون عون خارجي يأتيه من القلب أو الغريزة أو الدين، فهو منهج فكري يعتمد أحكام العقل، من غير الاستناد إلى الدين أو الرسل، فكل ما يحيط بنا مردود إلى مبادئ عقلية(13). وهو مذهب فكري يزعم إمكان الوصول إلى معرفة طبيعة الكون والوجود عن طريق الاستدلال العقلي المجرد دون اللجوء إلى الوحي الإلهي، أو التجربة البشرية، وكذلك إخضاع كل شيء بالوجود للعقل لإثباته أو نفيه أو تحديد خصائصه ، فالإدراك العقلي عندهم سابق على الإدراك الحسي المجسد ، وبناءً على هذا لا يؤمنون بالمعجزات والخوارق ، وينبغي أن تختبر عندهم العقائد اختبارا عقليا(14)، وهذا المذهب تخطى كل المناحي ليشمل كل التيارات المنحرفة في العصر الحديث من بينها العصرية.

5. **الداروينية:** وهو مذهب التحول أو التبدل، ويتلخص في أن الكائنات الحية في تطور دائم على أساس من الانتخاب الطبيعي، وبقاء الأصلح، فتنشأ الأنواع بعضها من بعض، ولاسيما النوع الإنساني الذي انحدر عن أنواع حيوانية، وهو بذلك ينفي عن الله عملية الخلق كله، ويقرر أن الحياة وجدت على الأرض بالصدفة، ومن مقولات داروين: « إن الطبيعة تخلق كل شيء، ولا حد لقدرتها على الخلق» (15).

6. **العلمانية:** ومعناها القواعد التي ليس لها علاقة أو رابط بالقواعد الكنسية أو الأنظمة الدينية، فلا تبالي بالدين والاعتبارات الدينية، أو هي دعوة إلى إقامة الحياة على غير الدين، وقد ظهرت كمذهب أو مصطلح يناهض انحرافات الكنيسة في أوروبا بما كانت تفرضه من صكوك الغفران والحرمان، ومن تحريم البحث في العلوم التجريبية، فهذه الظروف تمخض عنها النظام العلماني الذي يفصل بين الدين والمجتمع، ويعزل الدين عن القوانين والتشريعات كلها(16).

7. **الإلحاد:** هو الميل والعدول عن الشيء، والظلم والجور، والجدال والمِراء، يقال: لحد في الدين لحدًا، وألحدَ إلحادًا، لمن مال، وعدل ، وماری وجادل وظلم(17).

وسمي الشق الذي يعمل في جانب القبر لموضع الميت لحداً؛ لأنه قد أميل عن وسط القبر إلى جانبه(18)، وألحد في دين الله، أي: حاد عنه وعدل، يقال: ألحد الرجل، إذا مال عن طريقة الحق والإيمان(19).

إذن فالإلحاد في اللغة يعني الميل، والظلم، والعدول والانحراف عن الاستقامة، أو الدين، أو الحق .

وقد ورد لفظ الإلحاد في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ﴾ [الحج 25]، كما ورد الفعل منه في قوله تعالى: ﴿لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ﴾ [النحل 103]، قوله: ﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ [الأعراف 180].

قال الراغب :» والإلحاد ضربان: إلحاد إلى الشرك بالله، وإلحاد إلى الشرك بالأسباب، فالأول ينافي الإيمان ويبطله، والثاني: يوهن عراه ولا يبطله.

والإلحاد في أسمائه على وجهين:

أحدهما: أن يوصف بما لا يصح وصفه به.

والثاني: أن يتأول أوصافه على ما لا يليق به(20).

واصطلاحاً: هو ما تعارف عليه في هذا العصر أنه مذهب فلسفي يقوم على فكرة إنكار وجود الله الخالق، والقول بإن الكون وجد بلا خالق، وأن المادة أزلية أبدية، واعتبار تغيرات الكون قد تمت بالمصادفة، أو بمقتضى طبيعة المادة وقوانينها، واعتبار ظاهرة الحياة، وما تستتبع من شعور وفكر عند الإنسان، من أثر التطور الذاتي في المادة(21).

13) مذاهب فكرية معاصرة (ص500) .

14) العقلانيون المعاصرون وأحاديث الصحيحين ، محمد ظافر الشهري، ص5.

15) مذاهب فكرية معاصرة د. مناع الجهني، (ص93 - 94)، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، (ص211).

16) موسوعة اليهود واليهودية، د . عبد الوهاب المسيري، 123/2، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، (ص367).

17) ينظر: لسان العرب، لجمال الدين ابن منظور الإفريقي المصري،(389/3)، وتهذيب اللغة، للأزهري، (224/4)، والمصباح المنير للفيومي، 550/2.

18) النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، 236/4.

19) الصحاح، للجوهري، (534/2)، مقاييس اللغة، ابن فارس، 237/5.

20) المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني،(ص 737).

21) ينظر: كواشف زيوف، عبد الرحمن الميداني، (ص 464)، مذاهب فكرية معاصرة، محمد قطب، (ص 605) .

وعرفه بعضهم بأنه: مذهب فلسفي يقوم على فكرة عدمية أساسها إنكار وجود الله الخالق سبحانه وتعالى, فيدّعي الملحدون بأن الكون وجد بلا خالق ، وأن المادة أزلية أبدية، وهي الخالق والمخلوق في نفس الوقت، ومما لا شك فيه أن كثيراً من دول العالم الغربي والشرقي تعاني من نزعة إلحادية عارمة جسدتها الشيوعية المنهارة والعلمانية المخادعة(22).

ويعرف فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الإلحاد بأنه: الانحراف عن الحق إلى الباطل، وعن الهدى إلى الضلال، وعن الاستقامة إلى الاعوجاج، وعن الأديان إلى الشرك والكفر والمادية(23)، والمراد بالإلحاد: كل فكر يتعلق بإنكار وجود خالق هذا الكون سبحانه وتعالى سواء أكان عند المتقدمين من الدهرية أو عند من جاء بعدهم من الشيوعيين الماركسيين بمعنى أن وصف الإلحاد يشمل كل من لم يؤمن بالله تعالى، ويزعم أن الكون وجد بذاته في الأزل نتيجة تفاعلات جاءت عن طريق الصدفة دون تحديد وقت لها واعتقاد أن ما وصل إليه الإنسان منذ أن وجد وعلى امتداد التاريخ من أحوال في كل شؤونه إنما وجد عن طريق التطور لا أن هناك قوة إلهية تدبره وتتصرف فيه(24).

وخلاصة القول: إن الإلحاد في المفهوم المعاصر يُطلق على:

الكفر بالله أو عدم الاعتراف بالإله، والميل عن طريق أهل الإيمان والرشد، وظهور التكذيب بالبعث والجنة والنار وتكريس الحياة كلها للدنيا فقط.

ويُطلق على كل مذهب أو فئة أنكرت وجود الله وما آمنت به، أو على كل مذهب أو فكر يؤدي في النهاية إلى إنكار الإله أو إنكار الدين.

وبعد التعريف بهذه المذاهب نتساءل: هل الوضعية والعلمانية والوجودية والشيوعية والداروينية والمذهب العقلي مذاهب ومدارس فكرية واجتماعية معاصرة بُنيت على الإلحاد والمعاصرة، ودعت إليهما، واستلهمت مادتها منهما، وعملت على نشره ؟ أم أنها ظواهر مماثلة لظاهرة الإلحاد؟.

أقول: بالتأمل في هذه المذاهب وتلك المدارس نتوصل إلى أنه إذا كانت الوضعية:

مذهب فلسفي يُرسي دعائم الإلحاد أو المادية أو اللادينية، والشيوعية مذهب معاصر اقتصادي اجتماعي يقوم على الإلحاد، وقامت عليهما العصرانية بعد ذلك.

فهذان المذهبان الوضعية والشيوعية بُنِيَا على الإلحاد فهما يقومان على إنكار وجود رب خالق لهذا الكون.

أما العلمانية فهي قواعد ليس لها علاقة أو رابط بالأنظمة الدينية، أو لا تبالي بالدين، أو هي دعوة إلى إقامة الحياة على غير دين، والداروينية: مذهب يؤمن بالتحول أي بأن الكائنات الحية في تطور فهو ينفي عن الله عملية الخلق كله، ويقرر أن الحياة وجدت بالصدفة.

وعليه: فإنه يمكن القول إن العلمانية والداروينية مماثلتان لظاهرة الإلحاد في أن جميعهم لا يبالي بالدين، ولا يضع له أي اعتبار، أو يريد إقامة الحياة على غير دين.

وسبق لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر(25) أن فرق بين الإلحاد والعلمانية، وقال إن العلمانية هي فصل الدين عن الدولة، بمعنى أن الدين لا يقود الدولة، ولا يتدخل في حياة الإنسان ولا في الأنظمة، ولا في توجيه الناس ـــــ وهذا كله من مبادئ العلمانية ـــــ وهذا لا يستلزم إنكار وجود الله؛ لأن الإلحاد هو إنكار لوجود الله، موضحاً أن العلماني قد يكون متديناً.

وإذا كانت الوجودية: مذهب يقوم على إبراز قيمة الوجود الفردي، وأن الإنسان له مطلق الحرية في الاختيار، يرتع في المعاصي والشهوات دون الخوف من حسيب ولا رقيب، والعقلانية منهج فكري يعتمد أحكام العقل، من غير الاستناد إلى الدين أو الرسل.

ومن هنا يمكننا القول بأن الوجودية والعقلانية يلتقيان مع الإلحاد والعصرانية في أن كلاً منهما لا يستند إلى دين ، ولا يضعان له أي اعتبار.

22) موسوعة المذاهب الفكرية المعاصرة، مجموعة من الباحثين بإشراف: علوي عبد القادر السقاف،(422/1).

23) وذلك عبر حديث تليفزيوني بالقناة الأولى والفضائية المصرية.

24) موسوعة المذاهب الفكرية المعاصرة، (422/1).

25) الأستاذ الدكتور أحمد الطيب عبر حديث تليفزيوني تناقلته وسائل الإعلام المسموعة والمقروءة .

التيارات المماثلة وعلاقتها بالعصرانية

المبحث الثاني: منهجية التحدي والطعن في السنة النبوية عند العصرانيين.

العصرانية هي تيار يميل إلى تطويع العقل في كل أعمال الإنسان دون أي وحي أو نقل خاصة فيما يخص السنة النبوية، لذلك يتضمن هذا الفكر العديد من المذاهب الأخرى التي كانت تسعى إلى إثبات العقل في الأفعال دون غيره، أو على الجانب الآخر تقديم العقل في الأفعال دون غيره، فنجد أن العلمانيين، والزنادقة، والملاحدة ، وعملاء الصليبين ، وأهل البدعة هم جميعا أصحاب منهجية ؛ لكنهم تطوروا في الهدف والفكر على مر العصور.

أما عن تحديات العصرانيين وشبهاتهم حول السنة النبوية فقد تعددت مناهجهم في ذلك رغبة منهم في ترسيخ حملاتهم الخطيرة والمزعومة التي يريدون من خلالها الدعوة إلى التطوير حسب مفهومهم ، ولا يقصدون بذلك فروع الدين فحسب بل امتد الأمر لديهم إلى أصوله من القرآن الكريم ، والسنة النبوية .

تجدر الإشارة إلى أن منهج الملحد لا يختلف كثيراً عن العصراني في التحدي والطعن في السنة النبوية، فكلا منهما يوجه سهامه إلى السنة النبوية، حتى يمكننا القول الآن أن العصرية هي الطور الجديد لهذه التيارات المتشابكة.

تتضح إشكاليات تحدي السنة النبوية والطعن فيها عند العصرانيين، من خلال العديد من الوقفات المنهجية منها:

الوقفة الأولى: العصرانيون يقدمون العقل على الوحي فيما يخص السنة، وبذلك ينفى لديهم دور السنة النبوية تماما.

يعتمد الفكر العصراني على تقديم العقل دون غيره في الأفعال، وبذلك ينفى لديهم دور الوحي في النقل، ويغيب دور السنة تماما؛ لأن منهج العصرانية يعتمد الوحي فيما يخص القرآن، ويتبع ذلك غياب دور الوحي في السنة تماما من وجهة نظرهم، ومعها يغيب دور السنة النبوية كأنها مبينة أو مؤكدة للقرآن الكريم أو حتى دورها كمفسرة وموضحة له، والسنة لديهم هي منهج فكري لما كان في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، والضابط الأوحد لديهم كفكر عصري هو النظر إلى علوم الغرب واجتهاداتهم في أمورهم وأحوالهم على أنها تمثل المعرفة الحقيقية التي ينبغي اتباعها كشرط أساسي للتوافق مع هذا العالم، وبذلك يجب عليهم متابعة الغرب وتقليده فيما لديه من موضوعات، وتصورات، ومقترحات، وحلول وقيم.

ومن نظرتهم العقلية المفرطة أصبحوا يقدمون العقل في كل شيء، وما خالف العقل وعارضه لا ينظرون إليه أو يأخذ حقه في تأخيره في المسألة (26).

ومن وجهة نظرهم كل ما عندهم من مسائل لا يستطيعون إثباتها بالعقل فجعلوا عدم القدرة على إثباتها بأنفسهم دليلا على عدم القدرة في إثباتها بالعقل.

ونرد على هذا الافتراء بالقول أن الواقع الشاهد والحس الذي لا يدفع بكذبهم، فإذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:» لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود ، فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر فيقول الحجر أو الشجر: يا مسلم يا عبدالله هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود»(27).

فعندهم كلام الحجر والشجر مما يخالف العقل، وهل لديهم دليل على أن الحجر والشجر لا يتكلمان، كل ما هناك أنه لا عهد لهم بذلك، ولكن ليس هناك دليلا عقليا يبطل هذا الكلام، انظر إلي قوله تعالى: { تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ [سورة الإسراء:44]، وعن الحجارة في قوله تعالى: { ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ} [سورة البقرة:74]، وانظر إلى كلام سيدنا عيسي وهو رضيع في قوله تعالى: { فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴾ [سورة مريم:29].

فمخالفة هذه المعجزات التي لا تستطيع إبطالها أو نفي حدوثها بالعقل هو مخالفة للإيمان، وإذا كانت هناك مخالفة لديهم، فليأتوا بدليل يخالف ما قامت به الحجة ، وهو أن يبحث أصحاب التيار العصري عن دليل عقلي يخالف هذه الحجة ، هذا الأمر مهما حدث لن يستطيعوا الوصول إليه (28).

---

26) العصرانيون ومنهجهم في تحريف الشريعة، محمد شاكر الشريف، ص4 .

27) أخرجها الإمام مسلم في صحيحه ، كتاب: الفتن وأشراط الساعة، باب: لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل، حديث رقم 5203.

28) العصرانيون ومنهجهم في تحريف الشريعة، محمد شاكر الشريف، ص6.

يقول عمارة:» لقد أصبح الواقع الفكري للحياة العربية يتطلب فرساناً غير النصوصيين، ويستدعي أسلحة غير النقول والمأثورات للدفاع عن الدين الإسلامي.... ويسلم الكثيرون بأن المعتزلة هم فرسان العقلانية في حضارتنا»(29).

عقب على ذلك محمد عثمان بقوله:» وقد تمادى بعضهم بقوله أنا لو خيرت بين ديني وعقلي لآثرت عقلي ؛ لأنني قد أصبحت به متدينا؛ لكني لو فقدته فسأفقد ديني كله (30)، ويقول حسن حنفي:» يمكن للمسلم المعاصر أن ينكر كل الجانب الغيبي في الدين، ويكون مسلما حقاً في سلوكه(31).

ومن هذا المنطلق ظهرت العديد من الشبهات ، منها:

- شبهات حول معجزات الأنبياء .
- شبهات دارت حول تأويلات الغيب .
- شبهات حول الساعة وأشراطها .

وبهذا رفض أصحاب هذا الفكر العديد من الأحاديث الصحيحة، وخاصة التي أخرجها الشيخان، بدعوى مخالفة هذه الروايات لما يقتضيه العقل والحس، كحديث سحر النبي صلى الله عليه وسلم، لمخالفته لمبدأ العصمة، وحديث توقف الشمس لأحد الأنبياء ، وأن الحس يأباه، وحديث الجساسة والدجال ، وغيرها.

ويمكن الرد إجمالا على الشبهات التي تثأر من هذه المنطلق عن طريق مجموعة من الضوابط:

الضابط الأول: عدم المعارضة مطلقا بين العقل السليم والنص الصحيح، لقول الإمام تيمية:» ما علم بصريح العقل لا يتصور أن يعارض الشرع البتة ، بل المنقول الصحيح لا يعارضه معقول صريح قط»(32).

الضابط الثاني: العقول في فهم الأشياء غير منضبطة، فقد يسعى الناقد إلى استحباب ما يتناسب مع قوله ويؤكده، يقول ابن القيم:» لا ريب أن البصر يعرض له الغلط ورؤية بعض الأشياء بخلاف ما هي عليه، ويتخيل ما لا وجود له في الخارج فإذا حكم عليه العقل تبين غلطه»(33).

عقب على ذلك الشافعي بقوله:» إن للعقل حد ينتهي إليه ، كما أن للبصر حدا ينتهي إليه» (34).

الضابط الثالث: حدود العقول، فيجب أن يكون التصدي لأي شبهة أو افتراء على سنة النبي صلى الله عليه وسلم، ببيان حد العقل فهناك من المسائل التي تجاوز حد العقول ؛ لأن العلم بها وبيانها لله عزوجل ، عمل المسلمون على ذلك في بيانهم للكثير من القضايا، وتوقفوا عن الخوض في أمور ليست الغاية منها سوى الجدال العقلي، كما أن هناك من الفلاسفة ما أيد حدود العقل ، كقول [كانت] وهو من فلاسفة الغرب:» يجب على العقل أن يقف في تصوره عند حد التجربة الحسية إذ لا يمكن لأفكارنا أن تمتد إلى كنية الأشياء ولبابها إلى الأشياء في أنفسها، فإذا ما حاولنا أن نعرفها بنفس الوسائل التي تعرف بها الظواهر ـــ أي الزمان والمكان والسببية ـــ وغيرها تورطنا في التناقض والخطأ»(35).

ويؤكده ما قاله الرازي عن حدود العقل:» قد تأملت الطرق الكلامية، والمناهج الفلسفية، فما رأيتها تشفي عليلا، ولا تروي غليلا، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن، اقرأ في الإثبات قوله تعالى:{ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} [سورة طه:5]، وقوله تعالى: { مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ} [سورة فاطر:10]، وأقرا في النفي الصريح قوله تعالى: { فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [سورة الشورى:11]، قائلا: من جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي(36).

---

29) انظر: تيارات الفكر الإسلامي، محمد عمارة، ص72.

30) الفكر الإسلامي والتطور، محمد فتحي عثمان، ص38.

31) قضايا معاصرة في فكرنا المعاصر، حسن حنفي، ص93.

32) درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية ، 147/1.

33) بدائع الفوائد، ابن قيم الجوزية، 200/3.

34) مناقب الشافعي، الإمام البيهقي، 187/2.

35) قصة الفلسفة الحديثة، أحمد أمين، 291/1.

36) سير أعلام النبلاء، محمد أحمد الذهبي، 21/ 501.

يقول الدكتور أحمد زكي أبو شادي: «وهذه سنن ابن ماجه والبخاري، بل وجميع كتب الحديث والسنة طافحة بأحاديث وأخبار لا يمكن أن يقبل صحتها العقل، ولا نرى نسبتها إلى الرسول الكريم، صاحب أعظم شريعة عقلية إنسانية»(37).

الوقفة الثانية: الدعوى الموجهة إلى التجديد في مناهج الشريعة.

من التحديات التي تواجه السنة في العصر الحالي ، وخاصة عند العصرانيين دعواهم إلى تجديد مناهج الشريعة من خلال إعادة النظر وإعمال العقل في مسائل التراث الإسلامي وقضاياه، ومن ثم فإن كل ما يخالف العقل لا يندرج تحت الشريعة ولا يقبل، ومن هنا يأتي القول بالسعي إلى إلغاء أو تعطيل الكثير من المرويات الحديثية التي ثبت بها العديد من الأحكام الشرعية ، وهذا من أهداف التيار العصري من هدم وتدمير القواعد التي بني عليها هذا الدين .

وهم يزعمون أنهم يريدون التجديد لتنهض الأمة من كبوتها، ويرون أنه أصبح من الضروري أن تعاد كتابة التاريخ الإسلامي والعربي من خلال طرح العديد من الدراسات والأبحاث المتعلقة بالتراث وعرضها في إطار عقلاني تحت مظلة الانتماء في التراث الإسلامي(38).

يقول الإمام الندوي:» على أساس تقليد الحضارة الغربية وأسسها المادية واقتباس العلوم العصرية بحذافيرها وعلى علتها وتفسير الإسلام والقرآن والحديث تفسيراً يطابق ما وصلت إليه المدنية والمعلومات الحديثة في آخر القرن التاسع عشر «(39).

الوقفة الثالثة: توجيه التشكيك المباشر إلى قواعد المحدثين في التعامل مع النص الحديثي.

من تحدى العصرانية إلى السنة النبوية توجيه النقد والتشكيك في القواعد التي وضعها المحدثين في التعامل مع الحديث النبي صلى الله عليه وسلم، وأن هذه القواعد مجرد اجتهادات بشرية لا تنطبق على هذا الفن، فأخذوا ينقدون المصنفات والمصنفين بل امتد بهم الأمر إلى توجيه النقد إلى الغرض من تصنيفها، وإنما كان الغرض من التصنيف هو التكسب والترزق منها.

ومن وجوه التحدي في ذلك:

الوجه الأول: شبهات الجابري.

وجه محمد عابد الجابري الكثير من الانتقادات إلى مناهج المحدثين وغرضهم من التصنيف، والقواعد التي أصلوها في هذا العلم قائلا في حديثه عن مسائل الحديث الصحيح:» كتب الحديث الصحيحة، كصحيحي البخاري ومسلم، إنما هي صحيحة بالنسبة للشروط التي وضعها أصحابها لقبول الحديث، الحديث الصحيح ليس صحيحا في نفسه بالضرورة، وإنما هو صحيح بمعنى أنه يستوفي الشروط التي اشترطها جامع الحديث كالبخاري ومسلم (40).

يعد محمد عابد الجابري ممن رفض السنة النبوية، ولكنه - بدهائه المعروف - لا يرفض السنة جملة بل يقر بحجيتها، فقد جاء في تعليقه على قوله تعالى:» يَآ أَيُّـهَا الذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّـهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الاَمْرِ مِنكُـمْ فَإِن تَنَازَعْتُـمْ فِي شَيْءٍ فَـرُدُّوهُ إِلَى اللَّـهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُـمْ تُومِنُونَ بِاللَّـهِ وَالْيَـوْمِ الاَخِرِ ذَلِـكَ خَيْرٌ وَأَحْسَـنُ تأويلا»، قال الجابري: « فالرجوع بالخلاف والتنازع إلى ما في القرآن والسنة وطلب رأي المختصين منكم فيما اختلفتم فيه، هو خير، هو أحسن مآلا وأفضل مصيرا، فالجابري ومن خلال ما سبق لم يسلك هذا المسلك - أقصد مسلك رفض السنة جملة -، بل تفتقت عبقريته عن منهج آخر سلكه، ظاهره فيه الرحمة وباطنه من قبله العذاب.

فالجابري وفي مواضع كثيرة من كتبه المطبوعة يرد أحاديث صحيحة مما رواه البخاري وغيره بشبه لا قيمة لها في الميزان العلمي، ثم يحتج في مواطن أخرى بروايات واهية أو مكذوبة، معتمدا في ذلك ميزانا خاصا به سماه شهادة القرآن، فما شهد له القرآن- بفهم الجابري - من أخبار فهو مقبول، ولو كان في ميزان المحدثين من نوع الموضوع، وما لم يشهد له القرآن - بفهم الجابري - فهو مردود ولو كان في ميزان المحدثين خبرا متواترا، فالجابري يزعم دائما أن القرآن هو المرجع المعتمد أولا وأخيرا.

وهذا منهج فاسد، لم يقل به أحد من أهل العلم من قبل، لأن هناك أخبارا يشهد القرآن بصحتها ؛ ولكنها عند العلماء النقاد موضوعة، وقد ظهرت طائفة تكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا أنكر عليهم العلماء ذلك زعموا أنهم يكذبون

37) انظر: ثورة الاسلام (ص44).

38) تجديد الفكر الإسلامي ، جمال سلطان، ص34، وانظر: العصرانيون ، حمزة أبو الفتح حسين، ص4 .

39) الصراع بين الفكرة الإسلامية، والفكرة الغربية، أبو الحسن الندوي، ص77.

40) قضايا الدين والفكر، محمد عابد الجابري، ص8.

لـه لا عليـه، والرسـول صـلى اللـه عليـه وسـلم لا يحتـاج إلى مـن يكـذب لـه ، ولا إلى مـن يكـذب عليـه.

ولكـن الجابـري فعـل أسـوأ مـن ذلـك بإخـراج السـنة مـن دائـرة الوحـي، فقـد ذهـب الجابـري إلى أن السـنة ليسـت حجـة مـا لم يشـهد لهـا القـرآن بالصحـة، لأنهـا ليسـت وحيـا في الأصـل بـل هـي كلام يقولـه رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم مـن عنـده، فالحديـث الـذي يحـدث بـه النبـي عليـه الصـلاة والسـلام، صنفـان: صنـف يوحـى إليـه، فهـو قـرآن، وقسـم مـن عنـده، يبـين بـه مـا ورد في القـرآن، أو يخبر بـه هـو عـن أشـياء تتعلـق بالديـن وحتـى الآيـة التـي وردت في سـورة الحـشر والتـي يأمـر اللـه تعـالى فيهـا عبـاده المؤمنـين بطاعـة رسـوله صـلى اللـه عليـه وسـلم في الأمـر والنهـي في قولـه جـل وعـلا «:وَمَـآ ءَاتَاكُـمُ الرَّسُـولُ فَخُـذُوهُ وَمَـا نَهَاكُـمْ عَنْـهُ فَانتَهُـوا وَاتَّقُـوا اللَّـهَ إِنَّ اللَّـهَ شَـدِيدُ الْعِقَـابِ»، حتـى هـذه الآيـة ، حـرف الجابـري فهمهـا بزعمـه أنهـا تتعلـق بالعطـاء، وهكـذا يصبـح معنـى الآيـة – عنـد الجابـري – : ومـا آتاكـم الرسـول مـن العطـاء فخـذوه ومـا نهاكـم عنـه فانتهـوا.

الوجه الثاني : شبهات شحرور .

ضرب شـحرور بأقـوال الأئمـة في صحيـح البخـاري عـرض الحائـط، ونفـى تمامـا قولهـم بـأن أصـح كتـاب بعـد القـرآن الكريـم هـو صحيـح البخـاري، كذلـك عـلى صحيـح مسـلم حيـث عـد محمـد شـحرور أن هـذه المقولـة مـن أكـبر المغالطـات ، بقولـه يقولـون أصـح الكتـب بعـد كتـاب اللـه، ونقـول نحـن : هـذه إحـدى المغالطـات التـي مـا زالـت المؤسسـات الدينيـة تكـره النـاس عـلى التسـليم بهـا تحـت طائلـة التكفـير والنفـي(41).

الوجه الثالث: شبهات ترابي.

دعـا حسـن الـترابي إلى القـول بـضرورة النظـر في القواعـد التـي وضعهـا الإمـام البخـاري في قبـول الحديـث ، خاصـة مع اسـتحداث الوسـائل التـي يمكـن الوثـوق بهـا، ومـا كان البخـاري ولا غـيره يعرفهـا، ولا داعـي إلى الإعجـاب الزائـد والثقـة المفرطـة (42).

الوجه الرابع: شبهات أركون .

حيـث اعتـبر أركـون السـنة النبويـة هـي جـزء مـن الـتراث الـذي يجـب أن يخضـع للدراسـات النقديـة الصارمـة لـكل الوثائـق والمـواد الموروثـة(43).

ويمكن وضع العديد من الضوابط التي يمكن من خلالها الرد على مثل هذه الشبهات:

الضابط الأول : لابد قبل الخوض في مناهج المحدثين وقواعدهم معرفتها ومعرفة كيفية تطبيقها.

الضابـط الثـاني: بيـان أن السـنة النبويـة ليسـت تراثـا فحسـب كـما يعتقـدون ، وهـذا يخالـف تمامـا النصـوص الدالـة عـلى حجيـة السـنة النبويـة، وأنهـا وحـي غـير متلـو (44).

الضابط الثالث: استحالة المعارضة بين السنة النبوية والقرآن الكريم.

الضابط الرابع: نظرية النقد عند المحدثين تكاملية، لأنها اهتمت بالسند والمتن معا .

الوقفة الرابعة: النظر إلى غريب الأقوال و ضعيفها والاعتداد بها وإضافتها إلى الأصول الكلية.

أوضـح ذلـك محمـد بـرادة بقولـه:» والواقـع أن كل مـا يقولـه الحداثيـون هنـا، ليـس إلا اجـترارا لمـا قالـه حداثيـو أوروبـا وأمريـكا ، ورغـم صياحهـم ومناداتهـم بالإبـداع والتجـاوز للسـائد والنمطـي كـما يسـمونه عندهـم إلا أنـه لا يطبـق إلا عـلى الإسـلام وتراثـه ، أمـا وثنيـة اليونـان وأسـاطير الرومـان وأفـكار ملاحـدة الغـرب، حتـى قبـل مئـات السـنين، فهـي قمـة الحداثـة ، وبذلـك فهـم ليسـوا إلا مجـرد نقلـة لفكـر أعمـدة الحداثـة في الغـرب مثـل:[إليـوت، وباونـد، وريلكـة ولـوركا، ونيرودا ، وبـارت، وماركيـز](45).

وعـلى هـذا نجدهـم يعتقـدون بقـول سـيدنا عثـمان بـن عفـان رضي اللـه عنـه:» لـو أن بيـدي مفاتيـح الجنـة لأعطيتهـا بنـي أميـة حتـى يدخلـوا عـن آخرهـم (46).

41) نحو أصول جديدة للفقه الإسلامي، محمد شحرور ، ص160.

42) قضايا أصولية فكرية، حسن الترابي، ص2، وانظر: العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب، محمد حامد الناصر، ص124.

43) الفكر الإسلامي نقد واجتهاد، هاشم صالح، 102/2.

44) موقف المدرسة العقلية من السنة النبوية، حجية السنة النبوية، الأمين الصادق الأمين، ص52.

45) اعتبارات نظرية لتحديد مفهوم الحداثة، محمد برادة، ص11.

46) انظر: جناية البخاري وإنقاذ الدين من إمام المحدثين، زكريا أوزون، ص78.

ونجدهم في الكثير من الأحيان يبحثون عن المسائل الغامضة ويرتكزون عليها في إثبات مناهجهم ، ومعتقداتهم ، بل طريقة العمومات هي طريقة الإصلاح بالنسبة لهم، وذلك لعدم وجود مذهب محدد لديهم، مع الاشتغال بتأويل النصوص وتحريفها عن المعنى الأصلي بتغيير مضمون الفكرة والسياق من خلال تجزئة النصوص بما يتناسب مع الفكرة المقررة لديهم، ومنها ما قرره هؤلاء من شبهات حول كثرة رواية أبي هريرة، ونقل النصوص بنوع من الخلل عن الإمام الرافعي.

وأحيانا يعتمد هؤلاء على المراجع الشاذة والضعيفة ويهملون المراجع الرئيسة والأصلية في مناقشة المسائل والقضايا ، وهذا يدل على غياب المرجعية العلمية عند العصرانيين .

فإذا كان المعتزلة الأوائل تأثروا بالفلسفة اليونانية وبالمنطق اليوناني ، وحاولوا تطويع العقيدة الاسلامية وتفسيرها بذلك المنطق والجدل ، كذلك فإن العصرانيين اليوم تأثروا بالحضارة الغربية المعاصرة وطوّعوا الدين لإخضاع تلك الحضارة وفسروا نصوص الدين وفق نظريات وفلسفات تلك الحضارة، يقول طه حسين:» ولو أن الله عصمنا من الفتح العثماني ، لاستمر اتصالنا بأوربا، ولشاركناها في نهضتها، ولسلكنا معها إلي الحياة الحديثة ، نفس الطريق التي سلكتها ، ولتغير وجه العالم» (47) ، ويقول أيضاً:» نريد أن نتصل بأوربا اتصالاً يزداد قوة ، من يوم إلى يوم ، حتى نصبح جزءاً منها ، لفظاً ومعنى ، حقيقةً وشكلاً»(48).

الوقفة الخامسة: تحديد المصلحة من خلال إثارة الفتن والشبهات.

تهدف الشبهات التي أثيرت حول السنة النبوية في شكلها ومضمونها الجديد والقديم إلى تحقيق المصلحة على الجانب الواقعي والنفسي والمتغيرات الاجتماعية ، والاقتصادية ، والسياسية، لذلك كانوا في كثير من الأحيان يتهمون السنة النبوية بأنها ظنية الثبوت ، ولم يثبت أو يتيقن لديهم غير القرآن الكريم، بين ذلك الغنوشي بقوله:» :» يمكن على أساس المصلحة تعليق العمل بنص ظني» (49) ، وعلق على ذلك عبدالمنعم النمر قدحاً في اجتهاد النبي صلى الله عليه وسلم ، وأنه مثل اجتهاد جميع البشر :» فما دام الرسول كان يجتهد ، وما دام هذا الاجتهاد قد شمل الكثير من أنواع المعاملات ، أفلا يجوز لمن يأتي بعده أن يدلي في الموضوع باجتهاده أيضاً، هادفاً إلى تحقيق المصلحة، ولو أدى اجتهاده إلى غير ما قرره الرسول باجتهاده، ولا يصبح ما قرره الرسول باجتهاده حكماً ثابتاً للأبد»(50) .

الوقفة السادسة: الاجتهاد لديهم يختص بأمور الدنيا ، فهو مفتوح للجميع.

يربط العصرانيون أفكارهم وشبهاتهم بعملية الاجتهاد، وهو باب مفتوح لكل البشر في كل زمان ومكان؛ لأنه يختص بأمور الدنيا، فليس له علاقة بالقرآن والسنة واللغة والأصول، عَبَّرَ عن ذلك حسن الترابي بقوله:» «والاجتهاد مثل الجهاد وينبغي أن يكون فيه لكل مسلم نصيب...- إلى أن قال-: وكذلك الاجتهاد» (51).

رد ذلك الدكتور عبدالعزيز مختار(52) أما المجتهد عند علماء الأمة هو كما يقول الامام النووي:» ولا شبهة أنّ المجتهد لابد أن يكون عالماً بما اشتملت عليه مجاميع السنة التي صنفها أهل الفن ، كالأمهات الست وما يلحق بها ، مشرفاً على ما اشتملت عليه المسانيد والمستخرجات والكتب التي التزم مصنفوها الصحة ، ولا يشترط في هذا أن تكون محفوظة له ، مستحضرة في ذهنه ، بل يكون ممن يتمكن من استخراجها من مواضعها ، بالبحث عنها عند الحاجة إلى ذلك ، وأن يكون ممن له تمييز بين الصحيح منها ، والحسن والضعيف ، بحيث يعرف حال رجال الإسناد معرفة يتمكن من الحكم على الحديث بأحد الأوصاف المذكورة ، وليس من شرط ذلك أن يكون حافظاً لحال الرجال عن ظهر قلب ، بل المعتبر أن يتمكن بالبحث في كتب الجرح والتعديل ، من معرفة حال الرجال ، مع كونه ممن له معرفة تامة بما يوجب الجرح ، وما لا يوجبه من الأسباب ، وما هو مقبول منها، وما هو مردود ، وما هو قادح من العلل ، وما هو غير قادح»(53).

47) انظر: مستقبل الثقافة في مصر (ص:35).

48) انظر: المصدر السابق (ص:33)، العَصْرانِيُوْنَ وَ مَفْهُوْمِ تَجْدِيْدِ الدِّيْنِ عَرْضٌ وَنَقْدٌ اعْدَادُ أ.دُ. عَبدُ الْعَزِيزِ مُختَار إبرَاهِيم أُسْتَاذُ الحَدِيثِ وعُلُومِهِ كُلِّيةُ التَّربِيةِ والآدَابِ/ قِسْمِ الدِّرَاسَاتِ الاسْلامِيةِ، جَامِعةِ تَبُوك، ص33.

49) انظر: الحريات العامة في الاسلام (ص:241).

50) انظر: العصريون معتزلة اليوم (ص:62).

51) انظر: تجديد الفكر الاسلامي ص (45 ، 46).

52) العَصْرانِيُوْنَ وَ مَفْهُوْمِ تَجْدِيْدِ الدِّيْنِ عَرْضٌ وَنَقْدٌ اعْدَادُ أ.دُ. عَبدُ الْعَزِيزِ مُختَار إبرَاهِيم أُسْتَاذُ الحَدِيثِ وعُلُومِهِ كُلِّيةُ التَّربِيةِ والآدَابِ/قِسْمِ الدِّرَاسَاتِ الاسْلامِيةِ، جَامِعةِ تَبُوك، ص33.

53) انظر: ارشاد الفحول (299/2).

بـيَّن ذلـك الشـيخ عبدالوهـاب خـلاف أن الذيـن لهـم الاجتهـاد بالـرأي هـم الجماعـة التشريعيـة الذيـن توافـرت في كل واحـد منهـم المؤهـلات الاجتهاديـة التـي قررهـا علـماء الـشرع الاسـلامي ، فـلا يسـوغ الاجتهـاد بالـرأي لفـرد مهـما أوتي مـن المواهـب واسـتكمل مـن المؤهـلات ، لأن التاريـخ أثبـت أن الفـوضى التشريعيـة في الفقـه الاسـلامي كان مـن أكـبر أسـبابها الاجتهـاد الفـردي»(54).

الوقفة السابعة: دعاوى الجمود في الفهم والتطبيق الشرعي.

عمـد العصرانيـون إلى الطعـن في السـنة النبويـة مـن خـلال النظـر إليهـا بأنهـا جامـدة ، وأن نصوصهـا بعيـدة كل البعـد عـن التطبيـق في العـصر الحـاضر، الأمـر الـذي أدى إلى ظهـور مـا يسـمى بالمذاهـب العقلانيـة، ومنهـا الملاحـدة والعصرانيـين ، ومـن هنـا ظهـرت الشـبهات التـي تنـادي بـــــــ :

- جمود الدين وبعده عن التطبيق في العصر الذي نعيش.
- الرجعية الإسلامية في الاعتماد على الروايات والنقولات التراثية .

وبهـذا يجعـل العصرانيـين علـم السـلف هـو نـوع مـن الـتراث المـاضي، كذلـك اجتهـادات الأئمـة، يقـول حسـن الـترابي: فـما وُجـد في تـراث الأمـة بعـد الرسـول ابتـداءً بـأبي بكـر فهـو تأريـخ يسـتأنس بـه ، فـما أفتـى بـه الخلفـاء الراشـدون مثـلاً ، والمذاهـب الأربعـة في الفقـه ، وكل الـتراث الفكـري الـذي خلَّفـه السـلف الصالـح في أمـور الديـن ، هـو تـراث لا يُلـزم بـه ، وإنمـا يسـتأنس بـه في فهـم سـليم لشريعـة تنزلـت في المـاضي عـلى واقـع متحـرك ، وهـي تنـزل اليـوم عـلى واقـع متحـرك»(55).

وعـلى هـذا يظهـر لديهـم التجديـد في فكـرة العقـل وتقديمـه في كافـة مناحـي الحيـاة، وقبلهـا تقديمـه عـلى نصـوص الكتـاب والسـنة النبويـة، لـذا اتهمـوا النصـوص النقليـة اتهامـات كثـيرة تظهـر في مصنفاتهـم وأن مـا أورده فتحـي عثـمان يـدل عـلى ذلـك حيـث ناقـش قائـلا:» إن هـذا العقـل هـو عدتنـا الوحيـدة للحكـم عـلى الأشـياء ، فـماذا يبقـى لنـا إذا فقدنـاه ....أنـا لـو خُـيِّرتُ بـين ديني وعقـلي لآثـرت عقـلي لأننـي قـد أصبحـتُ بـه متديناً» (56)، لكـن ابـن القيـم خالـف ذلـك بقولـه :» إذا تعـارض النقـل وهـذه العقـول ، أخـذ بالنقـل الصحيـح ، ورمـي بهـذه العقـول تحـت الأقـدام ، وحطـت حيـث حطهـا اللـه، وحـط أصحابهـا»(57).

وتظهـر لديهـم فكـرة الفهـم الخاطـئ مـن خـلال اعتقادهـم ببشريـة تطبيـق النبـي صـلى اللـه عليـه وسـلم للوحـي، فيعتقـد العصرانيـون أن النبـي محمـداً صـلى اللـه عليـه وسـلم قـام بتطبيـق الوحـي تطبيقـا خاصـا واجتهـادا بشريـا ليـس ملزمـا لمـن جـاء بعـده.

ومـن الأمـور التـي حـذر منهـا صـلى اللـه عليـه وسـلم الإعـراض عـن سـنته الشريفـة والتمسـك بغـير هديـه عليـه السـلام ولـو كان ذلـك بنيـة الاجتهـاد والاسـتغراق في الطاعـة، « فمـن رغـب عـن سـنتي فليـس منـي» ، أمـا الإعـراض عـن سـنته بالطعـن فيهـا وعـدم التصديـق بهـا فأشـد وأنـكى، فعـن المقـدام بـن معـدي كـرب، عـن النبـي صـلى اللـه عليـه وسـلم قـال: « ألا إني أوتيـت القـرآن ومثلـه معـه، ألا يوشـك رجـل شـبعان عـلى أريكتـه يقـول: عليكـم بهـذا القـرآن، فـما وجدتـم فيـه مـن حـلال فأحلـوه، ومـا وجدتـم فيـه مـن حـرام فحرمـوه، ألا لا يحـل لكـم لحـم الحـمار الأهـلي، ولا كل ذي نـاب مـن السـباع، ولا لقطـة مـال معاهـد إلا أن يسـتغني عنهـا صاحبهـا، ومـن نـزل بقـوم فعليهـم أن يقـروه، فـإن لم يقـروه، فلـه أن يطلبهـم بمثـل قـراه، ولقـد ظهـر مثـل هـؤلاء - الذيـن ينكـرون السـنة - قديمـا وحديثـا، ولـو قبـل قولهـم لذهـب الديـن كلـه، لأن كل مـا ورد في القـرآن مجمـلا كالصـلاة والصيـام والـزكاة والحـج جـاءت السـنة بتفصيلـه، فالإعـراض عـن السـنة هـو في الحقيقـة إعـراض عـن الديـن.

فيجـب عـلى كل مسـلم أن يتبـع سـنة النبـي صـلى اللـه عليـه وسـلم ، ولا يبحـث عـن المعـاني الظاهـرة للنصـوص فقـط، بـل لابـد أن تكـون القـدرة لديـه إلي الفهـم والوقـوف عـلى القرائـن التـي تعينـه عـلى الفهـم الصحيـح فعـن مـسروق قـال: « جـاءت امـرأة إلى ابـن مسـعود فقالـت: بلغنـي أنـك تنهـى عـن الواشـمة والواصلـة، أشيء وجدتـه في كتـاب اللـه أو عـن رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم؟ قـال: بـلى، شيء وجدتـه في كتـاب اللـه وعـن رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم، قالـت: واللـه لقـد تصفحـت مـا بـين دفتـي المصحـف فـما وجـدت فيـه الـذي تقـول! قـال: فـما وجـدت فيـه: « وَمَـا آتَاكُـمُ الرَّسُـولُ فَخُـذُوهُ وَمَـا نَهَاكُـمْ عَنْـهُ فَانْتَهُـوا»، قالـت: بـلى، قـال: فـإني سـمعت رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم ينهى عـن الواصلـة والواشـمة والنامصـة».

---

54) انظر: مصادر التشريع الاسلامي فيما لا نص فيه (ص:3).

55) انظر: المصدر السابق ص (105).

56) انظر: الفكر الاسلامي والتطور (ص:37 ، 38).

57) انظر: مختصر الصواعق المرسلة (ص:84).

الخاتمة:

من أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة :

- استمرار الطعن والنقد في السنة النبوية قديما وحديثا، وما يفرق بين هذه التيارات هو الطريقة؛ لأن المبدأ ثابت والماهية ثابتة، فالاختلاف فقط في طريقتهم في التعامل العقلي مع النصوص، وهذا لا يمنع القول بأنها مذاهب منحرفة على مر الزمان، ولها منهجيتها في الطعن.
- المذاهب الإلحادية والمذاهب المماثلة من الوجودية والشيوعية والمذهب العقلي والعلمانية والدارونيية والوضعية جميعها، امتداد للمذاهب والتيارات العقلية القديمة كالمعتزلة ، والعصرية هي امتداد لهذه المذاهب في العصر الحالي.
- المعاصرة أفكار في أصلها فلسفية تعتمد على التأويلات العقلية في المسائل والقضايا لمجارة روح العصر ، والتعاطف مع الأفكار من خلال المقاييس المجتمعية الحديثة .
- يتفق العصرانيون مع الملاحدة في تقديم العقل بدرجات متفاوتة فيما بينهم ، وما خالفه أحيانا لا ينظرون إليه ، مما أدى إلى اتساع فجوة النقد والشبهات التي وجهت إلى السنة النبوية .
- اتخذ النقد الموجه إلى السنة النبوية شكلا جديدا من خلال الدعوة إلى التجديد في مناهج الشريعة الإسلامية، الأمر الذي يؤدي إلى إلغاء الكثير من المسائل لتدمير القواعد التي بني عليها هذا الدين، على أساس تقليد الحضارة الغربية، وأسسها المادية في المقام مع اقتباس العلوم العصرية بحذافيرها .
- الجابري، وشحرور، والترابي، وأركون ، من العصرانيين الذين وجهوا سهامهم النقدية على السنة النبوية في العصر الحاضر، فيجب أن تكون هناك مؤسسة علمية ضخمة هدفها الذب عن السنة النبوية والدفع عنها.
- المصادر والمراجع:
- من أهم المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها الدراسة .

- أين هو الفكر الإسلامي المعاصر، محمد أركون، بيروت، دار الساقي للنشر، ط1، 1995م.
- مناقشة هادئة لأفكار الترابي، الحاج محمد الأمين، مركز الحق الإلكتروني، 1995م.
- جناية البخاري وإنقاذ الدين من إمام المحدثين، زكريا أوزون، الريس للكتب والنشر، الرياض، ط1، 2004م.
- مفهوم تجديد الدين، محمد سعيد بسطامي، دار الدعوة، الكويت، ط1، 1405هـ .
- درء تعارض العقل والنقل، أحمد عبدالحليم ابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، ط1، 1411هـ .
- الاتجاهات الحديثة في الإسلام، جيب، ترجمة : هاشم الحسيني، بيروت، دار مكتبة الحياة، ط1، 2014م .
- العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب، محمد حامد الناصر، مكتبة الكوثر بالرياض، الطبعة الأولى، 2006م.
- سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي، القاهرة، دار الحديث، ط1، 2010م .
- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس الرازي، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، بيروت، دار الفكر، ط1، 1979م .
- تاج العروس، محمد بن محمد الزبيدي، مجموعة من المحققين، دار الهداية، ط1، 1983م .
- الاعتصام ، إبراهيم بن موسى الشاطبي، تحقيق: سليم بن عيد، السعودية، دار ابن عفان، ط1، 1992م .
- نحو أصول جديدة للفقه الإسلامي، محمد شحرور، دار الساقي، ط1، 2015م .
- المعجم الفلسفي، جميل صليبيا، بيروت، الشركة العالمية، للكتاب، ط1، 1994م .
- التراث والتجديد من العقيدة إلى الثورة، محمد فتحي عثمان، طبعة القاهرة، ط1، 1980م .
- الضعفاء الكبير، محمد بن عمرو العقيلي، تحقيق: عبدالمعطي أمين، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1404هـ .
- بدائع الفوائد، ابن القيم الجوزية، بيروت، دار الكتاب العربي، ط1، 1412هـ .

- المعتزلة بين القديم والحديث، محمد العبدة، وطارق عبدالحليم، الرياض، مكتبة الكوثر، 1987م .
- لسان العرب، محمد ابن منظور، بيروت، دار صادر،ط1، 1414هـ .
- مجمع الزوائد ، أبو الحسن الهيثمي، تحقيق: حسام الدين القدسي، القاهرة، مكتبة القدسي، ط1، 1994م .
- قضايا الدين والفكر، محمد عابد الجابري، مجلة فكر ونقد، المغرب، السنة الأولى، العدد9، مايو 1998م .
- العقلانيون المعاصرون وأحاديث الصحيحين، محمد ظافر الشهري، بحث مقدم لمؤتمر الانتصار للصحيحين، المنعقد في كلية الشريعة بالجامعة الأردنية .

البحث السابع

منزلة السنة من الدين وكشف أصناف المكذبين والمستهزئين

الدكتور: عادل بن إبراهيم عَــرُو
أستاذ الفقه والأصول في التعليم الثانوي الأصيل/مراكش- بالمغرب

adil457_852@hotmail.com

الملخص

السنة النبوية هي المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي، يجب على المسلمين العمل بما صح منها، ويجب على العلماء الذّب عنها وحمايتها من السهام المباشرة، وغير المباشرة التي تهدف لإسقاط قداستها في نفوس المسلمين، تمهيدا لإسقاط العمل بها، ليسهل بعد ذلك هدم الإسلام الصحيح. وهذه الدراسة تهدف إلى التذكير بحرمة الجناب النبوي الشريف، وبيان أهمية السنة النبوية ومنزلتها من الدين، كما تسلط الضوء على بعض الجماعات المعاصرة التي تحمل راية التكذيب بالسنة، وكيف آلت جهودهم إلى الفشل. وقد اعتمد الباحث المنهج الوصفي الاستدلالي التحليلي، وخلص إلى مجموعة من النتائج، منها: أن السنة صنو القرآن، وحي الإله، وحكمة النبي ﷺ، تكفل الله بحفظها، وأن التكذيب بالسنة الصحيحة، هو تكذيب بالله تعالى، وكفر به، وأنه يجب على الباحثين تحديد أهداف التيارات المعادية للسنة النبوية وحصرها، والعمل على إبطالها وعدم السماح بتحقيقها. وقد خرجت الدراسة بمجموعة من التوصيات منها: أن مكر الليل والنهار الذي ينهجه أعداء الدين في الداخل والخارج يتطلب منا وجوب النهوض بالدين، كلّ حسب تخصصه، وذلك من خلال مجموعة من الخطوات؛ منها: إعادة كتابة شروح السنة باللغة المعاصرة ليكون في متناول عموم المسلمين، وإحداث قنوات تلفزية تُعنى برفع الشبهات المحيطة بالسنة وبنبيها ﷺ وتتبع المقررات الدراسية في العالم العربي، واستخراج جميع الوضعيات التي فيها تعريض صريح أو غير صريح بالسنة النبوية، أو بالنبي ﷺ، والجواب عنها وتعميمها على وسائل التواصل، وإحداث برامج أندرويد، سمعية، وبصرية، وبأسلوب مشوق، للتعريف بالنبي ﷺ، وبالسنة النبوية المطهرة، ومراحل تدوينها، وكيفية وصولها إلينا بيضاء نقية.

الكلمات المفتاحية: منزلة السنة - وظيفة السنة - التكذيب بالسنة - الاستهزاء بالسنة.

Abstract

The Prophet's Sunnah is the second source of Islamic legislation. Muslims must act according to what is true of it. Scholars must defend it and protect it from any direct and indirect threats that aim at bringing its sacredness down in the hearts of Muslims to facilitate the demolition of true Islam. This study aims at reminding us of the inviolability of the honorable Prophet (Peace be Upon Him) and clarifying the importance of the Sunnah and its status in religion. The study also sheds light on some contemporary groups that deny the Sunnah, and how their efforts failed.

The researcher adopted a descriptive, inferential and analytical approach.

The research concluded a set of results. First, the Sunnah is the revelation of God, the wisdom of the Prophet (PBUH), and God ensured its preservation. Secondly, any denial of the correct Sunnah is a denial of the Almighty, and a disbelief in Him. Finally, researchers must determine and limit the goals of any Anti-Prophet's Sunnah- groups, work to nullify these goals and not allow them to be achieved.

The study came out with a set of recommendations: All Muslims, each according to their specialization, have to work together to face the enemies of religion by following a set of plans: rewriting the explanations of the Sunnah in a contemporary language easy and accessible to all Muslims, creating TV channels that clarify any suspicions surrounding the Sunnah and its Prophet (PBUH), checking the academic text books in the Arab world, extracting all cases in which there are explicit or implicit hints to the Sunnah or the Prophet (PBUH), respond back to these hints via all available means of communication, and creating interesting audio and visual programs to introduce the Prophet (PBUH), the Sunnah, the stages of how it was written, and how it has reached us.

Keywords: the status of the Sunnah - the function of the Sunnah - denial of the Sunnah - mockery of the Sunnah.

المقدمة

بسم الله الرحمان الرحيم

إن الحمدَ لله، نحمدُه ونستعينُه ونستغفره، ونعوذُ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، مَن يهدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ له، ومن يُضلِلْ فلا هاديَ له، وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريك له، وأشهدُ أن محمدًا عبدُه ورسوله ﷺ.

أما بعد: فإن الكلام عن الرسول الكريم، عن الرحمة المهداة، وعن سنته الشريفة، حديث تطرب له النفوس، وتسعد له القلوب، وتتنزل معه السكينة، كيف لا، وهو ﷺ خليل الرحمان، وخير من بُعث إلى الأنام، الذي وصفه المولى العلي في محكم تنزيله بقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾(القلم:4). وقوله تعالى: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (التوبة:128).

والمسلمون أكثر الناس اعتزازا بدينهم، وأسعدُهم بكتابهم، وبنبيهم، وبسنته الشريفة المطهرة. فهم أسعد الناس بالقرآن؛ لأنه كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه، محكمة آياته، وهم أسعد الناس بنبيهم؛ لأنه ﷺ خير من وطئ الثرى، وخير من أشرقت عليه شمس، وأظلته سماء، سيد المرسلين، وحبيب رب العالمين. وهم أسعد الناس بسنته ﷺ؛ لأنها من الوحي، فهي

والقرآن من مشكاة واحدة، لقوله عليه السلام: «ألا إني أوتيت الكتاب، ومثله معه»(1).

وكحال أي دعوة نقية طاهرة، تجد في المدعوين من يرفع راية العداء، وإعلان الحرب، والاصطفاف مع الشيطان وحزبه، مكذبين بالرسالة، وجاحدين لأحكامها، ومستهزئين بأتباعها، وهؤلاء لم يخل منهم زمان، منذ البعثة وإلى الآن، فهي سنة كونية تحكم الصراع بين الحق والباطل. ولعلي أستحضر هنا مقولة ورقة ابن نوفل حين قال للنبي ﷺ: «ليتني أكون حيا إذ يخرجك قومك، فقال رسول الله ﷺ: «أوَ مخرجي هم؟»، قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرا مؤزرا..»(2).

فأتباع الشيطان، منذ نزول أول رسالة وإلى الآن يمكرون بالليل والنهار، لا يتركون وسيلة يمكن أن تساعد في إسقاط هوية الأمة، وطمس ثقافتها الإسلامية، وهدم ثوابتها إلا كانوا من الداعمين لها، والمناصرين لها، والحامين لدعاتها. ويمكرون ويمكر الله، والله خير الماكرين.

سأحاول في هذا البحث أن أتعرض لجانب من جوانب المكر الشيطاني على السنة النبوية، وعلى صاحبها عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم، مبينا أصناف المكذبين، والمستهزئين بالنبي الكريم وبأحاديثه الشريفة، من العلمانيين، والملحدين، ومن تأثر بهم من جهال وعوام المسلمين، رغبة منهم في إسقاط القداسة عنها في قلوب المؤمنين خصوصا، وفي نفوس المدعوين عموما. ومبينا كيف تبوء محاولاتهم بالفشل في أغلب الأحيان، وأنه لا يقع فيها ولا يميل إليها إلا الأشقياء ممن كره الله انبعاثهم، فلم يوفقهم للثبات على الحق، وعلى الصراط المستقيم.

أهمية البحث:

تتجلى أهمية البحث في كونه يقوم بواجب الدفاع عن السنة النبوية ضد السهام المباشرة، وغير المباشرة التي تتعرض لها من الداخل والخارج، ويسلط الضوء على أصناف المكذبين والمشككين في السنة المطهرة، ويبين بعض شبهاتهم، وخططهم الدنية من أجل هدم الهوية الإسلامية، من خلال الطعن في نبي الأمة ﷺ أو الطعن في السنة النبوية الشريفة، أو في ورثة الأنبياء.

أهداف البحث:

يمكن تلخيص أهداف البحث في النقاط الآتية:

- التذكير بحرمة الجناب النبوي الشريف، وقداسته.
- بيان أهمية السنة النبوية في فهم القرآن، وترسيخ الهوية الإسلامية.
- تسليط الضوء على بعض الجماعات المعاصرة التي تحمل راية التكذيب بالسنة.
- بيان أن محاولات الطعن في السنة النبوية، الغرض منها طمس معالم الشريعة، وتصوير الإسلام في صورة العاجز عن مواكبة التحديات المعاصرة.

منهجية البحث:

سأعتمد في هذا البحث المنهج الوصفي الاستدلالي التحليلي، من خلال سرد بعض المواقف المعادية للنبي الأكرم، وللسنة الغراء، وتحليلها باختصار غير مخل، والاستدلال على بطلانها، وإبداء الرأي فيها.

الدراسات السابقة:

تنوعت الدراسات السابقة التي تعرضت لبيان فضل السنة وشرفها، أو التي تصدت للرد على الطاعنين فيها، وفي شخص سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم، فمن التراث القديم نجد: كتاب (الشفا بتعريف حقوق المصطفى) للقاضي عياض، وكتاب (الصارم المسلول على شاتم الرسول) لابن تيمية الحراني، وكتاب (السيف السلول على من سب الرسول) لتقي الدين علي بن عبد

1). أخرجه، أبوداود، في سننه، كتاب السنة، باب في لزوم السنة، (رقم الحديث: 4604)، (ج4/ص200)، قال الألباني: إسناده صحيح. (انظر: الألباني، صحيح الجامع الصغير وزيادته، (رقم الحديث:2643)، (ج1/ص516).

2). أخرجه البخاري، في صحيحه، كتاب بدء الوحي، كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ ؟، (رقم الحديث: 3)، (ج1/ص7).

الكافي السبكي.

أما كتب المعاصرين ورسائلهم فهي أكثر من أن يجمعها هذا السفر، لعل من أبرزها: كتاب (دفاع عن السنة ورد شبه المستشرقين والكتاب المعاصرين) لأبي شهبة، وكتاب (السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي) لمصطفى السباعي، وكتاب (العلمانية لسفر الحوالي، وكتاب (الاتجاه العلماني المعاصر في دراسة السنة النبوية -دراسة نقدية-) لغازي محمود الشمري، وكتاب (الإسلام والسياسة -الرد على شبهات العلمانيين-) لمحمد عمارة، وكتاب (شبهات القرآنيين حول السنة النبوية) لمحمود محمد مزروعة، وغيرها كثير..

كما نجد بعض المؤلفات تتعرض لقضية من القضايا الفرعية، أو جزئية أحاطت بها الشبهات، ولزم تخصيصها بالرد؛ كالكتب التي عُنيت بالرد على الافتراءات الموجهة لصحيحي البخاري ومسلم، ومنها كتاب (الدفاع عن الصحيحين، دفاع عن الإسلام)، للعلامة محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي الفاسي.

وهذا البحث سيقتبس من أنوار هذه النجوم الزهية، لينسج ورقات بهية، تجمع بين الاختصار غير المخل، والأسلوب غير الممل، جامعا بين التأصيل والتنزيل، وموجها للذب عن السنة المطهرة باعتباره واجبا كفائيا على العلماء والباحثين، والذبِّ عن شخص النبي الكريم ﷺ، لما في الطعن فيه عليه السلام من طعن في كل أحاديثه، بل هو طعن في الإسلام، وبوابة عريضة للإلحاد والخروج من الملة والعياذ بالله.

وقد جاءت خطة البحث على النحو الآتي:

- المبحث الأول: تعظيم قدر النبي ﷺ، وحكم سبه.
  - المطلب الأول: تعظيم قدر النبي ﷺ.
  - المطلب الثاني: حكم سب النبي ﷺ أو التعريض به عليه السلام.
- المبحث الثاني: مكانة السنة في الإسلام، ووظيفتها بالنسبة للقرآن.
  - المطلب الأول: منزلة السنة النبوية في التشريع.
  - المطلب الثاني: وظيفة السنة بالنسبة للقرآن.
- المبحث الثالث: التكذيب بالسنة، أو الاستهزاء بها تكذيب واستهزاء به عليه السلام.
  - المطلب الأول: التكذيب بالسنة تكذيب بالله وبرسوله ﷺ.
  - المطلب الثاني: الاستهزاء بالسنة، تكذيب بالله وكفر برسوله ﷺ.
- خاتمة، ونتائج، وتوصيات.

المبحث الأول: تعظيم قدر النبي ﷺ، وحكم سبه.

المطلب الأول: تعظيم قدر النبي ﷺ.

لقد ازدانت الأرض ببعثة رسول عربي كريم، بهي الطلعة، زكي النفس، تعرف العرب نسبه الشريف، ولا يتهمونه قبل نبوته بكذب، أو فسوق، فهو الصادق الأمين قبل النبوة وبعدها، ذو الخلق النبيل الذي لم تعرف له العرب مثيلا، سيد ولد آدم الذي بُعث بالهدى ودين الحق، الرحيم المشفق على أتباعه من المؤمنين، كما قال تعالى: ﴿ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾(التوبة:128).

قال القاضي عياض رحمه الله: «لا خفاء على من مارس شيئا من العلم، أو خص بأدنى لمحة من الفهم، بتعظيم الله قدر نبينا ﷺ، وخصوصه إياه بفضائل ومحاسن ومناقب لا تنضبط لزمام، وتنويهه من عظيم قدره بما تكل عنه الألسنة والأقلام؛ فمنها ما صرح به تعالى في كتابه، ونبه به على جليل نِصابه وأثنى به عليه من أخلاقه وآدابه، وحضّ العباد على التزامه وتقلُّد إيجابه فكان جل جلاله هو الذي تفضل وأولى.ثم طهّر وزكّى، ثم مدح بذلك وأثنى، ثم أثاب عليه الجزاء الأوفى، فله الفضل بدأ وعودا، والحمد أُولى وأُخرى «(3).

3). عياض، الشفا بتعريف حقوق المصطفى، دت، (عمان، دار الفيحاء، ط2، 1407هـ): (ج1/ص47).

فالله تعالى أعلى شأن نبيه في كتابه الكريم فقال تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾((القلم:4)، وقال تعالى: ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ (الشرح:4)، فرفَع ذكره في السماء والأرض إلى يوم القيامة؛ إذ قرن اسمه عليه السلام باسمه تعالى في الشهادة لمن أراد الدخول إلى الإسلام، وجعلها شرطا لصحته، وقرن ذكره بذكره في الأذان، والإقامة، وفي أدعية وأوراد كثيرة. قال البغوي رحمه الله: «وعن الحسن قال: ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ إذا ذكرتُ، ذكرتَ معي. وقال عطاء عن ابن عباس: يريد الأذان، والإقامة، والتشهد، والخُطبة على المنابر، ولو أن عبدا عبدَ الله وصدقه في كل شيءيشهد أن محمدا رسولُ الله لم ينتفع بشيء، وكان كافرا. وقال قتادة: رفع الله ذكره في الدنيا والآخرة، فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلاة إلا ينادي: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله»( ). وإليه أشار حسان بن ثابت حين أنشد(2):

وضَمَّ الإلهُ اسم النبي إلى اسمه ... إذ قال في الخَمس المؤذِّن أشهدُ

وشقَّ له من اسمه ليُجِلّه ... فذو العرش محمود وهذا محمدُ

وأمر عباده بالصلاة على نبيهم، بل وبالإكثار من ذلك، فقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ (الأحزاب: 56)، وجعل سبحانه حب نبيه عليه السلام من الايمان، لا يتم إيمان العبد إلا به، يشهد لذلك ما أخرجه البخاري في صحيحه من حديث عبد الله بن هشام، قال: «كنا مع النبي وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب، فقال له عمر: يا رسول الله، لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي، فقال النبي : لا، والذي نفسي بيده، حتى أكون أحب إليك من نفسك. فقال له عمر: فإنه الآن، والله، لأنت أحب إلي من نفسي، فقال النبي : الآن يا عمر»(3).

ومن إجلال الله لنبيه ﷺ أنه سبحانه نهى الصحابة عن التقدم بين يديه ﷺ بالقول أو الفعل، حتى يأذن لهم، ونهاهم عن رفع أصواتهم بحضرته ﷺ، أو الجهر بالكلام لجنابه الشريف كما يجهر الرجل لصاحبه، فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ (الحجرات: من1 إلى 3).

ومن تعظيم قدره ﷺ أن الله تعالى نهى الصحابة أن ينادوا على رسول الله باسمه مجردا كما ينادي الرجل أخاه، فقال تعالى: ﴿ لَّا تَجْعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾ (النور:63)، قال ابن كثير رحمه الله: «قال الضحاك، عن ابن عباس: كانوا يقولون: يا محمد، يا أبا القاسم، فنهاهم الله عز وجل، عن ذلك، إعظاما لنبيه، صلوات الله وسلامه عليه»(4).

وقد كره العلماء رفع الصوت عند قبره ﷺ؛ كما كان عليه الحال في حياته ﷺ؛ لأن حرمته وهو حي كحرمته وهو ميت، يشهد لهذا ما أخرجه البخاري عن السائب بن يزيد، قال: كنت قائما في المسجد فحصبني رجل، فنظرت فإذا عمر بن الخطاب، فقال: اذهب فائتني بهذين، فجئته بهما، قال: من أنتما أو من أين أنتما؟ قالا: من أهل الطائف، قال: لو كنتما من أهل البلد لأوجعتكما، ترفعان أصواتكما في مسجد رسول الله ﷺ»(5).

وتتبع واستقراء النصوص، والأقوال في ذلك يحتاج سفرا ضخما، ولعل القاضي عياض رحمه الله شفا الغليل، بالشفا، وروى به العليل، فمن طلب الاستزادة فعليه به.

المطلب الثاني: حكم سبِّ النبي ﷺ أو التعريضِ به عليه السلام:

أجمع العلماء على أن من سب رسول الله ﷺ تصريحا أو تلويحا، وهو صحيح العقل، طائع غير مكره أنه يُعرض على القضاء الشرعي، الذي يحكم بكفره كفرا مخرجا من الملة، ثم بقتله. وإنما قلت يُعرض على القضاء الشرعي حتى لا يتجاسر أحد سمع أحدا يسب النبي ﷺ أن يعمد إلى تنزيل العقوبة به بنفسه، فهذا من خصائص الولاية العامة، حسما لمادة الفتنة، وإزهاق النفوس بشبهة أو بغير حق. فتنبه.

ولعمري مَن هذا الذي يمكن أن يعارض إجماعا كهذا، أو يرى رأيا مخالفا فيه. وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأٓخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ (الأحزاب:57).

4). ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: (ج6/ص88).

5). أخرجه البخاري، في صحيحه، كتاب الصلاة، باب رفع الصوت في المساجد، (رقم الحديث: 470)، (ج1/ ص101).

وقد تعلق بالسب حقوق كثيرة، ويترتب على السكوت عن فاعله، مفاسد عظيمة، لا تنحصر

بزمام. من ذلك أن ساب النبي ﷺ تصريحا، أو تلويحا بسب سنته، والاستهزاء بها تعلق به حق الله من جهة أنه طعنٌ في المرسِل، وردٌّ لأمره سبحانه، وكفر برسول الله ﷺ، ومعاداة لأفضل أوليائه، وبالتالي إسقاط للرسالة، فإذا سقطت الرسالة هُجر القرآن وكُذبت السنة، إذ كيف يتمسك الناس بما صاحبه ساقط المهابة والتعظيم عندهم، فإن صحتهما أو قبولهما -أعني الكتاب والسنة- موقوف على صحة الرسالة.

وتعلق به أيضا حق رسول الله ﷺ، إذ كان بشرا يعتريه ما يعتري البشر مما هو فطري، فكان عليه السلام يؤذيه وقوعهم في عرضه، ويؤذيه تكذيبهم له، واستهزاؤهم بسنته، قال تعالى: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ (الأنعام: 33-34).

وتعلق به أيضا حق المؤمنين، فإن عامة الخير الذي ينعمون به من الايمان، والعمل الصالح، والثواب الجزيل، ووعد الآخرة، إنما هو من جهته ﷺ، فهو ﷺ أحب إليهم من أنفسهم، وأولادهم، وآبائهم والناس أجمعين، فالمساس به مساس بالمؤمنين أجمعين، والطعن في سنته طعن في شعائر الله المعظمة في نفوسهم. قال ابن تيمية: «فعلم بذلك أن السب فيه من الأذى لله ولرسوله ولعباده المؤمنين ما ليس في الكفر والمحاربة وهذا ظاهر إن شاء الله»(6).

ووقوع السب أو الاستهزاء بالنبي ﷺ من غير المسلمين ممن لا خلاق لهم أمر متوقع عقلا، ودواعيه بينة، لكن أن يقع ممن يدّعون الإسلام فهذا مما لا تستسيغه العقول، وأبدا لا يخطر على بال، ولولا الوقائع المتتالية في المجتمعات المسلمة التي يُسب فيها الرسول الأكرم، أو سنته المطهرة، أو الدين بصفة عامة، ما كان الواحد منا ليصدق ذلك، ولكنه الجهل إذا عمّ طمّ، وأعمى البصيرة، ولا عذر لصاحبه يوم القيامة، يوم العرض والحساب ، وقراءة الكتاب.

قال القاضي عياض رحمه الله: «جميع من سب النبي ﷺ، أو عابه، أو ألحق به نقصا في نفسه أو نسبه، أو دينه، أو خصلة من خصاله، أو عرض به، أو شبهه بشيء على طريق السب له أو الإزراء عليه، أو التصغير لشأنه، أو الغض منه والعيب له فهو ساب له. والحكم فيه حكم الساب يقتل كما نبينه. ولا نستثني فصلا من فصول هذا الباب على هذا المقصد، ولا نمتري فيه تصريحا كان أو تلويحا...وهذا كله إجماع من العلماء وأئمة الفتوى من لدن الصحابة رضوان الله عليهم إلى هلم جرا. قال أبو بكر بن المنذر: «أجمع عوام أهل العلم على أن من سب النبي ﷺ يقتل». وممن قال ذلك: مالك بن أنس، والليث، وأحمد، وإسحاق، وهو مذهب الشافعي»(7).

وإنما استبيح دمه؛ لأنه كفر بسبه النبي الأكرم ﷺ، «وقد ذكر غير واحد الإجماع على قتله وتكفيره...قال محمد بن سحنون: أجمع العلماء أن شاتم النبي ﷺ المتنقص له كافر، والوعيد جار عليه بعذاب الله له، وحكمه عند الأمة القتل، ومن شك في كفره وعذابه كفر»(8).

المبحث الثاني: مكانة السنة في الإسلام، ووظيفتها بالنسبة للقرآن.

المطلب الأول: منزلة السنة النبوية في التشريع:

إذا كان القرآن العظيم كلامَ الله ووحيه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فالسنة النبوية صنو القرآن، سماها الله تعالى في كتابه بالحكمة، فقال تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ﴾ (البقرة: 231)، وقال تعالى:﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ (آل عمران: 164)، وقال تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ (النساء: 113)، وقال تعالى: ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ (الأحزاب: 34).

6). ابن تيمية، الصارم المسلول على شاتم الرسول، تحقيق، محمد محي الدين عبد الحميد، (المملكة العربية السعودية، الحرس الوطني السعودي، دط): (ص294).

7). القاضي عياض، الشفا بتعريف حقوق المصطفى: (ج2/ص474). وانظر أيضا: ابن تيمية، الصارم المسلول على شاتم الرسول: (ص3)، والسبكي علي بن عبد الكافي، السيف المسلول على من سب الرسول، تحقيق: إياد أحمد الغوج، (الأردن، عمان، دار الفتح، ط1، 1421هـ/2000م): (ص166).

8). القاضي عياض، الشفا بتعريف حقوق المصطفى: (ج2/ ص476).

فإذا كان القرآن الكريم هو دستور الإسلام وقانونه، فالسنة النبوية هي تطبيقه «والمسلم مكلّف باحترام هذا التطبيق تكليفه باحترام القانون نفسه، وقد أعطى الله نبيّه حقّ الاتباع فيما يأمر به وينهى عنه؛ لأنه في ذلك لا يصدر عن نفسه، بل عن توجيه ربه، فطاعته هي طاعة الله، وليست خضوعا أعمى لواحد من الناس»(9)، فالسنة النبوية لا تقل شأنا عن القرآن إلا من جهة كون القرآن كلامَ الله، معجزا، ومتعبدا بتلاوته، وكونه قطعي الثبوت، والسنة فيها ما هو متواتر قطعيُّ الثبوت، وهو قليل، وفيها ما هو ظني الثبوت وهو الأغلب، ولما كان المقطوع به مقدما على المظنون؛ لزم من ذلك تقديم الكتاب على السنة بهذا الاعتبار، بحيث إذا حصل ما ظاهره التعارض بين الكتاب والسنة، يقدم الكتاب. أما باعتبار التشريع فهي والقرآن في مكانة واحدة، كلاهما يُحرّم، و يحلّل، والأدلة على ذلك كثيرة، منها:

قال رسول الله ﷺ: «ألا إني أوتيتُ الكتابَ ومثلَه معه»(10)، قال البغوي: «أراد به أنه أوتي من الوحي غير المتلو، والسنن التي لم ينطق القرآن بنصها مثل ما أوتي من المتلو»(11).

وقال رسول الله ﷺ: «ألا وإن ما حرم رسول الله ﷺ مثل ما حرم الله»(12).

وقد أجمع الفقهاء والأصوليون على أن السنة النبوية هي المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي، لا غنى للمسلم الذي يريد الله والدار الآخرة عنها؛ لأنها كما قال شيخ الإسلام: «تفسر القرآن، وتبينه، وتدل عليه، وتعبر عنه»(13).

وقد أمر الله باتباع السنة النبوية والتحذير من مخالفتها في آيات كثيرة من القرآن الكريم، منها:

قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ (النساء:59).

وقوله تعالى: ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا﴾(النساء:80).

وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡ ﴾ (الأنفال:24).

وقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعۡنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٞ مِّنۡهُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَۚ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُم مُّعۡرِضُونَ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلۡحَقُّ يَأۡتُوٓاْ إِلَيۡهِ مُذۡعِنِينَ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرۡتَابُوٓاْ أَمۡ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَرَسُولُهُۥۚ بَلۡ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِنَّمَا كَانَ قَوۡلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ أَن يَقُولُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخۡشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقۡهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ﴾ (النور: من 47 إلى 52).

وقوله تعالى: ﴿ فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ (النور:63).

إلى غير ذلك من الآيات المحكمات التي تدعو الناس إلى اتباع الوحي الذي جاء به النبي الكريم، قرآنا وسنة، دون التمييز بينهما في الاتباع والخضوع.

وكذلك جاء الأمر عن النبي ﷺ باتباع سنته في نصوص كثيرة صحيحة الإسناد، منها:

قوله ﷺ: «ألا هل عسى رجل يبلغه الحديث عني وهو متكئ على أريكته، فيقول: بيننا وبينكم كتاب الله، فما وجدنا فيه حلالا استحللناه. وما وجدنا فيه حراما حرمناه، وإن ما حرم رسول الله كما حرم الله»(14).

وقوله ﷺ: «من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله»(15).

وقوله ﷺ: «ما نهيتكم عنه، فاجتنبوه وما أمرتكم به فافعلوا منه ما استطعتم»(16).

9). الغزالي، فقه السيرة، (سوريا: دمشق، دار القلم، ط1، 1427هـ): (ص37).

10). أخرجه أبوداود، في سننه، كتاب السنة، باب في لزوم السُّنّة، (رقم الحديث: 4604)، (ج7/ ص13).

11). البغوي، شرح السنة، تحقيق: شعيب الأرنؤوط-محمد زهير الشاويش، (دمشق، بيروت، المكتب الإسلامي، ط2، 1403هـ / 1983م): (ج1/ ص202).

12). أخرجه ابن ماجه، في سننه، كتاب في الإيمان وفضائل الصحابة، باب تعظيم حديث رسول الله ﷺ والتغليظ على من عارضه، (رقم الحديث: 12)، (ج1/ص9).

13). ابن تيمية، العقيدة الواسطية، تحقيق: أشرف بن عبد المقصود، (السعودية: الرياض، أضواء السلف، ط2، 1420هـ / 1999م): (ص75).

14). أخرجه الترمذي، في سننه، أبواب العلم، باب ما نهي عنه أن يقال عند حديث النبي ﷺ، (رقم الحديث: 2664)، (ج5/ ص38).

15). أخرجه البخاري، في صحيحه، كتاب الأحكام، باب قول الله تعالى :{أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم}، (رقم الحديث: 7137)، (ج9/ ص61).

16). أخرجه مسلم، في صحيحه، كتاب الفضائل، باب توقيره ﷺ، وترك إكثار سؤاله عما لا ضرورة إليه، أو لا يتعلق به تكليف وما لا يقع، ونحو ذلك، (رقم الحديث: 1337)، (ج4/ 1830).

وقوله ﷺ : «من رغب عن سنتي فليس مني»(17).

إلى غير ذلك من النصوص الصريحة أو غير الصريحة في الأمر باتباع السنة والعمل بها.

فإذا تقرر ذلك، فلا ينكر منزلة السنة في الإسلام إلا جاهل جهلا مركبا، أو مكابر معاند مشاقق لله ولرسوله ﷺ، فبدون السنة ما كنا لنعرف مراد الله من أمره بالصلاة، والزكاة، والحج، والصيام، ولا استطعنا ضبط المعاملات بيننا. وهذا يقودنا لبيان منزلة السنة من القرآن الكريم، ردا على القرآنيين -أو بالأصح اللاقرآنيين أو الجهلانيين؛ لأن أهل القرآن حقا خاضعون مستسلمون لحكم الله وحكم رسوله ﷺ-، الذين تنبأ النبي ﷺ بظهورهم محذرا من منهجهم الضال عن الصراط المستقيم. قال رسول الله ﷺ : «لا أُلْفِيَن أحدَكُم مُتَّكئاً على أريكَتِهِ يأتيه الأمرُ من أمري مِمَّا أمرْتُ به أو نَهَيتُ عنه، فيقول: لا ندري، ما وجدنا في كتاب الله اتَّبعناه»(18).

المطلب الثاني: وظيفة السنّة بالنسبة للقرآن:

اشتهر عند عوام الناس، وعوام طلبة العلم، اصطلاح الفقهاء في السنة، وأنها ما كان خلاف الواجب عموما، أو ما واظب النبي ﷺ على فعله كما هو اصطلاح المالكية. يقول الشيخ عبد الله بن إبراهيم الشنقيطي(19):

عليه والشروع فيه وجبا ... وسنة ما أحمد قد واظبا

حتى صار هذا الاصطلاح يلخص دور السنة ووظيفتها عند كثير من المثقفين للأسف، لكن في الحقيقة دور السنة بالنسبة للقرآن أعم بكثير من حصرها في هذا المعنى الخاص، أو ذاك المعنى الضيق، الذي يسلبها قيمتها، وقوتها في الاحتجاج. فهي:

إما مبيّنة للقرآن؛ قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (النحل: 44). والمُبيِّن له حكم المبيَّن؛ إن كان واجبا فواجب، وإن حراما فحرام، ثم هو أنواع:

قد يكون التبيين لمجمل ورد في القرآن، كما في قوله تعالى: ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ (البقرة: 43). فالأمر الوارد في الآية يفيد وجوب فعلِ الصلاة، وإخراجِ الزكاة، على الصحيح المشهور عند الأصوليين والفقهاء في دلالة الأمر المجرد في الكتاب والسنة. لكن كيفية الصلاة والزكاة مجملة تستوي فيها جميع الصفات والهيئات والأفعال، لامزية لبعضها على بعض، مما يستدعي تدخل الوحي لبيان مراد الله تعالى، فإنه سبحانه يحب أن يعبد بما شرع لا بما تهواه الأنفس، أو تبتدعه العقول. فجاء البيان في السنة النبوية لكيفية الصلاة، فصلاها رسول الله ﷺ في أوضاع مختلفة، مرة من على المنبر ليراه صاحب الصف الأخير كما يراه صاحب الصف الأول، ومرات في محرابه، ثم قال رسول الله ﷺ بعدها:»صلوا كما رأيتموني أصلي»(20).

قد يكون التبيين لمشكل ورد في القرآن استعصى فهمه على الصحابة، كما في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ (الأنعام: 82). فإن الصحابة فهموا الظلم بمعناه اللغوي، فهالهم الأمر، وخافوا أن يكونوا ممن حرموا الأمن والهداية في الدنيا والآخرة. فقالوا: «يا رسول الله، أينا لا يظلم نفسه؟ قال: ليس ذلك إنما هو الشرك ألم تسمعوا ما قال لقمان لابنه وهو يعظه: ﴿ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾«(21)، فكان بيان رسول الله ﷺ بيانا شافيا كافيا رافعا للإشكال.

قد يكون التبيين لمبهم، كما في قصة موسى عليه السلام مع الخضِر، حيث قال تعالى: ﴿ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ (الكهف:64-65). فأبهم الله سبحانه اسم العبد الصالح، ثم بينه رسول

---

17). أخرجه ابن أبي عاصم، في السنة، باب ذكر قوله عليه السلام: «من رغب عن سنتي فليس مني» (رقم الحديث:61)، (ج1/ ص31)، وابن خزيمة، في صحيحه، كتاب الصيام، باب التغليظ في ترك سنة النبي ﷺ رغبة عنها، (رقم الحديث: 2024)، (ج2/ ص973).

18). أخرجه أبو داود، في سننه، كتاب السنة، باب في لزوم السُّنَّة، (رقم الحديث: 4605)، (ج7/ ص15). والحاكم، في المستدرك، كتاب العلم، (رقم الحديث: 368)، (ج1/ ص190). قال الحاكم: «وهو صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه». ووافقه الذهبي في التلخيص (انظر: الحاكم، المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، (لبنان: بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1411ه / 1990م): (ج1/ ص190).

19). الشنقيطي، عبد الله بن إبراهيم، نظم: مراقي السعود لمبتغي الرقي والصعود، تحقيق: محمد ولد سيدي ولد حبيب الشنقيطي، (السعودية، دار المنارة للنشر والتوزيع، ط1، 1416ه/1995م): (رقم البيت:47)، (ص12).

20). أخرجه البخاري، في صحيحه، كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم، (رقم الحديث: 6008)، (ج8/ص9).

21). أخرجه البخاري، في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى:﴿ ٱ ب ب ٻ ٻ پ پ ﴾، (رقم الحديث: 3429)، (ج4/ ص163).

الله ﷺ، بقوله: «فارتدا على آثارهما قصصًا فوجدا خَضِرًا، فكان من شأنهما الذي قص الله في كتابه»(22).

وإما مخصصة لعموم القرآن؛ كما في قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُواْ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُواْ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ﴾ (النساء: 23-24). في هذه الآية عدّد الله تعالى المحرمات على الرجل من النساء تحريما مؤبدا، وتحريما مؤقتا، ثم قال سبحانه: ﴿وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ﴾، فأفاد منطوق النص، أن كل النساء غير المذكورات في الآية يجوز الزواج بهن، فجاءت السنة النبوية مخصصة لهذا العموم، فقال رسول الله ﷺ: «لا يجمع بين المرأة وعمتها، ولا بين المرأة وخالتها»(23). فخص الحديثُ عمةَ الزوجة، وخالتَها من الحلّ.

وإما مقيدة لمطلق القرآن، كما في قوله تعالى: ﴿مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ﴾ (النساء: 12)، فأطلق القرآن الوصية ولم يحدد لها سقفا معينا، وعليه فيمكن أن تصح بأقل شيء، كما يمكن أن تصح باستغراق كل التركة، فجاءت السنة النبوية مقيدة لهذا الإطلاق بما دون الثلث، كما في حديث سعد بن أبي وقاص t قال: مرضت، فعادني النبي ﷺ، فقلت: يا رسول الله، ادع الله أن لا يردني على عقبي، قال: لعل الله يرفعك وينفع بك ناسا، قلت: أريد أن أوصي، وإنما لي ابنة، قلت: أوصي بالنصف؟ قال: النصف كثير، قلت: فالثلث؟ قال: الثلث، والثلث كثير أو كبير»(24).

وإما ناسخة لحكم في القرآن على الصحيح؛ ومثاله نسخ الوصية للوالدين الوارد في قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾ (البقرة: 180). بقوله ﷺ: «إن الله قد أعطى كل ذي حق حقه، ألا لا وصية لوارث «(25).

وإما مؤسسة لحكم جديد؛ كتحريم الجمع بين المرأة وعمتها وخالتها في النكاح، وتحريم أكل لحوم الحُمُر الأهلية، عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: «نهى النبي ﷺ عن أكل لحوم الحمر الأهلية»(26). وتحريم نكاح المتعة، وغيرها كثير.

المبحث الثالث: التكذيب بالسنة، أو الاستهزاء بها تكذيب واستهزاء به عليه السلام.

المطلب الأول: التكذيب بالسنة تكذيب بالله وبرسوله ﷺ.

لا يُتصور التكذيب بالسنة النبوية المطهرة إلا من مشرك، أو كتابي منكر للنبوة، أو من فراخ الحضارة الغربية الذين تشبعوا بأفكارها ومناهجها؛ من العلمانيين والملحدين. أما من اطمئن قلبه بالايمان، ورضي بالله ربا، وبمحمد رسولا، وبالإسلام دينا، فموته أحب إليه من تكذيب رسول الله ﷺ، أو تكذيب سنته الصحيحة المطهرة. يقول البربهاري رحمه الله: «اعلموا أن الإسلام هو السنة، والسنة هي الإسلام، ولا يقوم أحدهما إلا بالآخر»(27)، ولهذا لم يختلف قول العلماء في حكم المكذب للسنن الصحيحة الثابتة الرادِّ لها أن له حكمَ المكذب بالرسول ﷺ، لقوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ (النساء: 65). فهذا تحذير شديد لمن تسول له نفسه رد حكم رسول الله ﷺ، أو عدم الرضا به، أو التمييز بين حكم الله وحكم رسوله ﷺ.

قال ابن حزم رحمه الله: «هذه كافية لمن عقل وحذر وآمن بالله واليوم الآخر وأيقن أن هذا العهد عهد ربه تعالى إليه ووصيته عز وجل الواردة عليه، فليفتش الإنسان نفسه فإن وجد في نفسه مما قضاه رسول الله ﷺ في كل خبر يصححه مما قد بلغه، أو وجد نفسه غير مسَلّمة لما جاءه عن رسول الله ﷺ.. فليعلم أن الله تعالى قد أقسم وقوله الحق إنه ليس مؤمنا وصدق الله تعالى، وإذا لم يكن مؤمنا فهو كافر ولا سبيل إلى قسم ثالث»(28).

---

22). أخرجه البخاري، في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الخضر مع موسى عليهما السلام، (رقم الحديث: 3400)، (ج4/ ص154).

23). أخرجه البخاري، في صحيحه، كتاب النكاح، باب لا تنكح المرأة على عمتها، (رقم الحديث: 5109)، (ج7/ ص12).

24). أخرجه البخاري، في صحيحه، كتاب الوصايا، باب الوصية بالثلث، (رقم الحديث: 2744)، (ج4/ص3).

25). أخرجه ابن ماجه، في سننه، كتاب الوصايا، باب لا وصية لوارث، (رقم الحديث: 2714)، (ج4/ ص18).

26). أخرجه البخاري، في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، (رقم الحديث: 4218)، (ج5/ ص136).

27). البربهاري، شرح السنة، تحقيق: عبد الرحمان بن أحمد الجميزي، (الرياض، مكتبة دار المنهاج، ط1، 1426هـ): (ص 35).

28). ابن حزم، الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق: أحمد محمد شاكر، (لبنان: بيروت، دار الآفاق الجديدة، دط): (ج1/ص99).

قال إسحاق بن راهويه رحمه الله: «من بلغه عن رسول الله ﷺ خبر يقر بصحته ثم رده بغير تقية فهو كافر»(29).

وقال السيوطي رحمه الله: «من أنكر كون حديث النبي ﷺ قولا كان أو فعلا بشرطه المعروف في الأصول حجة، كفر وخرج عن دائرة الإسلام وحشر مع اليهود والنصارى، أو مع من شاء الله من فرق الكفرة»(30).

إلى غير ذلك من النقول المتوافرة في مظانها عن أئمة المذاهب الأربعة، وغيرهم، والتي تصرح بوجوب التسليم لما صح عن رسول الله ﷺ وعدم الاعتراض عليه، بالهوى وحظ النفس.

وقد اتخذ التكذيب للسنة المطهرة أشكالا وصورا مختلفة عبر التاريخ وإلى اليوم، وكلها تتجه إلى هدف واحد وهو إسقاط السنة، لطمس معالم الدين، وجعل القرآن كتابا للتبرك لا غير، خال من مضمونه الروحي. وكل فرقة من هؤلاء المكذبين للسنة لها مآرب في جحودها هذا، تخدم به توجها سياسيا، أو منهجا ضالا أو غير ذلك.

وأعلى صور هذا التكذيب، إنكار الرسالة، الذي يلزم عليه إنكار كل ما نطق به الوحي من كتاب وسنة، ويدخل فيهم أهل الكتاب؛ النصارى واليهود، ثم المشركون بجميع أصنافهم، وألوان معبوداتهم من الهندوس، ومن على شاكلتهم ممن يدينون بعبادة الأحجار والأوثان المختلفة.

ويلتحق بهؤلاء العلمانيون والملحدون العرب، ممن لا يؤمنون بالله ربا، ولا بمحمد نبيا ورسولا، حتى لو ادعى بعضهم ذلك؛ إذ لا تجتمع الظلمة مع النور، ولا الهدى مع الضلال، فالعَلمانية تدور في فلك الإلحاد وتجتمع معه في العداء لكل رسالة سماوية، وهؤلاء مذهبهم بيّن البطلان، وضرره على جماعة المسلمين نابع من خفة الدين عند كثير من الناس في العصر الحاضر، ورغبة شريحة واسعة من المسلمين في العيش بالنمط الغربي الذي يتم التسويق له على أنه أفضل طريقة للحياة اليومَ. ومع جلاء مفسدته، وتأهب العلماء لدحض شبهه غير أن ما يجدونه من الدعم الخارجي والداخلي يمدهم بالقوة للبقاء صامدين أمام صواعق الحق، ولولا ذلك لاندثروا، فنور الحق لا تقف أمامه ظلمة مهما كانت حالكة.

وأغلب هؤلاء العلمانيين القاطنين في البلاد الإسلامية لا يقاتلون إلا من وراء جدر، متخفين في زي المصلحين، ومعلنين حب الخير للإسلام والمسلمين، محاولين حصر الإسلام في زاوية المحراب، الذي يخلو فيه المسلم بربه، بعيدا عن كل قضايا الحياة. ثم هم أو بعضهم لا يطعنون في شخص نبي الأمة مباشرة، ولا يظهرون العداء الأصلي لسنته الشريفة، خوفا من العواطف الجياشة عند عوام المسلمين فضلا عن علمائهم، فينتهجون منهجا شيطانيا، يقوم على إسقاط الأعمدة التي تقوم عليها السنة؛ كالطعن في الصحابة، وفي كتب السنن وبالأخص صحيحي البخاري ومسلم؛ لأنهما أصح كتابين جامعين للآثار عند المسلمين، ولشدة تعلق المسلمين بهما، والعمل بما فيهما، يعتبرهما العلمانيون والملحدون، من أشد العقبات التي تقف أمامهم، لتحرير المسلمين من عبودية الله، وربطهم بعبودية الشيطان والهوى، فهم يعرفون تمام المعرفة أنهم إذا أزالوا القدسية والهيبة عن حملة الوحي سيسهل عليهم هدم السنة، وإعادة بنائها على النحو الذي يخدم مخططات الغرب في قيام دول مدنية لا دخل لأحكام الإسلام في توجيهها سياسيا، ولا اقتصاديا، ولا اجتماعيا، عن طريق مسخ الفطرة السوية، والعقيدة النقية.

ولعل من طالع كتب المدعوة (نوال السعداوي) - التي تشربت العلمانية أكثر من العلمانيين، ومكرت بالليل والنهار مع الماكرين- سيرى الحرية والانفتاح العلماني الذي يريد هؤلاء نشره بين المسلمين. سيرى الضرب في القرآن وفي السنة، وتحميلهما مسؤولية تخلف المجتمعات المسلمة، ومسؤولية الظلم الذي تتعرض له النساء، وتردي أحوال الأسرة المسلمة. سيرى التجهيل والاستهزاء بالنصوص والسخرية منها. ولولا صرح السنة المنيع، الذي يقف حائلا دون تفريغ القرآن من مضمونه الروحي، أو تأويله بما يلبي رغبات أهل الأهواء والمكائد لحقق هؤلاء مآربهم، وأفسدوا على الناس دينهم، ومعايشهم، فما تركت هذه المذكورة شيئا دعت إليه السنة إلا تعرضت له بالنقد، ومحاولة الإبطال؛ كزعمها بأن حجاب المرأة يحجبها عن الحياة؛ لأنه يخفي جسدها وعقلها وروحها وشخصيتها(31)، ودعوتها لفصل الشريعة أو الدين عن قانون الأحوال الشخصية(32)، ومطالبتها بتقنين العلاقات الجنسية الرضائية خارج إطار الزوجية بحيث لا تُسأل المرأة عن مولودها، من أبوه؟(33)، وبتعدد الأزواج مساواة للرجال في تعدد

29). نفس المصدر السابق.

30). السيوطي، مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة، دت، (السعودية، الجامعة الإسلامية، ط3، 1409هـ/1989م): (ص5).

31). انظر: نوال السعداوي، عن المرأة والدين والأخلاق، (المملكة المتحدة، مؤسسة هنداوي سي آي سي، دط، 2017م) : (ص 23).

32). انظر: المصدر السابق: (ص 80).

33). نوال السعداوي، عن المرأة والدين والأخلاق: (ص ١٣).

الزوجات(34)، وتجريم الختان الذي تتعتبره عملية غير إنسانية(35)، وغيرها من الافتراءات الساقطة، التي كانت تلهج بها في القنوات الإعلامية الهدامة، وفي مقالاتها وكتبها، والتي توضح للقارئ اللبيب بشكل قاطع، لماذا السنة تتعرض لهجوم كاسح، وتنفق من أجلها الأموال، وتعقد في سبيل التخلص منها المؤتمرات. وقد تصدى الغيورون على الإسلام للرد عليها وعلى شيعتها، بالأدلة النقلية والعقلية، التي لا يسعني بسطها في هذا البحث؛ إذ الغرض هنا هو تسليط الضوء على هذا الصنف من المعادين للسنة.

ومع أن هذه الشبه المرجفة، وهذا الإسفاف يمس غالبا أحكاما قطعية لا يشك المؤمن في ثبوتها، أو أحكاما ظنية وجب العمل بها لقوة أسانيدها، بحيث لا يتيه العالِم وطالب العلم في بيان مراد الله تعالى ورسوله ﷺ منها، إلا أن ضررها نابع من كون أصحابها يتلقون دعما إعلاميا قويا، لعرض شبههم، وتسويقها بين العوام، ومن لا قدرة له على التمييز بين الحق والباطل، ثم لا يُعطى للدعاة المصلحين نفس المساحة للرد. ومع ذلك لا ينبغي للعالم أن يقف موقف العاجز والمتمحل في الدفاع عن الإسلام، بل لابد من قول كلمة الحق، حتى ولو في منابر إعلامية صغيرة، فإن الحق أبلج، وضياؤه ساطع، يكفي أن يصل إلى أسماع الناس بأسلوب سهل ومفهوم، ليدركوا أنه الحق.

ثم يأتي من بعد هؤلاء، أقوام شهدوا بنبوة محمد ﷺ، لكنهم رفضوا سنته، واختاروا التحاكم إلى القرآن فقط، واشتهروا بالقرآنيين، إيهاما للناس بأنهم من أهل كتاب الله، والملتزمين بتعاليمه، وإن كان الأصح في تسميتهم أن يقال عنهم اللاقرآنيين، إذ القرآني حقيقة يعرف أن لا وصول له إلى الرب تعالى إلا عن طريق السنة المطهرة. من هؤلاء الدكتور توفيق صدقي الذي كتب مقالتين في مجلة المنار بعنوان (الإسلام هو القرآن وحده)، حاول فيهما الاستدلال بالآيات القرآنية لإقناع القراء بعدم الحاجة إلى السنة النبوية حسب زعمه.

وهي دعوة قديمة، ليست حديثة الابتداع، فقد ذكر السيوطي رحمه الله (المتوفي سنة 911ه)، في كتابه (مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة)، أنه قد ظهرت طائفة نعتهم بالزنادقة، ومعهم بعض غلاة الروافض، يذهبون إلى إنكار الاحتجاج بالسنة المطهرة، والاقتصار على القرآن الكريم(36). وهؤلاء كانوا أشرس في الدفاع عن شبههم ممن جاء بعدهم من القرآنيين الجدد، من أمثال توفيق صدقي، وأحمد خان وعبد الله الجكرالوي، وغلام أحمد برويز، وأبورية، الذين اتخذ مذهبهم شكلا نظاميا في عصرنا، لكن مع ضعف في التحصيل، وفي الحجاج، «فليس لهم شبهة تذكر إلا ما كان من حب الظهور، ولو على حساب الكفر برسول الله، أو مجرد التقليد الأعمى، أو ما كان من عداء كامن للإسلام لم يمكن إظهاره إلا في هذه الصورة»(37). وهؤلاء يعتبرون أن أحاديث البخاري ومسلم وغيرها لا علاقة لها بنبي الإسلام، وإنما تعبر عن ثقافة حقبة معينة، وزمن مضى، ولا إلزامية فيها لغيرهم بالتسليم أو الاتباع. وفي مثل هؤلاء قال الشافعي رحمه الله: «أما ما كان نصَّ كتاب بيِّن أو سنةٍ مجتمع عليها فيها، فالعذر فيها مقطوع، ولا يسع الشكُّ في واحد منهما، ومن امتنعَ من قبوله استُتِيب»(38).

وقد أخبر النبي ﷺ بظهور هذه الفرقة المكذبة للسنة، فقال ﷺ: «ألا هل عسى رجل يبلغه الحديث عني وهو متكئ على أريكته، فيقول: بيننا وبينكم كتاب الله، فما وجدنا فيه حلالا استحللناه. وما وجدنا فيه حراما حرمناه، وإن ما حرم رسول الله كما حرم الله»(39). وهذا الحديث من دلائل نبوته ﷺ، لإخباره بواقعة مستقبلية، وقعت على النحو الذي أخبر به ﷺ.

وخطر هذه الفرقة أشد من سابقتها، إذ يغلفون باطلهم بزعمهم حب الله ورسوله ﷺ، ورغبتهم في تنزيل أوامر الرب سبحانه، التي جاء بها القرآن الكريم، فيغتر بهم العوام ممن جهلوا منزلة السنة، ومن لا خلاق لهم ممن أضرت بهم تعاليم الأحاديث النبوية، ومنعتهم عن كثير من الباطل. ومن أبرز شبههم:

زعموا أن لا حاجة للسنة، إذ القرآن فيه كل شيء يحتاج إليه المسلم، يقول أحد قادتهم، وهو المدعو عبد الله جكرالوي: «إن الكتاب المجيد ذكر كل شيء يحتاج إليه في الدين مفصلا ومشروحا من كل وجه، فما الداعي إلى الوحي الخفي وما الحاجة إلى

34). انظر: سيد حسين العفاني، أعلام وأقزام في ميزان الإسلام، (السعودية: جدة، دار ماجد عسيري للنشر والتوزيع، ط1، 1424ه2004-م).

35). انظر: نوال السعداوي، عن المرأة والدين والأخلاق: (ص 53).

36). انظر: مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة: (ص9).

37). محمد أمان الجامي، الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية في ضوء الإثبات والتنزيه، (السعودية: المدينة المنورة، المجلس العلمي بالجامعة الإسلامية، ط1، 1408ه): (ص53).

38). الشافعي، الرسالة، تحقيق: أحمد شاكر، (مصر: مكتبه الحلبي، ط1، 1358هـ/1940م): (ص 460).

39). تقدم تخريجه.

السـنة؟»(40).

وقـال أيضـا: «إنـا لم نؤمـر إلا باتبـاع مـا أنزلـه اللـه بالوحـي، ولـو فرضنـا جـدلاً صحـة نسـبة بعـض الأحاديـث بطريـق قطعـي إلى النبـي ﷺ، فإنهـا مـع صحـة نسـبتها لا تكـون واجبـة الاتبـاع؛ لأنهـا ليسـت بوحـي منـزل مـن اللـه عـز وجـل»(41).

وغيرهـا كثـير، وليـس الغـرض هنـا الوقـوف عـلى كل شـبههم، وبسـط الـكلام فيهـا تحليـلا وتدقيقـا، إنمـا الغـرض بيـان بعـض طوائـف المكذبـين للسـنة المطهـرة، وأقـوى مـا تعلقـوا بـه.

ولا يـتردد عاقـل ذاق حـلاوة الايمـان، وتشـبع بأنـوار الهدايـة، هدايـة القـرآن والسـنة، أن مـا ذكـره هـذا المدعـي، ومـن تبعـه، هـو كفـر بـواح صراح، لا يمـتري فيـه اثنـان، ولا ينتطـح في عنـزان. فهـل يسـأل مسـلم عاقـل عـن الداعـي إلى الوحـي الخفـي -كـما زعمـوا-، وعـن الحاجـة إلى السـنة؟ ألا ينظـر هـذا المفـتري إلى عمـل يومـه وليلـه، كـم صـلاة يصـلي في اليـوم؟ وكيـف يصـلي؟ وإن زكى كيـف يـزكي؟ وإن حـج كيـف يحـج؟ ومتـى ينتقـض وضوؤه؟...الـخ. كيـف يفـسرون مجمـلات القـرآن المتعلقـة بـأركان الإسـلام؟ مـن أيـن لهـم البيـان؟ تاللـه إن هـذا لهـو حقيقـة الخـسران.

ثـم إنهـم لمـا لم يجـدوا بُـدّا مـن التسـليم للسـنة لتبـين لهـم هـذه المجمـلات، وترفـع لهـم الإبهـام عـن مـراد اللـه تعـالى مـن كلامـه، اعترفـوا بالسـنة العمليـة فقـط كـما نحـى إلى ذلـك أبـو ريـة في كتابـه (أضـواء عـلى السـنة المحمديـة)، أو قسـموها إلى متواتـر، وآحـاد، -كـما فعـل الدكتـور توفيـق صدقـي- لكـن لا عـلى مذهـب الأصوليـين في التقسـيم، وإنمـا القصـد أن مـا نقـل بالتواتـر يجـب قبولـه والعمـل بـه، ومـا عـداه فليـس مـن الديـن، ولا يلـزم العمـل بـه(42). وقـد قدمـتُ فيـما سـبق مـن المباحـث الأدلـةَ عـلى مكانـة السـنة، ومنزلتهـا، وارتباطهـا الوثيـق بالقـرآن، وأنهـما لا يـضرب بعضهـما بعضـا، ولا يناقـض حكـم أحدهـما الآخـر، وكيـف يكـون ذلـك، وهـما مـن مشـكاة واحـدة، ومصـدر واحـد.

بـل زاد تطـاول بعضهـم وجحودهـم وغلوهـم بـالإصرار عـلى التكذيـب والـرد للسـنة، حتـى لـو كان ثبوتهـا متواتـرا قطعيـا، بدعـوى أنهـا لا تكـون واجبـة الاتبـاع؛ لأنهـا ليسـت بوحـي منـزل مـن اللـه عـز وجـل. ولـو ردوا أمرهـم إلى القـرآن -الـذي يزعمـون تمسـكهم بـه- لعلمـوا الحـق، وعلمـوا أن الشـيطان لبّـس عليهـم أمرهـم، فأوقعهـم في ظلـمات الشـك، والكفـر، والجحـود. ألم يقـل اللـه تعـالى: ﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ، وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓاْ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓاْ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ، بَلْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا، وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ (النـور: مـن 47 إلى 52).

أجيبـوا كلام اللـه تعـالى، أفي قلوبكـم مـرض؟ لمـاذا تخافـون مـن اتبـاع السـنة؟ أتخافـون أن يحـرم الرسـول عليكـم بعـض أهوائكـم، وملذاتكـم؟ أليـس عليـه السـلام أحـق بالإذعـان لـه ولأمـره، وقـد جاءكـم بالبينـات مـن ربـه تعـالى. أفتؤمنـون ببعـض الكتـاب وتكفـرون ببعـض، ﴿ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا، وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ، وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (البقـرة: 85). ألم يقـل القـرآن: ﴿ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ ﴾ (البقـرة: 231)، وقـال :﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ (آل عمـران: 164)، فعطـف في الموضعـين الحكمـة عـلى الكتـاب، والعطـف يقتـضي المغايـرة بـين المتعاطفـين، فـلا يعطـف الـشيء في اللغـة عـلى نفسـه، فـدل عـلى أن الحكمـة غـيرُ القـرآن، وأن المقصـود بهـا هـو السـنة النبويـة المطهـرة. والآيـات في هـذا المعنـى كثـيرة، كلهـا تبطـل افـتراء هـذه الفرقـة، وتخـرس ألسـنة الجاحديـن، إن كانـوا حقـا بالقـرآن متمسـكين، ولحججـه خاضعـين.

وإذا حاججتهـم بكتـاب اللـه وضيقـت عليهـم مسـالك التكذيـب للسـنة وقلـت لهـم: ألم يقـل اللـه تعـالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ (النجـم: 3-4). أفتزعمـون أنـه ينطـق عـن الهـوى حتـى سـولت لكـم أنفسـكم أن تطرحـوا سـنته خلـف أظهركـم؟ أجابـوا بمـا ينبـئ عـن عمـى البصـيرة، وقالـوا: كلام اللـه في الآيـة حـق، وإنمـا المـراد بالضمـير المنفصـل (هـو) في الآيـة القـرآنَ الكريـمَ فقـط،

40). مجلة إشاعة القرآن، (العدد الثالث، سنة 1902م): (ص 49)، ومجلة إشاعة السنة،(عدد 19/286، سنة 1902م).

41). مجلة إشاعة السنة: (عدد 19/ 219).

42). انظر: مجلة البحوث الإسلامية، العدد 28/ من رجب إلى شوال سنة 1410هـ، بحث: أئمة الحديث والفقه واختلاف ميولهم: (ص 301)

فإنه وحي يوحى، ولا نماري في ذلك.

فيجاب عن ذلك بأن تركيب الآية لغويا لا يفيد حصر مرجع الضمير على القرآن فقط، فمن أين جئتم بالحصر، حتى أخرجتم السنة، من منطوق النص؟. فالضمير في الآية يرجع على المنطوق الذي ينطق به الحبيب المصطفى ﷺ، ويكون المراد بالآية، وما ينطق محمد ﷺ عن الهوى، إن هو أي منطوقه إلا وحي يوحى.

فإذا تقرر هذا، فقد نطق عليه السلام بالكتاب، ونطق بالحكمة التي هي السنة المطهرة، ويؤكد هذا المعنى ما أخرجه أحمد في مسنده، بإسناد صحيح عن عمرو بن شُعيب عن أبيه عن جده عبد الله بن عمرو بن العاصي، قال: «قلت: يا رسول الله، إني أسمع منك أشياءَ، أفأكْتبها؟، قال: نعم، قلت: في الغضب والرضا؟، قال: نعم، فإني لا اقول فيهما إلا حَقًا»(43). فكل منطوقه عليه السلام في التشريع وحي وحق، فهل بعد هذا البيان إلا العمى والضلال؟ ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ (الحج: 46).

ثم يأتي بعد هؤلاء في جسامة الافتراء على السنة، الشيعةُ الروافض، وهم وإن كانوا أتوا بما لم يسبقهم إليه أحد من طوائف المسلمين، في مسائل الاعتقاد، والأحكام، غير أنهم يزعمون اتباع السنة إجمالا، ويرون أن السنة النبوية حجةٌ في الأحكام، ويقصدون بذلك سنة المعصوم، وما جاء عن آل بيته ﷺ، دون غيرهم من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، وذلك راجع لمذهبهم الفاسد في تعظيم آل البيت عليهم السلام وغلوهم في حبهم حتى خرجوا به عن حد الاعتدال، ولطعنهم في أغلب الصحابة إلا نفرا منهم، وهم: سلمان الفارسي، وأبو ذر الغفاري، والمقداد بن الأسود، وعمار بن ياسر، وأبو ساسان الأنصاري، وحذيفة بن اليمان، وأبو عمرة.

ومن أصولهم التي نقلها عنهم شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «أن النبي ﷺ نص على عَليّ نصا قاطعا للعذر، وأنه إمام معصوم ومن خالفه كفر، وأن المهاجرين والأنصار كتموا النص، وكفروا بالإمام المعصوم، واتبعوا أهواءهم، وبدلوا الدين، وغيروا الشريعة، وظلموا واعتدوا، بل كفروا إلا نفرا قليلا: بضعة عشر أو أكثر، ثم يقولون: إن أبا بكر وعمر ونحوهما مازالا منافقين. وقد يقولون: بل آمنوا ثم كفروا. وأكثرهم يكفر من خالف قولهم، ويسمون أنفسهم المؤمنين، ومن خالفهم كفارا، ويجعلون مدائن الإسلام التي لا تظهر فيها أقوالهم دار ردة أسوأ حالا من مدائن المشركين والنصارى، ولهذا يوالون اليهود والنصارى والمشركين على بعض جمهور المسلمين»(44).

ويقول شيخهم المفيد في كتابه (أوائل المقالات): «واتفقت الإمامية، والزيدية، والخوارج، على أن الناكثين والقاسطين: من أهل البصرة، والشام، أجمعين كفار ضلال ملعونون بحربهم أمير المؤمنين، وأنهم بذلك في النار مخلدون»(45).

وبالطبع لا يمكن أن تحتج عليهم بالأحاديث الصحيحة الواردة في فضائل الصحابة؛ لأنها ساقطة لردة رواتها عندهم، فعامة الصحابة عند غلاة الشيعة الاثنا عشرية ارتدوا بعد موت النبي ﷺ إلا من ذكرت قبل قليل(46). وهذا جعلهم يرفضون كمًّا كبيرا من السنن الصحيحة؛ لأن رواتها هم من الصحابة الذين رفضهم أئمتهم، وكفّروهم بلا حجة، ولا مستند شرعي صحيح.

قال أبو زرعة رحمه الله: «إذا رأيت الرجل ينتقص أحدا من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنه زنديق, وذلك أن الرسول ﷺ عندنا حق، والقرآن حق، وإنما أدى إلينا هذا القرآنَ والسننَ أصحابُ رسول الله صلى ﷺ، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى وهم زنادقة»(47). فإذا سقط الصحابة وهم درع السنة بين الناس، وحاملوا لواء حفظها، وبيانها، ونقلها لمن بعدهم، سقطت بسقوطهم السنة، وضاع الدين، واستشرى الجهل، وتُقوّل على الله ورسوله ﷺ بلا علم.

المطلب الثاني: الاستهزاء بالسنة، تكذيب بالله وكفر برسوله ﷺ.

الاستهزاء بالسنة النبوية، وبصاحبها ﷺ، بدأ ببدء الوحي، وبدء الدعوة إلى الله تعالى، فلم تدخر قريش جهدا في الاستهزاء

43). أخرجه أحمد، في المسند، مسند عبد الله بن عمرو بن العاص، (رقم الحديث: 7020)، (ج6/ ص451)، قال المحقق أحمد شاكر: إسناده صحيح.

44). ابن تيمية، مجموع الفتاوى، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، (السعودية، المدينة النبوية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، 1416هـ/1995م): (ج3/ ص356).

45). المفيد، أوائل المقالات في المذاهب والمختارات، تقديم وتعليق: فضل الله الزنجاني، (تبريز، مكتبة حقيقت، ط2، 1371ه): (ص10).

46). انظر: مرتضى الحسيني، السبعة من السلف، (إيران: قم، مكتبة فيروز آبادي، ط2، 1341ه): (ص: 35-36).

47). الخطيب البغدادي، الكفاية في علم الرواية، تحقيق: أبو عبدالله السورقي وإبراهيم حمدي المدني، (السعودية: المدينة المنورة، المكتبة العلمية، دط): (ص49).

بالنبي ﷺ، كلما وجدوا لذلك سبيلا، لعلهم يصدون بذلك عوام الناس عن اتباع هديه عليه السلام، وهكذا فعل اليهود، وكذا المنافقون الذين كانوا يسكنون بين ظهراني المسلمين، ويظهرون الإسلام، ويبطنون الكفر والجحود والطغيان، وفيهم نزل قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ لَا تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُواْ مُجْرِمِينَ﴾ (التوبة: 65-66). عندما قال بعضهم مستهزئ برسول الله ﷺ وأصحابه: ما رأيت مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطونا، ولا أكذب ألسنا، ولا أجبن عند اللقاء. فدافع الله عن أوليائه، وفضح المنافقين، ولم يقبل اعتذارهم بأنهم إنما كانوا يخوضون في الكلام على سبيل المزح واللعب(48)، قال شيخ الإسلام: «فقد أخبر أنهم كفروا بعد إيمانهم مع قولهم: إنا تكلمنا بالكفر من غير اعتقاد له بل كنا نخوض ونلعب، وبين أن الاستهزاء بآيات الله كفر، ولا يكون هذا إلا ممن شرح صدره بهذا الكلام، ولو كان الإيمان في قلبه منعه أن يتكلم بهذا الكلام»(49).

فهذا حكم الله تعالى في كل من تسول له نفسه الاستهزاء بنبيه، أو دينه، يفضحه الله في الدنيا قبل الآخرة. مصداقا لقوله تعالى: ﴿إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ﴾ (الحجر: 95). وقد شاهدنا جميعا النهاية المأساوية لرسام الكاريكاتير السويدي (لارش فيلكس)، حيث لقي مصرعه في حادث مروري أدى إلى اشتعال السيارة عليه وعلى الضابطين اللذين يقومان بحمايته من غضب المسلمين، وكيف ظل يصرخ من حر النار التي تلفح جسده حتى هلك غير مأسوف عليه، ومن عجيب تلك الحادثة أن المارة كلما حاولوا إطفاء الحريق إلا ويزداد اشتعالا عليه، ليقضي الله أمرا كان مفعولا.

وهذا المطلب لم يعقد للحديث عن هؤلاء، فهم للتكذيب أقرب منهم للاستهزاء، كما أن الاستهزاء من مثلهم وارد عقلا، لعدائهم لله ولرسوله ﷺ، لكن أن يقع الاستهزاء، أو التعريض بالسنن الصحيحة ممن يشهد أن لا إله إلاّ الله وأنّ محمدا رسول الله، فهذا مما يكلُم القلب، ويدمي العين. وسأذكر بعض النماذج من استهزاء، أو تعريض شرذمة من المسلمين بسنة نبيهم، قديما وحديثا؛ إما جهلا منهم بعِظم الجرم، أو عن سبق إصرار قاصدين بذلك التنقيص من العلماء ورثة الأنبياء ونقلة الوحي، والحط من قدرهم، لكن في حقيقة الأمر هم بذلك إنما يهاجمون رسول الله ﷺ، فذاك كلامه، وتلك حكمته التي جاء بها من عند الله، ليبين بها كلام الله تعالى، وليتم بها الدين للعالمين.

روى الخطيب البغدادي بإسناده عن أبي يحيى زكريا بن يحيى الساجي قال: كنا نمشي في أزقة البصرة إلى باب بعض المحدثين فأسرعنا المشي، وكان معنا رجل ماجن متهم في دينه، فقال: ارفعوا أرجلكم عن أجنحة الملائكة لا تكسروها، كالمستهزئ، فما زال من موضعه حتى جفت رجلاه وسقط»(50). وكان قصد هذا الماجن الاستهزاء بحديث رسول الله ﷺ: «من سلك طريقا يبتغي فيه علما سلك الله به طريقا إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضاء لطالب العلم...»(51). فعجلت له العقوبة، وجُعل عبرة لمن كان معه، ومن جاء بعده.

نقل ابن خلكان قصة عجيبة، عمن يوثق به عنده، وعنه نقلها ابن كثير، أن رجلا ذُكر بحضرته حديث النبي ﷺ عن السواك، وفضله، فقال مستهزأ: والله ما أستاك إلّا من المخرج، فأخذ سواكا وتركه في دبره، فآلمه تلك الليلة، ثم مضى عليه تسعة أشهر وهو يشكو من ألم البطن والمخرج، ثم خرج من دبره حيوان صغير مثل الجرذ له، أنياب، والرجُلُ يقول: هذا الحيوان قتلني وقطّع أمعائي، فلم يلبث بعد ذلك أن مات متأثرا بجروحه.(52)

من عجيب قصص التعريض المعاصرة بالجناب النبوي الشريف التي عجل الله فيها العقوبة الدنيوية لصاحبها، ما حكاه الشيخ أبو الأشبال أحمد محمد شاكر عن والده رحمهما الله، أنه صلى الجمعة في أحد المساجد القريبة من قصر عابدين بصفته وكيل

48). انظر: الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، (السعودية، الدمام، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط1، 1422هـ/2001م): (ج11/ ص543).

49). مجموع الفتاوى: (ج7/ ص221).

50). الخطيب البغدادي، الرحلة في طلب الحديث، تحقيق: نور الدين عتر، (لبنان: بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1395ه): (ص85).

51). أخرجه الترمذي، في سننه، أبواب العلم، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة، (رقم الحديث: 2682)، (ج5/ص48). وصححه الألباني، في صحيح الجامع الصغير وزياداته، (رقم الحديث:6292)، (ج2/ ص1079).

52). انظر: ابن عماد العكري، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: محمود الأرناؤوط، (دمشق – بيروت، دار ابن كثير، ط1، 1406هـ/1986م): (ج7/ ص552). وابن كثير، البداية والنهاية، عبد الله بن عبد المحسن التركي، (القاهرة، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط1، 1418هـ/ 1997م، سنة النشر: 1424هـ / 2003م): (ج17/ ص470).

الأزهر سابقا، بحضور السلطان حسين، والأديب طه حسين، الذي استدعاه الملك بعد أن تقرر إرساله في بعثة إلى أروبا، وانتدبت الوزارة لخطبة الجمعة خطيبا فصيحا، فخانته فصاحته، وغلبه حب التعالي في المدح، والغلو فيه لتحصيل بعض متاع الدنيا الزائل، فقال في خطبته مثنيا على عطاء السلطان، ورِفقه بطه حسين: «جاءه الأعمى، فما عبس في وجهه، وما تولى»، فلما انتهت الصلاة وانصرف الملك، قام الشيخ محمد شاكر في الناس فأخبرهم أن صلاتهم باطلة، وأن عليهم أن يعيدوا الصلاة؛ لأن الإمام كفر بتعريضه بالنبي ﷺ، فأعادوها ظهرا. ثم انطلق الشيخ شاكر رحمه الله إلى قصر عابدين ورفع رسالة إلى الديوان ليطلب من السلطان إعادة صلاته، ثم تطورت القضية لمّا دخل فيها الدخلاء ووصلت إلى القضاء، -في قصة طويلة- الشاهد منها الذي يهمنا وفيه العبرة أن الشيخ أحمد ابنَ الشيخ محمد شاكر قال: «فأقسم بالله لقد رأيته بعيني رأسي، بعد بضع سنين، وبعد أن كان متعاليا متنفخا، مستعزا بمن لاذ بهم من العظماء والكبراء، رأيته مهينا ذليلا، خادما على باب مسجد من مساجد القاهرة، يتلقى نعال المصلين يحفظها، في ذلة وصغار، حتى خجلت أن يراني، وأنا أعرفه، وهو يعرفني، لا شفقة عليه، فما كان موضعا للشفقة، ولا شماتة فيه، فالرجل النبيل يسمو على الشماتة، ولكن لما رأيته من عبرة وموعظة»(53).

ومن وسائل الاستهزاء الهدامة: المقالات والرسوم الساخرة التي تنشر في المجلات والجرائد العربية، وفي

المقررات الدراسية التي تستهدف الجيل الناشئ؛ مثل المقال الذي نشرته (الجزيرة نت)، تُعرّض فيه بالنبي ﷺ حين تزوج بالسيدة عائشة رضي الله عنها وهي قاصر، واعتمدته بعض الدول العربية كوضعية تعليمية لأطفال المستويات الابتدائية، وفيه: «انتزعت عائشة من بين لعبها، وسلمت إلى رجل ينتمي لقبيلة والدها، لكنها لم تلتق به إلا أمام القاضي الذي أبرم عقد زواجهما»(54).

إلى غير ذلك من نماذج استهزاء العلمانيين والجهال، باللحية، والنقاب، والأضحية، والصيام، ومناسك الحج، ونظام الإرث، ونظام الزواج، والأذان ..الخ في سلسلة يرثها الفاجر عن الفاجر، إلى أن يجمع الله الخصوم فتبيض وجوه، وتسود وجوه.

53). أحمد شاكر، كلمة الحق، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (مصر، مكتبة السنة، دط): (ص من 152 إلى 153).

54). عن موقع الجزيرة نت (بتصرف): https://t.co/MgRRu0aDxr?amp=1

خـــــاتمة:

هـا قـد وصـل بنـا جـواد السـير إلى نهايـة البحـث، ومـا يـزال القلـم يحنـو رأسـه مدافعـا عـن سـنة الحبيـب المصطفـى ﷺ ، ولكـن قيـود المقـام أوقفـت القلـم عـن الاسترسـال، ولعـل فيـما جـاء مـن الاختصـار غنيـة عـن المباحـث الطـوال، وعـن كـثرة القيـل والقـال.

ومن أهم النتائج المستخلصة من البحث:

- إن السنة صنو القرآن، وحي الإله، وحكمة النبي ﷺ .
- إن السنة حجة عند المسلمين يجب العمل بها إجماعا، متواترها وآحادها، قطعيها، وظنيها.
- التكذيب بالسنة الصحيحة، تكذيب بالله تعالى، وكفر به.
- الطعن في الصحابة، هو طعن في السنة، فهم ورثة الوحي عن النبي ﷺ ، ونقَلَته.
- الذود عن الصحابة واجب شرعي كفائي على العلماء؛ لأن بسقوطهم ستسقط السنة، وتبطل
- الشريعة.
- التيـارات المعاديـة للسـنة، وإن اتفقـت عـلى التكذيـب بالسـنن الصحيحـة، والطعـن في حملتهـا، والتشـكيك في أسـانيدها، ومضامينهـا، فأهدافهـم مختلفـة، وسـبلهم شـتى، عـلى كل سـبيل شـيطان يدعـو إليـه. لهـذا يجـب تحديـد تلـك الأهـداف وحصرُهـا، والعملُ عـلى إبطالهـا وعـدمِ تحقيقهـا.
- الاستهزاء بالسنة الصحيحة، أو التعريضُ بها، لا يقل عن التكذيب الصريح، من حيث الحكمُ الشرعي، واستحقاقُ التعزير.
- إن اللـه تعـالى تكفـل بالدفـاع عـن نبيـه ﷺ ، لذلـك فليحـذر المسـتهزئون بالنبـي ﷺ ، وبسـنته الصحيحـة، مـن مكـر اللـه بهـم، في الدنيـا قبـل الآخـرة.
- الطعـن في السـنة يزيدهـا علـوا، ورفعـة، فيزيـد بذلـك المعتنقـون للإسـلام. ويذهـب المشـككون، والمكذبـون إلى مزابـل التاريـخ، فـلا يذكـرون إلا بالسـوء، والعـزة للـه ولرسـوله ﷺ والحمـد للـه.

توصيات:

مكـر الليـل والنهـار الـذي ينهجـه أعـداء الديـن في الداخـل والخـارج يتطلـب منـا وجـوب النهـوض بالديـن، كلٌّ حسـب تخصصـه، وأقـترح مـن أجـل ذلـك مـا يـلي:

- إعادة كتابة شروح السنة باللغة المعاصرة ليكون في متناول عموم المسلمين.
- إحـداث قنـوات تلفزيـة تُعنـى برفـع الشـبهات المحيطـة بالسـنة وبنبيهـا ﷺ ، تكـون مسـتقلة، وغـير ربحيـة، كي لا تتأثـر بالتقلبـات السـوقية والمزاجيـة لرجـال الأعـمال.
- تتبـع المقـررات الدراسـية في العـالم العـربي، واسـتخراج جميـع الوضعيـات التـي فيهـا تعريـض صريـح أو غـير صريـح بالسـنة النبويـة، أو بالنبـي ﷺ ، والجـواب عنهـا وتعميمهـا عـلى وسـائل التواصـل.
- إحـداث مسـابقات دوليـة كـبرى للتعريـف بالسـنة، وبحملتهـا، تكـون ذات قيمـة ماليـة مغريـة تعـادل مـا يكسـبه الشـباب في المسـابقات الغنائيـة، والرياضيـة، هـذا سـيجعل الشـباب يسـعون للتعـرف عـلى سـنتهم، ونبيهـم، وتكـون الجائـزة تأليفـا لهـم للثبـات عـلى النهـج القويـم.
- إحـداث برامـج أندرويـد، سـمعية، وبصريـة، وبأسـلوب مشـوق، للتعريـف بالنبـي، وبالسـنة، ومراحـل تدوينهـا، وكيفيـة وصولهـا إلينـا بيضـاء نقية .
- اسـتثمار أمـوال المحسـنين والغيوريـن عـلى السـنة في إحـداث جمعيـات دعويـة في كل قُطـر مـن أقطـار الأرض، يقـوم بهـا العلـماء وطلبـة العلـم الأكفـاء، لتكـون ملاذا لـكل مـن يبحـث عـن الحـق، بـدل مخاطـر البحـث في الشـبكات العنكبوتيـة التـي تجـرف عـوام المسـلمين إلى مواقـع تزيدهـم ضـلالا، وبعـدا عـن الحـق. واللـه أعلـم والحمـد للـه رب العالمـين.

لائحة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم (رواية حفص عن عاصم).
- ابن أبي عاصم، أحمد بن عمرو، كتاب السنة، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، (لبنان: بيروت، المكتب الإسلامي، ط1، 1400ه).
- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، الصارم المسلول على شاتم الرسول، تحقيق، محمد محي الدين عبد الحميد، (المملكة العربية السعودية، الحرس الوطني السعودي، دط)
- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، العقيدة الواسطية، تحقيق: أشرف بن عبد المقصود، (السعودية: الرياض، أضواء السلف،= ط2، 1420هـ / 1999م)
- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، مجموع الفتاوى، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، (السعودية، المدينة النبوية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، 1416هـ/1995م)
- ابن حزم، علي بن أحمد، الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق: أحمد محمد شاكر، (لبنان: بيروت، دار الآفاق الجديدة، دط)
- ابن حنبل، أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: أحمد شاكر، (مصر: القاهرة، دار الحديث، ط1، 1416ه/ 1995م).
- ابن خزيمة، محمد بن إسحاق، صحيح ابن خزيمة، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، (لبنان: بيروت، المكتب الإسلامي، دط).
- ابن عماد العكري، عبد الحي بن أحمد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: محمود الأرناؤوط، (دمشق - بيروت، دار ابن كثير، ط1، 1406هـ/1986م)
- ابن كثير، إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، عبد الله بن عبد المحسن التركي، (القاهرة، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1418هـ/1997م، سنة النشر: 1424هـ/ 2003م)
- ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، (مصر: مدينة نصر، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2، 1420هـ / 1999م)
- ابن ماجه، محمد بن يزيد، سنن ابن ماجه، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، (لبنان: بيروت، دار الرسالة العالمية، ط1، 1430هـ / 2009م).
- أبوداود، سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، (لبنان: ، صيدا - بيروت، المكتبة العصرية، دط).
- أحمد شاكر، أحمد بن محمد، كلمة الحق، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (مصر، مكتبة السنة، دط).
- الألباني، محمد ناصر الدين، بن نوح، صحيح الجامع الصغير وزياداته، (لبنان: بيروت، المكتب الإسلامي، دط).
- البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، (لبنان: بيروت، دار طوق النجاة، ط1، 1422ه).
- البربهاري، الحسن بن علي، شرح السنة، تحقيق: عبد الرحمان بن أحمد الجميزي، (الرياض، مكتبة دار المنهاج، ط1، 1426ه)
- البغوي، الحسين بن مسعود، شرح السنة، تحقيق: شعيب الأرنؤوط-محمد زهير الشاويش، (دمشق، بيروت، المكتب الإسلامي، ط2، 1403هـ / 1983م)
- البغوي، الحسين بن مسعود، معالم التنزيل في تفسير القرآن، تحقيق: محمد عبد الله النمر، وعثمان جمعة ضميرية، وسليمان مسلم الحرش،(مصر: مدينة نصر، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط4، 1417 هـ/1997م).
- الترمذي، محمد بن عيسى، سنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي و إبراهيم عطوة عوض، (مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط 2، 1395هـ/ 1975م).
- الجامي، محمد أمان الجامي، الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية في ضوء الإثبات والتنزيه، (السعودية: المدينة المنورة، المجلس العلمي بالجامعة الإسلامية، ط1، 1408ه)
- الحاكم، محمد بن عبد الله، المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، (لبنان: بيروت، دار الكتب العلمية، ط1،

1411هـ/1990م).

- الخطيب البغدادي، أحمد بن علي، الرحلة في طلب الحديث، تحقيق: نور الدين عتر، (لبنان: بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1395هـ)
- الخطيب البغدادي، أحمد بن علي، الكفاية في علم الرواية، تحقيق: أبو عبدالله السورقي وإبراهيم حمدي المدني، (السعودية: المدينة المنورة، المكتبة العلمية، دط)
- السبكي، علي بن عبد الكافي، السيف المسلول على من سب الرسول، تحقيق: إياد أحمد الغوج، (الأردن، عمان، دار الفتح، ط1، 1421هـ/2000م)
- السيوطي، عبد الرحمان بن أبي بكر، مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة، دت، (السعودية، الجامعة الإسلامية، ط3، 1409هـ/1989م).
- الشافعي، محمد بن إدريس، الرسالة، تحقيق: أحمد شاكر، (مصر: مكتبه الحلبي، ط1، 1358هـ/1940م): (ص 460).
- الشنقيطي، عبد الله بن إبراهيم، نظم: مراقي السعود لمبتغي الرقي والصعود، تحقيق: محمد ولد سيدي ولد حبيب الشنقيطي، (السعودية، دار المنارة للنشر والتوزيع، ط1، 1416هـ/1995م)
- الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، (السعودية، الدمام، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط1، 1422هـ/2001م)
- الغزالي، محمد السقا، فقه السيرة، (سوريا: دمشق، دار القلم، ط1، 1427هـ).
- القاضي عياض، عياض بن موسى، الشفا بتعريف حقوق المصطفى، دت، (عمان، دار الفيحاء، ط2، 1407هـ)
- مجلة إشاعة السنة،(عدد 19/286، سنة 1902م).
- مجلة إشاعة القرآن، (العدد الثالث، سنة 1902م)
- مرتضى الحسيني، السبعة من السلف، (إيران: قم، مكتبة فيروز آبادي، ط2، 1341هـ)
- مسلم، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، لبنان: بيروت، دار إحياء التراث العربي، دط).
- المفيد، محمد بن النعمان، أوائل المقالات في المذاهب والمختارات، تقديم وتعليق: فضل الله الزنجاني، (تبريز، مكتبة حقيقت، ط2، 1371هـ).
- موقع الجزيرة نت، https://t.co/MgRRu0aDxr?amp=1

البحث الثامن

مغالطات الحداثيين بين مزاعم نقد التراث وانكار حجية السنة النبوية

طه حميد حريش الفهداوي
أستاذ مساعد دكتور
مدير شعبة السنة النبوية / أوقاف الأنبار– العراق

Email: tahahameed090@gmail.com

الملخص

فقد يسعى الفكر الإصلاحي الحداثي لتقديم الأمثل حسب زعمه وينطلق من رؤية النظر والتأمل في الأشياء، ونقدها من أجل الوصول إلى حقيقتها في ممارسات متنوعة للنهوض بالواقع العلمي والمعرفي الذي تعاني منه المجتمعات بلون التجديد والتغلب على الماضي ومحاربة التقليد، من غير الاستنان بقيم أو ضوابط منهجية مما أدى الى خلط كبير بين الثوابت والمتغيرات، وبين الحق والباطل، وبين ما يدعو للسلام وبين ما يدعو الى التناحر والخصام فالفكر الحداثي كغيره من الأفكار التي تريد رسما جديدا للمجتمع وتنهض به نحو الازدهار، بأساليب مختلفة ومنها متعارضة فأحدثت تغييرا جوهريا على مستوى الدين والعقل والحياة يطال مفاصل الحياة كلها فكان من الضروري تمحيص هذه الرؤى والمناهج في ضوء المنهج العلمي الصحيح، ولا سيما أن الحياة لا تستقر الا بوفق نظم واخلاقيات يسير عليها الانسان ومن تلك الاخلاقيات التعاليم الشرعية التي بينها الرسول ﷺ إذ أنها وحي تفوق خيال الأنسان وقدراته العقلية اذا اخذنا بعين الاعتبار ضرورة المحافظة على المنهجية المعرفية والقيم العلمية والمبادئ الاسترشادية في ضوء الدين، التي أصبحت محل هدم وتشويه أمام النداءات الحداثية وشعاراتها العامة، والمطاطة، كالحرية، والعلموية وحقوق الإنسان ومن يتابع منهجية الحداثة يجد نداء التخلص من عقدة التقديس الذي جابهوا به السنة النبوية وعزلها عن صلوحية الاحتجاج والعمل والتطبيق من جهة أخرى وفق هيمنة تامة للعقل وجعله حاكما على القيم والمبادئ ومتسلطا على الدين والتراث مما أدى الى تمييع النصوص وتوسيع معانيها والانحراف في فهمها بحجة تقديم فهم جديد للدين بمعزل عن السنة النبوية وتقويض مناهج المعرفة التي رافقتها منذ نشوئها حتى استُكمِلَ تدوينها، بخلط في الانتقاد بين الأوضاع السيئة في المجتمع والنصوص الشرعية، الذي كان مدعاة التخلف والانحدار مما زاد الأمر تعقيداً.

Abstract:

The modernist reformist thought seeks to provide the optimum according to its claim and stems from the vision of looking and contemplating things, and criticizing them in order to reach their truth in various practices to advance the scientific and cognitive reality that societies suffer from in the color of renewal, overcoming the past and fighting imitation Without paying attention to values or methodological controls, which led to a great confusion between constants and variables, between right and wrong, and between what calls for peace and what calls for rivalry and strife. Modernist thought is like other ideas that want a new drawing of society and advance it towards prosperity . With different methods, including opposing ones, they brought about a fundamental change at the level of religion, reason and life, affecting all aspects of life. It was necessary to scrutinize these visions and approaches in the light of the correct scientific method, especially since life is not stable except in accordance with systems and ethics that man follows. mong those ethics are the legal teachings that the Messenger ﷺ showed, as they are a revelation that surpasses human imagination and mental abilities, if we take into account the need to preserve the epistemological methodology, scientific values and guiding principles in the light of religion, which has become the subject of demolition and distortion in front of modernist calls and its general and elastic slogans, such as freedom and scientism. and human rights Whoever follows the methodology of modernity diligently, the call to get rid of the complex of sanctification with which they confronted the Prophetic Sunnah and isolated it from the validity of protest, action and application on the other hand, according to the complete dominance of the mind and making it a ruler over values and principles and a ruler over religion and heritage Which led to the dilution of texts and the expansion of their meanings and deviation in their understanding under the pretext of presenting a new understanding of religion in isolation from the Prophetic Sunnah and undermining the curricula of knowledge that accompanied it since its inception until its codification was completed.

المقدمة

فما يزال الفكر الإصلاحي لدى الحداثيين يسعى لتقديم الأمثل لواقعه حسب رؤية مستوحاة من الآراء والمدارك العقلية مصبوغة بلون التجديد والتغلب على الماضي والتقليد، ولدية الرغبة الجامحة للتطلع نحو المستقبل من غير أن يستنَّ بقيم أو ضوابط منهجية وفي وقتنا الحاضر تبرز أهمية الفكر الإصلاحي بشكل كبير جداً، فقد حصل خلط كبير بين الثوابت والمتغيرات، وبين ما هو حق، وما هو باطل، وبين ما يدعو للسلام وبين ما يدعو الى التناحر والخصام.

أهمية الموضوع: تنطلق من النظر والتأمل في الأشياء، ونقدها من أجل الوصول إلى حقيقتها في ممارسات عدة للنهوض بالواقع العلمي والمعرفي الذي تعاني منه المجتمعات، والفكر الحداثي كغيره من الأفكار التي تريد رسما جديدا للمجتمع وتنهض به نحو الازدهار، غير أن الرؤى والأساليب مختلفة ومنها متعارضة في كيفية نقد التراث من اجل الواقع فأحدثت تغييرا جوهريا على مستوى الدين والعقل والحياة يطال مفاصل الحياة كلها فكان من الضروري تمحيص هذه الرؤى والمناهج في ضوء المنهج العلمي الصحيح، ولا سيما أن الحياة لا تستقر الا بوفق نظم واخلاقيات يسير عليها الانسان ومن تلك الاخلاقيات التعاليم الشرعية التي بينها الرسول ﷺ إذ أنها وحي تفوق خيال الأنسان وقدراته العقلية.

الهدف من هذا البحث: وهو اظهار الجوانب الإصلاحية المزعومة من قبل الحداثيين ودعواتهم المتكررة والمستمرة لنقد التراث والدين ومدى امكانية تحقيق التجديد المزعوم بما يلائم العصر والتخلص من الآثار السلبية للحياة التي انغمست في مستنقع الماضي وعقد التقديس حسب زعمهم من جهة وبيان مدى صلوحية السنة النبوية وحجيتها للعمل والتطبيق من جهة أخرى اذا اخذنا بعين الاعتبار ضرورة المحافظة على المنهجية المعرفية والقيم العلمية والمبادئ الاسترشادية في ضوء الدين، التي أصبحت محل هدم وتشويه أمام النداءات الحداثية وشعاراتها العامة، والمطاطة، كالحرية، والعلموية وحقوق الإنسان....الخ. إشكالية البحث: تعالج الخلل الحاصل من جعل العقل حاكما على القيم والمبادئ ومتسلطا على الدين والتراث ومحاولة تمييع النصوص وتوسيع معانيها والانحراف في فهمها من أجل تقديم فهم جديد للدين بمعزل عن السنة النبوية وتقويض مناهج المعرفة التي رافقت السنة النبوية منذ نشوئها حتى استُكمِلَ تدوينها، وهذا ما أوجد أشياء مناهضة لتلك المناهج ونقض الاحتجاج بها في تصور الحداثيين متذرعين بفكر شمولي له نظرته للكون والإنسان والحياة، من غير تبني هذا الفكر صراحة، يخلط في الانتقاد بين الأوضاع السيئة في المجتمع والنصوص الشرعية، ويجعلها سرَّ التخلف والانحدار مما زاد الأمر تعقيداً. فرضية البحث: تكمن وفق الأسئلة التالية: ما هو الفكر الحداثي؟ وما هي مزاعمه حول السنة النبوية؟ وكيف يمكن اثبات حجيتها أمام تلك المغالطات؟

خطة البحث والمعالجة: وللاجابة عن ذلك اقتضت خطة البحث أن يتكون من مقدمة وفيها أهمية الموضوع والعمل فيه، ومبحثين وخاتمة، فالمبحث الاول يضم : مقومات الفكر الحداثي ومزاعمه، وفي المبحث الثاني: ذكرت : مزاعم الحداثيين لتقويض حجية السنة النبوية ، ثم الخاتمة وفيها أهم النتائج والتوصيات، ومن الجدير بالذكر أنني اخرت بطاقة الكتاب الى قائمة المصادر والمراجع وعدم ذكرها في هامش التوثيق حتى لا تزدحم الهوامش، نظرا لضيق صفحات البحث والتقيد ضوابطها.

كلمات مفتاحية: فكر، مغالطة، حداثة، تراث، سنة نبوية.

المبحث الاول: مقومات الفكر الحداثي ومزاعمه

المطلب الأول: مفهوم الحداثة ونشأتها: يستحسن قبل الدخول في محاور البحث أن نعرف مفهوم الحداثة وكيف نشأت حتى تتضح معالم رؤيتهم حول السنة النبوية وكيف الرد عليها:

أولا: مفهوم الحداثة في اللغة والاصطلاح:

1 -الحداثة في اللغة: هي مصدر الفعل حَدَثَ، يحدثُ حدوثاً وحداثة، وأحدثه هو، فهو مُحْدَثٌ وحديث، واستحدثه: أول الشيء وابتدائه، والحديث: الجديد من الأشياء(1).

2 -في الاصطلاح: تختلف تعريفات الحداثة اختلافا كثيرا بسبب طبيعتها وتداخلها في جميع نواحي الحياة من جهة، وبسبب رؤية الداعين والمعارضين لها من جهة أخرى.

فمن تعريفات الحداثيين لها: هي امتداد للتحول من افتراض نقص أو غياب معرفي في الماضي، بنقل لفكرٍ أو معرفةٍ، من اللغة الأجنبية أو بالابتكار والإبداع(2) والانقطاع عما هو تقليدي، والشروع بالابتكار في حلقات أكثر حدة وحسماً من مظاهر التجديد (3) ضمن موقف معرفي يروم تغيير نظام الحياة، قائم على الإنسان، والمعرفة واكتشاف المجهول الذي لا ينتهي(4).

يراها المناوئون: انها اتجاه فكري خطر يقدم العقل على النقل، ويجعل العقل مصدراً من مصادر الدين ومُحَكَّماً في النصوص (5) يعتقد بأن التقدم العلمي، والثقافة المعاصرة تستلزم إعادة تأويل التعاليم الدينية التقليدية على ضوء المفاهيم الفلسفية والعلمية السائدة (6).

وقد يراها بعضهم مزيجا من أفكار المذاهب السابقة كالتنوير والتجديد والمعاصرة وان اختلف في التسميات والمنطلقات على خلاف وفوارق طفيفة بمدلولها الزمني والاتجاه والتطبيق كإيجاد ما لم يكن موجوداً من قبل ينطلق من جوهر عملية التغيير(7)، فيعود هذا التباين

---

1) ينظر: لسان العرب، 582/1، القاموس المحيط، 137/1.

2) الثابت والمتحول، أدونيس، 18/1.

3) مجلة الدستور، الاثنين 1990/5/8م ، محمد جاسم الموسوي، ص40.

4) مجلة المنتدى ع87، ربيع الأول 1411هـ أدونيس، ص6.

5) الحداثة والتراث، ص2 الاتجاهات العقلية الحديثة، ص17

6) العصرانيون، ص6 العصرانية في حياتنا الاجتماعية، ص20، والموسوعة الميسرة للأديان والمذاهب المعاصرة، الندوة العلمية للشباب الإسلامي، ص796/2

7) في قضايا الشعر العربي المعاصر، دراسات وشهادات، ص28 الحداثة في النقد الأدبي المعاصر، ص15 مجلة الأسبوع العربي 1988/9/26م، صبري حافظ، ص68

الـذي نواجهـه الى اختـلاف مفهـوم المصطلـح واختـلاف رؤيتـه ومنهجـه، لأن هـذه المصطلحـات ليسـت ألفاظـاً لغويـة وأوصافـاً لعلـم مـن العلـوم، وإنمـا هـي مصطلحـات تكمـن وراءهـا منظومـة حضاريـة تختلـف في مقدماتهـا ونتائجهـا عـن منظومتنـا الحضاريـة ونمطهـا الاجتماعـي (8).

ثانيا: السنة:

1 – في اللغـة: فهـي السـيرة والطريقـة حسـنة كانـت أو قبيحـة(9)، ومنـه قولـه ﷺ: ((مـن سـنَّ في الاسـلام سُـنَّةً حسـنةً فلـه أجرهـا وأجـر مـن عمـل بهـا مـن بعـده مـن غـير أن ينقـص مـن أجورهـم شـيئاً، ....))(10).

2 – في الاصطـلاح: مـا أُثِـر عـن النَّبـيِّ ﷺ مـن قـولٍ أو فعـلٍ أو تقريـرٍ أو صفـةٍ، ويـراد بهـا : كل مـا أمـر بـه النبـي ﷺ ونهـى عنـه وندب إليـه قـولاً وفعـلاً مـما لم ينطـق بـه الكتـاب العزيـز، ولهـذا يقـال في أدلـة الـشرع: الكتـاب والسُّـنَّة(11)، وتطلـق في مقابلـة البدعـة، فيقـال: فـلان عـلى سُـنَّةٍ، إذا عمـل عـلى وفـق مـا عمـل عليـه النبـي ﷺ، ويقـال: فـلان عـلى بدعـةٍ، إذا عمـل عـلى خـلاف ذلـك(12)، وتشـمل مـا عمـل عليـه الصحابـة، لكونـه اتِّباعـاً لسُـنَّةٍ ثبتـت عندهـم لقولـه ﷺ: ((عليكـم بسـنَّتي وسـنَّةِ الخلفـاء الراشـدين المهديـين))(13)، وعنـد الأصوليـين: كل مـا صـدر عـن النَّبـي ﷺ مـن قـولٍ أو فعـلٍ أو تقريـرٍ مـما يصلـح أن يكـون دليـلاً لحكـمٍ شرعـي(14)، وعنـد الفقهـاء: مـا في فعلـه ثـوابٌ وفي تركـه ملامـةٌ وعتـابٌ لا عقـاب(15).

ثالثا: نشأة الحداثة :

لم تتحـدد سـنة نشـوء هـذه الحركـة الفكريـة الشـاملة، بالتحديـد الزمنـي المسـتقل، بسـبب امتـداد افـكار روادهـا والقطيعـة مـع المرجعيـة الدينيـة والتراثيـة كمعيـار ومصـدر وحيـد للحقيقـة، وأقـام مرجعـين بديلـين، العقـل والواقـع التاريخـي وكلاهـما إنسـاني، ومـن ثـم تطويـري (16)، فـيرى بعضهـم أن الحداثـة قديمـة النـشء منـذ زمـن صراع العهديـن الأمـوي والعبـاسي الـذي أحـدث تغيـيرا عـلى مسـتوى الفكـر والعقيـدة والفقـه وحتـى الأدب والفـن والشـعر ايضـا(17)، وقيـل تعـود إلى جماعـة (إخـوان الصفـا)، بـين منتصـف القـرن الثالـث الهجـري والرابـع الهجـري (18) والـذي يبـدو أن هنـاك عوامـل كثـيرة سـاعدت في ظهـور هـذا الاتجـاه تبعـا لتغـير الظـروف والاحـوال سـواء كانـت سياسـية أو اقتصاديـة أو اجتماعيـة أو فكريـة ظلـت تسـير شـيئا فشـيئا وان كانـت بدايتهـا منصبـة حـول موضـوع الأدب فأصـل الحداثـة، نشـأت في الغـرب، بعدمـا كانـت السـيطرة لرجـال الكنيسـة، باعتبـار كلامهـم وحيـاً لا تجـوز مخالفتـه، وان الخـروج عليهـم يعـد كفـراً وإلحـاداً، وقـد فتـش العلـماء حـول ذلـك فوجـدوا أن هـذه الآراء خرافـة لا يقرهـا العقـل وأعلنـوا ثورتهـم عليهـا وقـد بـدأ هـذا الـصراع منـذ أيـام (كوبرنيـق 1473-1543م) فـأدت هـذه إلى ظهـور فكـر التنويـر والحداثـة(19) فهـذه إرهاصـات لحركـة الإصـلاح الدينـي في أوربـا التـي قادهـا (مارتـن لوثر)عـام (1517م)، وتبلـورت أبعادهـا الفلسـفية والسياسـية في القرنـين (17و18)(20) وبعـد عـصر النهضـة، جـاءت الثـورة الفرنسـية في سـنة (1789م)، فأصبحـت حـدا فاصـلاً، ثـم جـاء القـرن التاسـع عـشر، ظهـرت الفلسـفة الوضعيـة، التـي نـادي بهـا (كونـت) سـنة (1857م)، ثـم تـلاه (داروين) وظهـرت النظريـة النسـبية في أوائـل القـرن العشريـن (1905م) (21) وأمـا في العـالم العـربي، فقـد نشـأت إبـان الحملـة الفرنسـية بقيـادة (نابليـون بونابـرت)، عـلى مـصر في أواخـر القـرن الثامـن عـشر (1213هـ- 1798م) فكانـت (بدايـة فكـرة الاسـتقلال عـن المـوروث)(22) واسـتمرت في عهـد محمـد عـلي، وابنـه عبـاس، وطـوال عـصر سـعيد، وعـصر إسـماعيل ثـم فتـح قنـاة السـويس التـي قربـت المسـافات الماديـة والأدبيـة والاجتماعيـة مـع مـصر(23) ووجـود الاتصـال الأوربي مـصر إلى الشـام ، عـن طريـق المبشريـن الغربيـين الذيـن

---

8) المذهبية الإسلامية والتغير الحضاري، د.محسن عبد الحميد، ص114.
9) لسان العرب، مادة سنن 226/13.
10) رواه مسلم في كتاب العلم من صحيحه ح: 15.
11) فتح المغيث للسخاوي 1 / 6 شرح الكوكب المنير 2 / 159
12) الموافقات للشاطبي 4 / 3
13) رواه أبو داود في السنة من سننه 5 / 13 ، رقم 4607، وأبو عيسى الترمذي في كتاب العلم من جامعه 5 / 44 برقم: 2676 وقال: «حسن صحيح
14) شرح الكوكب المنير 2 / 159 ، ومذكرة أصول الفقه للأمين الشنقيطي ص: 95.
15) أنيس الفقهاء ص: 106.
16) الحداثة في ميزان الإسلام، عوض القرني، ص18، 19.
17) الثابت والمتحول، 10,9/3.
18) ينظر: إخوان الصفا رواد التنوير في الفكر العربي، ص21,8,7.
19) ينظر: فلسفة التنوير، من ص13 _ 16.
20) ينظر: صحيفة الحوار المتمدن، العدد1780-2006/12/30 مقدمة في تطور الفكر الغربي والحداثة، ص12.
21) ينظر: الحداثة في ميزان الإسلام، ص11 أزهار الشر، شارل بودلير، ص19-22 الموسوعة العربية الميسرة، 426/1.
22) ينظر: أزمة الفكر الإسلامي المعاصر، ص62.
23) ينظر: الأدب العربي المعاصر في مصر، ص11-29 .

قدموا إلى بلاد الشام في أواخر القرن الثامن عشر الميلادي، (البروتستانت)، واليسوعيون الفرنسيون (الكاثوليك)، فأكثروا من بناء المستشفيات والمدارس واتخذوا العربية لغة في التعليم وأسسوا جمعية (العثمانيون الجدد) في عام (1865م)(24) وفي الربع الأخير من القرن التاسع عشر زار (جمال الدين الأفغاني) مصر سنة (1871م)، والتف حوله الشيخ (محمد عبده) وكثرت الصحف مثل: جريدة الوطن، ومصر، وغيرها، وبعد ذلك، وفي عهد (توفيق) حدثت ثورة (عرابي) سنة (1882م)، فحاول الانكليز نشر ثقافتهم في مصر، مرة عن طريق البعثات إلى انكلترا، ومرة بجعل لغتهم هي لغة التعليم، وتدرجت مصر بعد ذلك في الاضطرابات، فكان تصريح (28فبراير سنة1922م) من قبل الانكليز، ثم معاهدة سنة(1936م)، ثم كانت ثورة الجيش التي أنهت الاحتلال بشكل كامل(25) ثم عقبهم (خليل مطران) ت (1949م)، صاحب جريدة الأهرام والذي أُطلق عليه (رائد حركة التجديد)(26)، الذي مهد لنشأة (جماعة الديوان)، والتي يمثلها عباس محمود العقاد (1889-1964م)، وعبد الرحمن شكري (1886-1958م)، وإبراهيم المازني (1890-1949م) (27)، ثم ظهرت جمعية (أبوللو) التي أسسها (أحمد زكي أبو شادي 1892-1955م)، وأسس (مجلة أبوللو) في أيلول سنة (1932م) (28) ثم ظهرت (عصبة العشرة) في لبنان ثم أُسست مجلة (الآداب) (29)، وفي المغرب العربي، بدأ ذلك مع الناصري، والشابي، والحليوي، ورغبتهم في التجديد وكانت فترة الستينات من القرن العشرين، هي الفترة التي شهدت انتشاراً كبيراً لها في المغرب، أو تونس، أو الجزائر (30)، وفي الجزيرة العربية، (السعودية والبحرين واليمن) بدأت مع فكر محمد حسن عواد (1914-1980م)، وحمزة شحاته (1908-1970م)، وأحمد قنديل (1913-1979م) وغيرهم (31) وفي العراق، بدات متمثلة ب(جميل صدقي الزهاوي) ت (1936م)، و(معروف الرصافي) ت (1945م) مما عرف ب(الثورة على القيم الاجتماعية والسياسية والفنية)(32) وتبلور على يد الشاعر العراقي بدر شاكر السياب (1926-1964م)، ثم جاءت الترجمة من اللغات الأجنبية، ووصول الأدب المهجري، وطبع بعض دواوين ذلك الأدب، ومجيء(أمين الريحاني) إلى العراق متأثراً بالشاعر الأمريكي (ولت وتمن) (33) وفي منتصف الخمسينات تقريباً- كان الإعلان الرسمي عن بداية الحداثة باسمها المعلن(34).

المطلب الثاني: مصادر الفكر الحداثي وأسباب مغالطاتهم: فقد تبينت نشأت الحداثة وما طرأ عليها من منعطفات وتقلبات كثيرة اذ أن هذه المنهجية لم تكن مستقلة ولم تؤسس على أصول ثابتة وبالأحرى لم تكن لها قواعد وضوابط تجاه علم معين أو بحث خاص وانما تتنقل بين العلوم ونواحي الحياة تبعا لآراء زعمائها وهذا ما جعلها عارمة المنهج متخبطة الرؤية وفيما يلي بعض المنطلقات التي ساروا عليها واوقعتهم في دوامة التيه والانحراف:

- الإتيان بالجديد والتحكيم المطلق للعقل، المتصف ب(الإنسانية) لأن الإنسان مركز الكون كما يزعمون (35)، وهذا قصور واضح لأن الانسان مهما اوتي من قوة وعلم يبقى عاجزا عن فهم بعض الحقائق التي تفوق قدراته العقلية.
- الاعتماد على منهج (البنيوية)، في قراءتهم للنصوص، ويبنون آراءهم وفق ذلك، الذي يعتمد على العمليات الفكرية، من ناحية البناء النفسي، واللغوي (36).
- عدم وضوح مناهجهم بسبب عدم معرفة ما يريدون هم وفي أي مجال يتكلمون فتارة ينتسبون الى الفلسفة، وتارة الى الأدب وتارة الى نقد التراث وغيرها متذرعين باختلاف الرؤية(37).

---

24) ينظر: الأدب العربي بين الحداثة والمعاصرة، ص26 حركة التنوير العربية، ص11

25) ينظر: الأدب العربي المعاصر في مصر، من ص11-29.

26) ينظر: الحداثة في النقد الأدبي المعاصر، ص28 الدليل الأدبي- خلاصات وخصائص عصور وأدباء، 111/2

27) ينظر: القديم والجديد في الشعر العربي الحديث، ص77 والتجديد في الشعر الحديث بواعثه النفسية وجذوره الفكرية، ص41,40.

28) ينظر: الثابت والمتحول، 109/3وجماعة أبوللو وأثرها في الشعر الحديث، ص315 معارك أدبية قديمة ومعاصرة، ص206

29) ينظر: معارك أدبية قديمة ومعاصرة، ص208، وكتاب: إلياس أبو شبكة حياته وشعره، رزوق فرج رزوق، ص113 شعرنا الحديث إلى أين، ص42,41,38، وفي الشعر والنقد، منيف موسى، ص189 مجلة الآداب، ع1، يناير 1953م ص2,1

30) قول في النقد وحداثة الأدب، يوسف عز الدين، ص35 تلاقي الأطراف، قراءة أولى في نماذج من أدب المغرب العربي الكبير عبد العزيز المقالح، ص106

31) ينظر: نبت الصمت دراسة في الشعر السعودي المعاصر، ص40 قضايا الشعر الحديث، ص347 وثرثرات في شتاء الأدب العربي، ص11

32) الشعر العراقي الحديث مرحلة وتطور، جلال خياط، ص53 الشعر العربي الحديث في العراق من (1920-1958م)، عباس توفيق، ص26

33) ينظر: بدر شاكر السياب، حياته وشعره، ص22، وبدر شاكر السياب رائد الشعر العربي الحديث، ص23 التجديد في الشعر الحديث ، ص156

34) حركة الحداثة في الشعر العربي المعاصر، ص63 (الحداثة في الشعر) ص81,80

35) ينظر: قضايا وشهادات 102/2

36) مجلة الفيصل ع158، شعبان 1410هـ عبد الفتاح الديدي، ص53. مجلة الفيصل، ع47، 1410هـ صلاح عبد الصبور، ص59

37) جدلية الخفاء والتجلي، دراسات بنيوية في الشعر، كمال أبو ديب، ص7، 8 صحيفة الندوة ع26،9452/7/1410هـ

- إشاعة الشك والقلق تجاه الثوابت والأصول والثورة عليها وان كانت حقيقية رصينة وتحويلها إلى فكر جدلي شمولي متسائل، يترعرع في مناخ الرؤية المعقدة، المتقصية، الموضوعية، والشمولية والجذرية في آن واحد (38).
- الدعوة الى إعادة كتابة القارئ للنص، أو ما يسمى بـ(النص المفتوح)، أو (موت المؤلف)، بمعنى ان النص الواحد يمكن أن يفهم بوجوه مختلفة ومتعددة بعيداً عن مراد قائله، وهذا خطر جدا لانه يتيح لكل قارئ أن يفسر النص على هواه، دون التفرقة بين نص شرعي وغير الشرعي(39).
- تمكين الخطاب الديني من استعادة الأرض التي فقدها-حسب زعمهم-عندما لم يستطع التنويريون أن ينقطعوا عن السلفيين، بإنتاج وعي تأريخي علمي بالنصوص الدينية ذاتها (40).
- التوسع في مصطلح (الإبداع)، والدعوة الى خلق جديدٍ، والخروج عما هو مألوف وغريزي وسائد، وتمرد عليه، أو تجاوز له، وسموٌّ به القدرة على تركيب نص مغاير، يخترق الجاهز المغلق المستبد(41).
- يجعلون التشبث بالقيم الماضية المستنفذة، يؤدي إلى السهولة والتكرار والآلية والرتابة وضمور الوعي، وانعدام الدهشة، عداوة للتجديد(42)، ويزعمون أن مصدر القيم ليس غيبياً، وإنما هو إنساني، وهذا ما يتناقض مع الموقف المعرفي الإسلامي بدون تأويل جديد، أو قراءة جديدة له (43).
- الدعوة الى قول المجهول وما لم يعرفه الموروث، وعدم نهائية المعرفة، حسب معيار جديد في كونه مليئاً لا يستنفذ له طاقة الخروج على الماضي من جهة، وطاقة احتضان المستقبل من جهة ثانية (44).
- يستعملون باستمرار مفاهيما وأفكاراً من حقول أخرى كثيرة من أجل الهيمنة كاستعمال مصطلحات الألسنية، الفلسفة، علم الإنسان، التحليل النفسي، الماركسية (45).
- انتحال الفكر الباطني، الذي يجعل للنص ظاهراً وباطناً، فالظاهر ما يفهم من النص، والباطن ما يفهمه الباطني، لأن النص تراث قائم بذاته، له مفاهيم مختلفة باختلاف إدراكات الناس، وهذا يوجد التلاعب بالنصوص(46).
- إيجاد قضايا داخل العلوم لا تبت لها بصلة كي تتصادم مفهومياتها كالتفرقة بين الإسلام، والإسلام الدولة وأن انتقاد الثاني لا يعني الكفر بالأول أو الخروج عليه والتفرقة بين ما هو من الإسلام أصلاً، وما نسب اليه(47).
- تقنين القواعد العامة والثوابت فالإسلام، الذي يتعبد به المسلمون اليوم -كما يقولون- ليس هو إسلام الله والرسول، ولكنه إسلام المذاهب التي وضعت منذ أكثر من إلف عام فللدين أصولاً وقواعد ثابتة- وهي قليلة جداً - والباقي يكون لكل أناس في زمانهم ومكانهم النظر فيه، وفهمه، وتطبيقه، وفق ما يقتضيه واقعهم (48).
- يزعمون أن العلاقة بين اللفظ والمعنى ليست إلزاماً إجبارياً، فاللفظ يستطيع أن يكون إشارة حرة، تبحث دائماً عن معنى، وقد يستطيع القارئ أن يمنحها معناً جديداً لم يكن لها من قبل(49).
- ليس لهم تخصص دقيق ومعرفة بالأصول العلمية ومنهجية تلك العلوم بل يتطفلون عليها بحجة تجديدها فصاحب الأدب يخوض في نصوص القرآن والحديث وصاحب الجرائد يروم اصلاح العلوم الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، والفنية(50).

38) جدلية الخفاء والتجلي، دراسات بنيوية في الشعر، كمال أبو ديب، ص7، 8 النظرية والنقد بعد البنيوية، جوناثان كولر، ص38

39) ينظر:نظرية البنائية في النقد الأدبي، صلاح فضل، ص334 الموقف من الحداثة ومسائل أخرى، د.عبد الله الغذامي، ص87

40) قضايا وشهادات،كتاب ثقافي دوري،هيئة التحرير: عبد الرحمن منيف،وجابر عصفور وآخرون،386/2.

41) التراث والحداثة، دراسات ومناقشات، ص 126، حداثة السؤال بخصوص الحداثة العربية في الشعر والثقافة، ص11 أسئلة الشعر في حركة الخلق ص227

42) مجلة فصول مجلد 4، ع4، 1984م، إدوارد الخراط، ص57، 58. مقدمة للشعر العربي، ص101

43) مجلة المنتدى ع87، ربيع الأول 1411هـ أدونيس، ص6.

44) الثابت والمتحول، أدونيس، 18/1 مجلة مواقف ع27، عام 1974م، حليم جرداق، ص17 مقدمة للشعر العربي، أدونيس، ص 99،100

45) النظرية والنقد بعد البنيوية، ص19 الحداثة مناقشة هادئة لقضية ساخنة، محمد خضر عريف، ص67

46) صحيفة الندوة ع 9452، 26-7-1410هـ ، عبد الرحمن حبنكة الميداني، ص15.

47) قبل السقوط، د.فرج فودة، ص13، 14. الحجاب، جمال البنا، ص85

48) قبل السقوط، د.فرج فودة، ص13، 14 الحجاب، جمال البنا، ص85

49) ينظر: النقد الأدبي الحديث، محمد غنيمي هلال، ص289. الموقف من الحداثة ومسائل أخرى، ص66.

50) ينظر: فاتحة لنهايات القرن، أدونيس، ص 321 الحداثة في الشعر، يوسف الخال، ص15.

- إشاعة الفوضى في العلوم والمناهج وتشويه النصوص وتضليل العقول باستعمال الفاظ مطاطة ومصطلحات غامضة بانهالم تعد محصورة ولا قابلة للحصر(51) واتخاذ الأدب شعارا للدخول الى شتى العلوم والطعن فيها ويستمرون على هذا إلى أن تتهيأ النفوس لتقبل الطرق المباشر لتلك النواحي(52).
- رفع شعارات رنانة من اجل الوصول الى أهدافهم وتتحقق لهم المقبولية عند الناس كالنهضة والحرية والتجديد والتقدم والازدهار محملين التراث والقيم وجعل الدين سبب الانتكاس وتندني الواقع والتخلف وإن مسألة العقيدة متروكة بين الإنسان وربه (53).
- قراءة التاريخ بصورة جديدة، (المنهجية العكسية)، انطلاقاً من الحاضر للوصول إلى الماضي وفهمه بمقاييس الحاضر كالفصل بين القرآن (النص الأول)، وبين تفاسيره وهو ما يسميه (النص الثاني) لفتح النص الأول على آفاق العالم الحديث (54).
- اقحام (الموروث) في تصورات باطلة وتفسيرات غريبة لتشويه النص وتحويله الى قضية كما زعم الغذامي أن المرأة العربية مظلومة في الذهن العربي منذ الجاهلية حتى اليوم، بسبب بعض النصوص ك(خير الكلام ما كان لفظه فحلاً ومعناه بكراً) (55).
- خلط المصطلحات وتفسيرها بغير ما سيقت له والعدول عن الحقائق الثابتة الى التأويل البعيد دون مسوغ كما جاء في أقوال جمال البنأ وغيره(56).
- تقديس العقل وجعله مرجعية في الحكم على الأمور وتفسيرها فأصبح هو الفيصل في جميع الأشياء، فما كان موافقاً له يُقبل وما كان مخالفاً له لا يقبل(57).
- تبني شبهات قديمة واقتباسها وطرحها بشكل جديد كالعبث بمصادر المعرفة وعدم اعتبار العقل أو الدين مصدراً بل العبرة بالتجربة فقط(58) المقتبس من(المعتزلة) الذين حكّموا العقل تحكيمًا مطلقاً، وردوا النقل الذي يخالفه(59).
- مزاعمهم الإصلاحية مبنية على الخلط، والموالاة والتعايش مع الاستعلاء الاستعماري في ديار المسلمين، فاوقعتهم في المزالق وحرفت المناهج العلمية واجهضت حركة النهضة الحديثة، وجعلتها خرقاً، تؤتى من قبله الأمة في دينها وقيمها وحضارتها (60).
- رفض القديم الذي يخالف مذهبهم ويقبلون الذي يوافقه ويرفضون الجديد الذي يخالف مذهبهم ويقبلون الذي يوافقه فيلبسون ما يخالفهم من الأفكار السابقة ثوب القديم، ويلبسون ما يوافقهم من الأفكار الحديثة ثوب الجديد، ثم يدْعون لقبول الجديد(61).
- يعتقد الحداثيون بوجوب التحول والتطور المستمر للفكر والأدب، وكسر الجمود الذهني والعقلي، الذي يحشو أفئدة الناس موروثاً لا فائدة منه وإيجاد لغة قابلة للتفاعل الداخلي مع العصر بإيحائية مستحدثة (62).
- تقديم الفكر الحداثي بديلا للفكر المتطرف، والأصولي أو المتشدد أو....الخ، لإصلاح الدين الإسلامي انطلاقاً من تجربة النقد الديني في التقليد المسيحي، وتطبيق أدوات ومناهج العلوم الإنسانية (63).
- انبهار الشعوب الإسلامية بالغرب، وذلك من واقع مرير تعيشه، كونها شعوباً مغلوبة من قبل الغرب، والمغلوب مولع أبداً بالإقتداء بالغالب، واعتقاد الكمال له وقد ظهر في عقلية المهاجرين وشعر المهجر(64).

---

51) زمن الشعر ص76. حوار المشرق والمغرب، حسن حنفي ومحمد عابد الجابري وآخرون، ص 70 مدخل إلى الشعر العربي الحديث، نذير العظمة، ص95،96

52) ينظر: الحداثة في ميزان الإسلام من ص35-52، وكذلك مقدمة الكتاب، وكتاب الحداثة والتراث، من ص2-4.

53) مستقبل الثقافة في مصر، د.طه حسين، ص39 التراث والحداثة- دراسات ومناقشات ص15-26 مجلة السراج ع13 رجب 1413هـ ص 32

54) صحيفة (المسلمون) ع1412/4/3524,25هـ ص9. ندوة مواقف، الإسلام والحداثة، ص298

55) ينظر: المرأة واللغة د.عبد الله الغذامي، من ص7 الأمثال الشعبية في نجد، عبد الكريم الجهيمان، 59/2. الإسلام والحداثة، ص298

56) الحجاب ص91 كلا ثم كلا كلا لفقهاء التقليد كلا لأدعياء التنوير جمال البنا، من ص62.

57) مجلة قضايا إسلامية معاصرة، السنة الرابعة عشر، ع43-44 /صيف وخريف2010م1431-هـ مصطفى مليكان، ص43،44العصرانيون ص204.

58) ينظر: المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف المسلم منها، ص 626،627،628

59) ينظر: العصرانيون، ص294،368. المذاهب التوحيدية والفلسفات المعاصرة، محمد سعيد رمضان البوطي، من ص70

60) جذور الانحراف في الفكر الإسلامي الحديث، جمال سلطان، ص66 التجديد في الفكر الإسلامي، د.عدنان محمد إمامة، من ص364-369،

61) حداثة السؤال، بخصوص الحداثة العربية في الشعر والثقافة، ص140 نقد الوعي النقدي في تجربة الشعر العربي المعاصر، محمد الأسعد، ص31

62) مجلة الفيصل ع9 ربيع الأول 1398هـ عبد الحميد جيده، ص32 فاتحة لنهايات القرن، ص321 دراسات نقدية في ضوء المنهج الواقعي، ص294

63)عالم ما بعد 11سبتمبر 2001_الإشكاليات الفكرية والإستراتيجية، د.السيد ولد أباه، ص104.

64) ينظر: الإسلام بين التنوير والتزوير، ص39، أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الأمريكية، جورج صيدح، ص49 التجديد في الشعر الحديث ، ص156

- تبرير الواقع بالفكر، واستبدال (اسلامية الدولة) بـ(العلمانية)، وفك الارتباط بين (الحكومة) و(الشريعة)... بين(الدولة) و(الدين)(65) وإعمام الأخطاء ومنهم لا يروى أن في الإسلام أموراً تتغير بتغير الزمن(66) وان ربط الأحكام بالدين يُفقِدها التسامح، وتكون غير قابلة للنقد، خصوصاً في وقت الأزمات (67).
- الدعوة إلى العامية وإحلالها محل اللغة العربية الفصيحة، بحجة أن اللغة العربية صعبة، وقديمة، وفيها من الكلمات الشاذة التي لا تضبطها قاعدة (68).

المبحث الثاني: مزاعم الحداثيين لتقويض حجية السنة النبوية

المطلب الأول: تناقضات الحداثيين في عدم الاحتجاج بالسنة النبوية: تختلف محاولات الحداثيين حول ابعاد السنة النبوية عن القرآن الكريم بصور مختلفة لتحويل الدين الى رأي حسب ما يراه كل ناقد من هذه الصور والأقاويل:

السبب الأول: السُنَّة لا داعي لها لأن القرآن موجود فالقرآن بيَّن كل شيء ولا حاجة الى السنة كي تبين شيئا آخر فوجودها ليس أمرا ضروريا ولا داعي له أصلا (69)، قال الله تعالى: ﴿ مَا فَرَطنَا فِي الكِتابِ من شيءٍ ﴾(70)، فيدل على أن القرآن قد حوى كل شيء من الشريعة وأحكامها(71) وهذا مردود لأن المقصود بقوله تعالى: ﴿ مَا فَرَطنَا فِي الكِتابِ﴾(72) ، هو اللوح المحفوظ وليس القرآن الكريم باتفاق المفسرين، وبدلالة سياق الآية نفسها (73)، وعلى فرض صحة ذلك ليس فيه ترك السنة ايضا لأن الاحكام نزلت في القرآن الكريم وهي تحتاج الى من بيان وتوضيح لتطبيقها عمليا بالتفصيل وهذا ما قام به النبي ﷺ ، وليس هناك تنافٍ بين القرآن مفصل لكل شيء وارسال الرسول ﷺ فوجود السنة إلى جنب القرآن الكريم دليل على تبليغ الرسول ﷺ لأمته جميع الاحكام والتعليمات بالتفصيل(74)،قال تعالى:]وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ[(75) فالصلاة مثلا فرضت في القرآن الكريم ولا نعرف عددها ولا هيئاتها ولم يقل: كما تجدون في القرآن، لأن القرآن قد خلا من تفصيل الأحكام، وقد بينها الرسول ﷺ فقال: «صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي»(76)، ولولاه لم نعرف كيف نصلي ولا نعرف بقية الاحكام ، فللسنة وظائف تؤكد ما جاء في القرآن أو تشرحه أو تجيء بحكم لم يذكر في القرآن الكريم وهذا المر مبسوط في كتب أصول الفقه(77)، فالسُنَّة هي التطبيق العملي الشارح والمفصّل للأحكام وهي ضرورة للقرآن ، وليست تزيّدًا عليه، وان عدم الاعتداد بها أو ترك تطبيقها يستدعي كل واحد أن يفهم الأحمام ويطبقها على ما يفهمه هو وليس كما أراد الله تعالى وتكور صور التطبيق مختلفة ومتفاوتة ولم يبق لمعنى الانضباط الشرعي والالتزام الموحد أي غرض ولهذا جاء التوجيه في القرآن نفسه على طاعته واتباعه (78):]يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ [(79)،]وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا[(80).

السبب الثاني: السنَّة جاءت زائدة على ما في القرآن: وهذا القول تنازع فيه أهل العلم قديما واستدل به من يجهل حقيقة السنة النبوية على ترك السُّنَّة وعدم الأخذ بها وقد تحقق أن السُّنَّة تأتي بجديد، وأن كل ما تأتي به يجب أن يُلتمس له أصل في القرآن

---

65) الإسلام بين التنوير والتزوير ص39 زمن الشعر، ص81 رأيهم في الإسلام، ص21

66) ينظر: الصحوة الإسلامية، من ص 68-78.

67) ندوة مواقف، الإسلام والحداثة، ص248 يغالطونك إذ يقولون، من ص33

68) ينظر: مجلة البحوث الإسلامية، 229/26 الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، 360/2 الفصحى لغة القران، ص166 تاريخ الدعوة إلى العامية ص18

69) شبهات القرآنيين حول السُنَّة النبوية ، محمود محمد مزروعة، حجية السُنَّة، ص384، دفاع عن السُنَّة، أبو شهبة، الموسوعة الإسلامية العامة ص501.

70) سورة الأنعام، الآية : 38.

71) ينظر السنة ومكانتها في التشريع ، ص 153، دراسات في الحديث النبوي، ص 31/1، الشبهات الثلاثون المثارة لانكار السنة ، 131 .

72) سورة الأنعام الآية : 38.

73) ينظر: جامع البيان 345/11، النكت والعيون 112/2 معالم التنزيل 112/2 الكشاف 21/2 مفاتح الغيب 12/ 525 القرطبي 420/6.

74) ينظر: الشبهات الثلاثون ص 131 شبهات القرآنيين حول السنة ص 42 الشبهات المثارة حول انكار السنة القرآنيون نموذجا ص 259 .

75) سورة النحل الآية: 44.

76) البخاري، كتاب الأذان باب الأذان للمسافر 128/1 برقم 631 .

77) ينظر: الرسالة 21، مختصر ابن للحام 74 اصول البزدوي 149/1 كشف الاسرار 359/2 الموافقات 419/4 اعلام الموقعين 307/2 البحر المحيط 12/6 .

78) ينظر: الشبهات الثلاثون ص 131 الشبهات المثارة حول انكار السنة القرآنيون نموذجا ص 259 شبهات حو السنة عبد الرزاق عفيفي ص 6.

79) سورة محمد الآية: 33.

80) سورة الحشر الآية: 7.

الكريم، مع التسليم بأن الأخذ بالسُّنَّة واجب (81)، لأن كل ما في السنَّة بيان له أصل في القرآن وليس زائدا عليه (82) كحديث»النهي عن الجمع بين المرأة وخالتها أو عمتها» (83) علل فيه ﷺ النهي، فقال: « إن تفعلوا ذلك تقطعوا أرحامكم «، فبيّن ﷺ أن هذا وسيلة لقطيعة الرحم وهذا التعليل جعله الاصوليون أصلا من الأصول، وان هذا الأصل من القرآن، وهو الذي بني عليه تحريم الأم، وتحريم الزواج بالبنت، وتحريم الزواج بالأخت، لأنه يتعارض فيه جانبان متقابلان؛ حقوقِ الزوجية للزوج، وحق أمه عليه، وتقطع الأرحام فلم يكن الحديث زائدا عن التقعيد الذي في القرآن، إنما هو استنباط منه فهو بيان لا تأصيل أما غيرهم فنظر إلى الظاهر، وأن هذا الحكم لم يكن موجودًا نصًّا، إذن هو زائد على ما في القرآن ولا مشاحة في الاصطلاح (84).

السبب الثالث: السنة ليست محفوظة مثل القرآن إذن هي غير ضرورية، (85)، فالقرآن هو المصدر الوحيد المحفوظ فلم يحرف ولم تدخله كلمة ولم تخرج منه كلمة، ولم يبدل، أما السُّنَّة فلم تحفظ مثله، فضاعت ألفاظها ورويت بالمعنى ودخلها الموضوعات، (86) قال الله تعالى: ﴿ إِنَّا نحنُ نزّلنا الذِّكرَ وإِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ ﴾ (87)، وهذا مردون: لأن حفظ الذكر لا يقتصر على حفظ القرآن وحده، بل المقصود به شرع الله ودينه الذي بعثه الى رسوله، وهو أعم من أن يكون قرآنا أو سنة أما قولهم: بأن الله تعالى لم يحفظ سنة نبيه ﷺ فإن كان المراد أنه تعالى لم يحفظها بألفاظها، فهذا مُسَلَّمٌ، ولكن لا يقدح بالسنة نفسها لإن السُّنَّة ليست بحاجة إلى نفس الألفاظ، وانما الحاجة إلى معانيها المنضبطة ولو رويت بألفاظ أخرى لا تخل بالمعنى لأنها لتوضيح الاحكام وليست الفاظا للتعبد (88)، فألفاظ القرآن محفوظة، لأنه متعبد بذلك اللفظ فلم تجز روايته بالمعنى أما السُّنَّة فهي وحي الله تعالى إليه بما فيها من أحكام وتشريعات صاغها النَّبِي ﷺ بكلامه، فجازت روايتها بالمعنى، لمن كان عارفًا بالعربية وبغير ذلك فلا تجوز روايتها(89) وكانت عائشة -رضى الله عنها- لا ترى بذلك بأسا (90)، وقد جعل الله كلام الرسول ﷺ وحيا ايضا، والوحي ذكر، والذكر محفوظ بنص القرآن؛ وهذا يستلزم حفظ كلام الرسول ﷺ ولو بغير طريقة الحفظ نفسها فهي نقلت الينا بصورة صحيحة وطرق رصينة يطمئن القلب الى سلامتها ويجزم العقل بصحتها التي استندت الى الحس والتلازم في اثبات الخبر الصادق(91)، وإن كل ما حكم به الرسول ﷺ ، فهو مما أنزله الله اليه، وهو ذكر ايضا، وقد تكفل الله بحفظه أيضا ولكن بطريقة أخرى، قيَّظ لها العلماء لصونها وروايتها وجمعها فلو جاز على حكمه الكذب والغلط والسهو من الرواة، ولم يقم دليل على غلطه وسهو ناقله لسقط حكم ضمان الله وكفالته لحفظه، وهذا من أعظم الباطل فيلزم من هذا أن يكون قد تكفل أيضاً بحفظ السنة؛ لأن حفظ المبين يستلزم حفظ البيان للترابط بينهما (92) فهيأ الله لها من أئمة يحفظونها واخترعوا من الوسائل المعرفية والمناهج العلمية ما هو باهر في بابه، من غير سابق مثال ولا عند الأمم من قبل (93).

السبب الرابع: وجود أشياء في السنة تعارض القرآن وتعارض نفسها وهذا يستوجب تركها(94): فمثلا ان الله يأمر بقراءة ما تيسر من القرآن في الصلاة:] فاقرأوا ما تيسر من القرآن[(95) والحديث النبوي يقول: «لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب» (96)، وهذا يمكن رده لأنه توهم خاطئ وجهل بالمنهج العلمي فمثل هذا لا يسمى تعارضا أبدآ انما هو تخصيص ومثله موجود كثير في اللغة والشريعة

81) ينظر: مفتاح الجنة ص13، المدخل إلى توثيق السُّنَّة ص109 منهاج المحدثين في القرن الأول الهجري وحتى عصرنا الحاضر ص: 27.

82) ينظر الموافقات 4 / 12 علم أصول الفقه ط مكتبة الدعوة ص: 40 علم أصول الفقه وخلاصة تاريخ التشريع ط المدني ص: 40.

83) البخاري كتاب النكاح باب النهي لا تنكح المرأة على عمتها 12/7 برقم 5109 .

84) ينظر: الرسالة للشافعي ص201 الموافقات 4 / 43 الطرق الحكمية ص72 اعلام الموقعين 2/ 309 جامع بيان العلم وفضله 2/ 191.

85) ينظر: القرآنيون وشبهاتهم حول السنة للدكتور خادم بخش ص 99 مجلة المنار المجلد 911/9 شبهات القرآنيين حول السنة ص 71 .

86) ينظر: حجية السُّنَّة ، ص389 دارسات فى الحديث النبوى 32/1، تبصير الأمة بحقيقة السنة 23 السنة ودورها فى الفقه الجديد ص 33 .

87) سورة الحجر الآية: 9

88) ينظر: دارسات في الحديث النبوي 32/1، تبصير الأمة بحقيقة السنة 23 السنة بين إثبات الفاهمين ورفض الجاهلين للدكتور رءوف شلبي ص25.

89) ينظر: المحدث الفاصل ص 533 التقريب والتيسير ص 74 فتح المغيث 4/2 توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار 2/ 224 .

90) الكفاية في علم الرواية: 273.

91) ينظر: هذه مشكلاتهم، محمد سعيد رمضان البوطي، ص122 ،123. أزمة الفكر الإسلامي المعاصر، ص12.

92) ينظر: الأحكام لابن حزم 96/1، الروض الباسم 32/1 الصواعق المرسلة 543/2 تبصير الأمة بحقيقة السنة 23 شفاء الصدور في تاريخ السنة 80/1.

93)ينظر: حجية السُّنَّة ، ص389 دارسات في الحديث النبوي 32/1، السنة ودورها في الفقه الجديد ص 33 السنة بين إثبات الفاهمين ورفض الجاهلين ص25.

94) ينظر: الهجوم على السنة النبوية هدفه التشكيك في الإسلام، جمال سالم، https://www.alkhaleej.ae/، شبهة تعارض السنة مع القرآن // المصدر : منتديات أئمة الأوقاف المصرية // الكاتب: ش يوسف زهران https://a2ma.alafdal.net/ .

95) سورة المزمل الآية : 20.

96) البخاري كتاب الاذان باب وجوب القراءة للامام والمأموم 151/1 برقم 756 .

وهـذا الأمـر بديهـي هـو بيـان وتفصيـل لمجمـل القـرآن (97)، وقـد روي ايضـا: «توضـأوا مـما مسـت النـار»(98) وجـاء حديـث آخـر « تـرك ﷺ الوضـوء مـما مسـت النـار»(99) وهـذا الامـر عنـد العلـماء يسـمى نسـخا وليـس تعارضـا ايضـا أي تغيـير المتأخـر لحكـم المتقـدم(100) وقـد يقصـد بالوضـوء في الحديثـين الوضـوء الشرعـي، والمعنـى اللغـوي، وهـو غسـل اليديـن(101) وغيرهـا أحاديـث كثـيرة يسـاء فهـما ويجعلونهـا مدعـاة للشـبهة والتعـارض قـد اهتـم العلـماء بدراسـتها وأفـردوا لهـا مختلـف التصانيـف (102)، وليـس كـما يقولـون ويتوهمـون.

السـبب الخامـس: السُـنَّة ليسـت وحيًـا كلهـا: فالنَّبِـي يتـصرف بمقتـضى بشريتـه، ويجتهـد فيخطـئ ويُصيـب وبالتـالي فهـي ليسـت مُنـزهة عـن الخطـأ(103)، فهـي خطـاب غـير دائـم وانمـا جـاء لمـدة تاريخيـة معينـة: والأحاديـث النبويـة ماهـي إلا تـراث أكـثر مـن أن تكـون وحيـاً(104)، فلسـنا ملزمـين باتباعهـا والوحـي المُنـزه هـو القـرآن المجيـد فقـط فهـم لا ينفـون حجيـة السـنة فقـط بـل عصمـة النبـي ﷺ ايضـا وبالتـالي يسـقط شرط صـدق الرسـول ويـؤدي الى الطعـن بالديـن والرسـالة ايضـا ، فقـد اجمعـت الامـة عـلى عصمـة النبـي ﷺ فـلا يصـح الاستشـهاد بتصحيـح الاجتهـاد بالوحـي في مجـال نفـي الوحـي(105)، فقضيـة الأسرى بـدأت بالـرأي، ثـم انتهـت بالوحـي وهـي خـير شـاهد بـأن السُـنَّة وحـي مـن عنـد اللـه تعـالى، وأن اللـه محيـط بأقوالـه وأفعالـه بالوحـي حتـى لـو اجتهـد برأيـه قـال تعـالى:]مَـا كَانَ لِنَبِـيٍّ أَن يَكُـونَ لَـهُ أَسْرَى حَتَّـى يُثْخِـنَ فِي الأَرْضِ تُرِيـدُونَ عَـرَضَ الدُّنْيَـا وَاللّـهُ يُرِيـدُ الآخِـرَةَ وَاللّـهُ عَزِيـزٌ حَكِيـمٌ % لَّـوْلاَ كِتَـابٌ مِّـنَ اللّـهِ سَـبَقَ لَمَسَّـكُمْ فِيـمَا أَخَذْتُـمْ عَـذَابٌ عَظِيـمٌ فَكُلُـواْ مِـمَّا غَنِمْتُـمْ حَـلاَلًا طَيِّبًـا وَاتَّقُـواْ اللّـهَ إِنَّ اللّـهَ غَفُـورٌ رَّحِيـمٌ[(106)، حيـث اسـتحياهم الرسـول ﷺ ولم يقتلهـم، وأخـذ منهـم الفـداء، ونـزل القـرآن مبينًـا خطـأ ذلـك واللـه سـبحانه لا يـدع رسـوله ﷺ عـلى غـير صـواب، فالرسـول ﷺ لا ينطـق إلا بالوحـي فقـط، ولـو افـترى عـلى اللـه تعـالى شـيئًا لم يوحـه إليـه لقتلـه اللـه وقـضى عليـه (107):]وَمَـا يَنطِـقُ عَـنِ الْهَـوَى % إِنْ هُـوَ إِلاَّ وَحْـيٌ يُوحَـى[(108)،] وَلَـوْ تَقَـوَّلَ عَلَيْنَـا بَعْـضَ الْأَقَاوِيـلِ لَأَخَذْنَـا مِنْـهُ بِالْيَمِـينِ ثُـمَّ لَقَطَعْنَـا مِنْـهُ الْوَتِـينَ فَـمَا مِنكُـم مِّـنْ أَحَـدٍ عَنْـهُ حَاجِزِيـنَ[(109) هـذا ايهـام وتضليـل واخفـاء التحليـل والتحريـم محصـور باللـه وحـده وجعلنـا السـنة تراثـا لزمـن معـين، فقـد تلزمنـا سـنة جديـدة في زمـن آخـر حتـى تبـين لنـا مراد الـشرع ، ويلزمنـا رسـول آخـر ليـبن لنـا مـا اراد اللـه، فكيـف لنـا ان نصـلي اليـوم اذا كنـا لا نأخـذ بتوضيـح الصـلاة في عهـده فهـذا خلـل وقصـور في المنهـج(110)، فالديـن متكامـل متوافـق مـع الفطـرة السـليمة يشـمل الجميـع وكل مفاصـل الحيـاة لا نقـص ولا فتـور واجتـزاء ولا تعطيـل(111)، فهـذا الاطـلاق يقـوّض الشريعـة ويقـود الى الضـلال، والـذي يطالـع كتـب السـنة يجـد حشـدا ضخـما مـن الأحاديـث التـي تشـير إلى وقائـع وأحـداث تاريخيـة ماضيـة كقصـص الأنبيـاء والأمـم السـابقة وبـدء الخلـق وكثـير منهـا يـدل عـلى أمـور سـتحدث في المسـتقبل كأحاديـث الفـتن واخبـار بالغيبيـات وإثباتهـا كـما في دلائـل النبـوة كفتـح القسـطنطينية ومنهـا بقـي يواكـب المسـتقبل انتظـار حدوثـه وغيرهـا(112)، فقـد تلقتـه الأمـة بالقبـول ودل عـلى صـدق مـا جـاء بـه.

---

97) ينظر: الفصول في الاصول 278/2 المعتمد 309/1 التبصرة ص 204 التلخيص 49/2 اصول السرخسي 133/1 الاحكام للآمدي 16/2.

98) مسلم كتاب الحيض باب الوضوء مما مست النار 271/1 يرقم 352 .

99) مسلم كتاب الحيض باب الوضوء مما مست النار 271/1 يرقم 354.

100) ينظر: إحكام الأحكام للآمدي 259/3 نهاية السول 608/2 روضة الناظر 81 تيسير التحرير 222/3 أصول الفقه ، أبو النور زهير 672/2.

101) ينظر: المصباح المنير 2/ 663 شرح مختصر الروضة 1/ 502.

102) ينظر: اختلاف الحديث للشافعي ، تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة، شرح مشكل الآثار للطحاوي ومشكل الحديث وغريبه لابن فورك، كشف المشكل ابن الجوزي تأويل الأحاديث الموهمة للتشبيه السيوطي مختلف الحديث بين الفقهاء والمحدثين لنافذ حسين، تأويل مختلف الحديث دراسة وتحقيق احمد عطية طافش الشقيرات مختلف الحديث وموقف النقاد والمحدثين منه لأسامة خياط، أحاديث العقيدة التي يوهم ظاهرها التعارض في الصحيحين لسليمان الدبيخي مختلف الحديث بين الفقهاء والمحدثين مع دراسة تطبيقية على مرويات حجة رسول الله ﷺ، منهج التوثيق والترجيح بين مختلف الحديث وأثره في الفقه الإسلامي عبد المجيد الوسنة.

103) ينظر: شبهات القرآنيين حول السنة النبوية، محمود محمد مزروعة ص: 93 شبهات حول السنة والسيرة النبوية ص: 56 .

104) ينظر: قضايا في نقد العقل الديني محمد آركون، ص 239 الكتاب والقرآن ص 549 اعتقال العقل المسلم ودوره في انحطاط المسلمين، نبيل هلال ص 20 .

105) ينظر: الإحكام في أصول الأحكام للآمدي 156/1 تفسير القرطبي 243/6 إرشاد الفحول ص 33 حجية السنة لعبد الغني عبد الخالق ص 279.

106) سورة الأنفال الآيات:67-69.

107) ينظر: تفسير الطبري 10/ 48 روضة الناظر 409/2، إعلام الموقعين 198/1، شرح الكوكب المنير476/4 إرشاد الفحول 2/ 220 حجية السنة ص 250.

108) سورة النجم الآيات :3-4.

109) سورة الحاقة الآيات: 44-47.

110) ينظر: تفسير البيضاوي292/1 الإسلام شريعة الزمان والمكان، عبد الله ناصح علوان، دار السلام -بيروت، ط1، ب -ت: 5.

111) ينظر: المجتمع المتكافل في الإسلام، ص 11 أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، ص13 المجتمع المسلم كما يبينه الإسلام في الكتاب والسنة : ص 12.

112) ينظر: دلائل النبوة ص: 153 تثبيت دلائل النبوة 1/ 38 دلائل النبوة للفريابي ص: 88 دلائل النبوة للمستغفري 1/ 195 دلائل النبوة للبيهقي 2/ 3 أعلام النبوة ص: 95.

السبب السادس: في السنة النبوية أشياء تخالف العقل والقواعد الصحيّة (113)، وان وظيفة التشريع صيام، وصلاة وكذا...، وهذا ليس من اختصاصه، وليس له دراية بالطب، فالاتباع يكون للنظريات الطبية لا ما جاء عن الرسول ﷺ (114)مثلًا: حديث الذباب والأمر بغمسه إذا سقط في الطعام أو في الشراب(115) وللرد على ذلك: بان الشرع عام يشمل جميع نواحي الحياة وجوانبها الصحية والاجتماعية والاقتصادية والتعليمية وغيرها والرسول ﷺ قال: ((إن في أحد جناحيه داء، وفي الآخر شفاء))، فوضح علة ذلك وهو أميٌّ لم يدخل كليات الطب ولا معاهدها، فهذا دليلٌ على الوحي والاعجاز فما جهلت حكمته في زمن سوف تظهر في زمن اخر كي تدل على صدق الرسالة واستمرارها (116)، وان مسألة الذباب لم تنته ، ومازالت محل بحث وتجربة فيجب التفريق بين المستحيل والمستغرب والمستقذر، وإن الرسول ﷺلم يأمر بأكل أو شرب ما وقع فيه الذباب، وانما أمر بغمسه؛ لأن في أحد جناحيه داء وفي الآخر دواء (117) ومثله موجود في الديانات السابقة فعيسى يُحيي الموتى بإذن اللّه، ويُبرئ الأكمه الذي ولد أعمى، يبرئه بإذن اللّه، وأنه يُصوِّرُ طيراً فينفخ فيه فيكون طيراً بإذن اللّه، وأنه يُبرئ الأبرص بإذن اللّه، وليس بطريقة علاج؛ فهو لم يفتح مستشفى، إنما هي خوارق عادات]وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِ اللّهِ وَأُبْرِئُ الأَكْمَهَ والأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ [(118)، فما علم بصريح العقل لا يتصور أن يعارضه الشرع البتة، بل المنقول الصحيح لا يعارضه معقول صريح قط فما خالف النصوص الصحيحة الصريحة شبهات فاسدة يعلم بالعقل بطلانها، بل يعلم بالعقل ثبوت نقيضها الموافق للشرع(119) وهذه المسألة وغيرها كثير جعلت ا أصحاب العلوم الصرفة يؤمنون لاكتشافهم دلائل الإعجاز مما يعجز العقل المحض عن ادراكه كما في كتاب ما كتب في الطب والعلم يدعو للأيمان والموسوعات العلمية في الاعجاز والكون وغيرها.

المطلب الثاني: تشكيك الحداثيين بمصادر السنة النبوية لإسقاطها وعدم الاعتداد بها:

السبب الاول: ان السنة النبوية كثيرة الآحاد قليلة الاحاديث المتواترة: فاحتمالية الوهم بهذه النصوص ويجعلوه شبهة لردِّ السنة النبوية(120)، وليس الأمر بجديد فالخلاف في قبول حديث الآحاد قديم لأنهم يرونه يفيد ظنا فلا يحتجون به(121) لأن الراوي يخطئ ويصيب، وقد يكون عدلا في الظاهر وهو كذاب أو منافق في باطن أمره وان العمل بخبر الواحد موقوف على الظن وقد ذم الله من اتبع الظن، وان رواية الواحد مثار تهمة فلا نعملُ به حتى يتأيد بغيره (122) فحديث ذي اليدين ولم يقبله النبي ﷺ (123) وعمر بن الخطاب لم يقبل رواية أبي موسى الأشعري - رضي اللّه عنهما ايضا في موضوع الانصراف بعد الاستئذان ثلاثًا (124)، نقول - ان الظن الوارد غير الظن الذى وصف به خبر الآحاد فلا يصح حصر معنى الظن فيما استدلوا به فخبر الآحاد وإن كان ظنياً بمعنى احتمالية الخطأ والوهم والكذب فيه فإنها تنزاح بعد التثبت والتأكد من عدالة الراوي، وضبطه ، وتصبح ضعيفة فيفيد الخبر العلم اليقيني، ولا سيما إذا احتفت به القرائن وهى الظنون المعمول بها في الشريعة أينما وقعت، لأنها استندت إلى أصل معلوم، فهي من قبيل المعلوم جنسه، فيجب قبوله، وان هذا الظن يستند إلى أصل قطعي وهو القرآن الكريم(125)، وقياس الرواية على الشهادة

---

113) ينظر: من محمد الإيمان إلى محمد التاريخ، العفيف الأخضر، ص 10 نقد الخطاب الديني، نصر حامد أبو زيد، ص 184.

114) ينظر: تحرير العقل من النقل وقراءة نقدية لمجموعة من أحاديث البخاري ومسلم، سامر إسلامبولي، 2015 م، القاهرة، ص 13 الصحابة والمجتمع، خليل عبد الكريم، د.ت، ص 380 مجلة المنار المجلد97/19 السنة والتشريع للدكتور النمر ص110 اضواء على السنة ص 223.

115) البخاري كتاب الطب، باب إذا وقع الذباب في الإناء 140/7 رقم5782.

116) ينظر: مشكل الآثار 283/4 تأويل مختلف الحديث ص 210 شرح السنة /260 دفاع عن السنة ص 338، موقف المدرسة العقلية من السنة 261/2.

117) ينظر: معالم السنن5/ 340 زاد المعاد 112/4 نيل الأوطار 56/1، سبل السلام 37/1 السنة المطهرة والتحديات للدكتور نور الدين عتر ص 80.

118) سورة آل عمران الآية: 49.

119) درء تعارض العقل والنقل ابن تيمية، د.ت، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، 147/1.

120) ينظر: «الإسلام هو القرآن وحده» مجلة المنار المجلد 912/9 - 913 وقرآن أم حديث ، ص 32، والسنة ودورها في الفقه الجديد ص 111

121) ينظر: المعتمد 124/2، المحصول 186/2، المستصفى 148/1 الإحكام في أصول الأحكام 48/1 البرهان في أصول الفقه للجويني 228/1.

122) ينظر: المعتمد في أصول الفقه 115/2، وأصول السرخسي 331/1، والمحصول 186/2، والإحكام للآمدي 35/2، 60، وتدريب الراوي 73/1 أصول الفقه للمظفر 70/1، توثيق السنة في القرن الثاني الهجري للدكتور رفعت فوزى ص 90، أضواء على السنة ص 57، فجر الإسلام أحمد أمين ص 210.

123) البخاري كتاب أخبار الآحاد، باب ما جاء في إجازة خبر الواحد الصدوق في الأذان، والصلاة، والصوم، والفرائض، والأحكام رقم 7250.

124) البخاري كتاب الاستئذان، باب التسليم والاستئذان ثلاثاً 54/8 رقم 6245.

125) ينظر: الإحكام للآمدى 62/2، والمحصول 193/2، الاعتصام 190/1، الموافقات 14/3 إرشاد الفحول 212/1 تدريب الراوي 73/1.

بحجة أن الرواية شرع عام والشهادة شرع خاص ولم يقبل فيها رواية الواحد، فلأن لا تقبل في حق كل الأمة من باب أولى(126)، فالقول بظنية سنة الآحاد لا تنطبق على جميع السنة، بل على ما كان منها ضعيفاً أو الأحاديث التي حدث كلام في صحتها، ولا نزاع في أن خبر الواحد إذا وقع الإجماع على العمل بمقتضاه فإنه يفيد العلم، لأن الإجماع عليه قد صيره من المعلوم صدقه، وهكذا خبر الواحد إذ تلقته الأمة بالقبول(127)، لذلك اشترط المحدثون أن يكون الراوي عدلا، ضابطًا مع اتصال الإسناد وعدم مخالفة من هو أوثق منه وعدم الوقوف على علة قادحة يُرَدُّ بها الحديث وهي كفيلة بقبوله (128) وما ذكروه من النصوص ليست دليلا على رفض السنة، والاستدلال بها لا يتوافق مع المسألة بالإضافة الى منهجهم في اجتزاء النص حتى يتوافق مع مزاعمهم فتوقف النبي ﷺ في خبر ذي اليدين لتوهم غلطه لانفراده بذلك السؤال دون من صلى معه ﷺ، مع كثرتهم، فاستبعد ﷺ حفظه دونهم، وعندما وافقه الباقون على ذلك، ارتفع توهم غلط ذي اليدين، وعمل بموجب خبره، فلم يلزم من ذلك رد خبر الواحد مطلقاً ولهذا أجمعوا على أن ظواهر الكتاب والسنة حجة، وإن جاز تركها والتوقف فيها لأمور خارجة عنها، وان عمر بن الخطاب لم يكذب ابا موسى إنما أراد أن يتثبت وانه خاف عمر بن الخطاب t أن يجترئ الناس على سنة الرسول ﷺ فأظهر لهم القوة حتى يحتاطوا لأنفسهم عند البلاغ فلا يبلغ إلا وهو واثق مما يتكلم به، وان كتب الآثار مليئة تؤيد اعتبار الرسول ﷺ لخبر الواحد حجة كبعث رسله واحداً واحداً إلى الملوك، ووفد عليه الآحاد من القبائل فأرسلهم إلى قبائلهم، وكانت الحجة قائمة بإخبارهم عنه ﷺ مع عدم اشتراط العدد(129).

السبب الثاني: منع كتابة السنة: (130)، قال ﷺ: (لا تكتبوا عني، ومن كتب عني غير القرآن فليمحه) (131)، وان الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يكرهون رواية الحديث: وكان عمر يهدد الرواة، ويحبسهم بسبب الإكثار من روايتها(132): ولو كانت السنة حجة لجمعها الصحابة: فلم تدون السنة إلا في عصور متأخرة فلا تعتمد في أخذ الأحكام (133)،وان التدوين وقع في القرن الثاني الهجري ، وأن السنة انتقلت بطريق المشافهة فقط، وهذا يُشير الى ضياعها واختلافها(134)، على اضطراب في تحديد سنة التدوين(135) ولو كانت شرعًا لما انصرف عنها الصحابة رضوان الله عليهم(136)، وهذا ليس على اطلاقه فكان في بداية الامر حتى لا يختلط بالقرآن شيء غيره، وقد يكون عن كتابة الحديث والقرآن معا في صحيفة واحدة، أما في غير ذلك فمأذون به وقد يقال بأن المنع جاء أولًا، فلما أمن اللبس جاء النسخ واذن في الكتابة، وكان بعض الصحابة يكتبون القرآن والسُنَّة(137)، وقد ورود الامر بكتابتها، كقوله: (اكتبوا لأبي شاة) (138)، وقوله: (ائتوني بكتاب أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده) (139). فالنهي عن كتابة السنة لا يعني عدم حجيتها فالكتابةُ لا تعني القطعَ بالشيء؛ بل بإفادة العلم ويتحقق بعدالة ناقله وضبطه، والتحقُّقُ منه، ضمن قواعد التأكد من صحة الخبر، فحجية القرآن لم تأتِ مِن كتابته حتى يقولوا بوجوب كتابة السُّنة النبوية لتكون حجة، فالكتابةُ ليست من لوازم الحُجِّية وان الناس قديمًا يعتمدون على الحفظ والذاكرة ويتناقلون المعلومات بالمشافهة والسماع، ففي عصر الجاهلية اشتهروا بحفظ الاشعار والالآف القصائد عن ظهر قلب، ولا يستغرب وقتها أن فلانًا يحفظ ألف أرجوزةٍ، أو ألف بيت من الشعر (140)، حتى القرآن بقِي في عهد النبوة محفوظًا في

126) ينظر: تدريب الراوي 73/1 إرشاد الفحول 212/1 المدخل إلى السنة النبوية ص 313، السنة المفترى عليها للمستشار البهنساوى ص 148.

127) ينظر: الرسالة ص 412 البرهان 228/1، الإحكام لابن حزم 111/1، والإبهاج 307/2، 308، والمستصفى 151/1، الاعتصام 190/1.

128) ينظر: المدخل إلى كتاب الإكليل ص: 36 الاقتراح في بيان الاصطلاح ص: 5 المنهل الروي ص: 33 التقييد والإيضاح شرح مقدمة ابن الصلاح ص: 20.

129) ينظر: الإحكام للآمدي 62/1، فتح الباري 250/13 تدريب الراوي 73/1 أخبار الآحاد من صحيح البخاري 13 / 244.

130) ينظر: منع تدوين الحديث ص 19، تأملات في الحديث ص 37 الكتاب والقرآن قراءة معاصرة ص 546، القرآن والحديث والإسلام ص 19.

131) أخرجه مسلم كتاب الزهد والرقائق، باب التثبت في الحديث، وحكم كتابه العلم 9/ 356 رقم 3004.

132) ينظر: مجلة المنار المجلد 851/11، شيخ المضيرة ص117.

133) أضواء على السنة ص48 مجلة المنار المجلد 768/10 السنة ودورها في الفقه الجديد ص 225 السلطة في الإسلام ، عبد الجواد ياسين ص 238.

134) ينظر: إعادة تقييم الحديث قاسم أحمد ص 94، نقد الخطاب الديني نصر أبو زيد ص126، وشفاء الصدر بنفي عذاب القبر إسماعيل منصور 117/1، والأصلان العظيمان جمال البنا ص275، وضحى الإسلام لأحمد أمين 107/106/2.

135) قيل: تم جمع السنة بعد فترة تمتد من قرنين إلى أربعة قرون من وفاة النبى ﷺ وقيل سنة 200هـ وقيل بعصر المأمون المتوفى سنة 218هـ وقيل انه بسنة 250هـ وقيل انه حصل في القرن الثالث الهجري. إعادة تقييم الحديث قاسم أحمد ص 94، تبصير الأمة بحقيقة السنة ص7، الكتاب والقرآن قراءة معاصرة ص 565، عذاب القبر ص6، ومجلة روزاليوسف العدد 3559 ص 48، حياة محمد ص55، نظرة عامة فى تاريخ الفقه ص119.

136) ينظر: أضواء على السنة ص48 السنة ودورها في الفقه الجديد ص 225.

137) ينظر: الباعث الحثيث ص112، حجية السنة ص 447 دراسات في الحديث النبوي 92/1 دلائل التوثيق المبكر للسنة ص 500 السنة قبل التدوين ص343.

138) البخاري كتاب العلم، باب كتابة العلم29/1 (112) ومسلم كتاب الحج، باب تحريم مكة وصيدها وخلاها وشجرها (1355).

139) البخاري كتاب العلم، باب كتابة العلم29/1 (114).

140) ينظر: حجية السنة للدكتور ص424 دراسات في الحديث النبوي 92/1 دلائل التوثيق المبكر للسنة ص 500 السنة قبل التدوين ص343.

الصدور الى بعد وفاة النبي ﷺ واستشهاد كثيرٍ مِن القرَّاء في معركة اليمامة، فاقترح عمرُ بن الخطاب وبعض الصحابة على أبي بكر رضي الله عنه كتابته(141)، فكتابة القرآن قبل كتابة السُنَّة ضرورة لكونه وحيا بلفظه ومعناه، ومحدودا ولا تجوز روايته بالمعنى، بخلاف السُنَّة النبوية على مدى ثلاث وعشرين سنة عاشها ﷺ بينهم، فكثيرة ومن الصعب كتابتها، مع قلة الكتبة فجوزوا روايتها بالمعنى بشروطه(142)، فالحجية تثبت بأشياء كالتواتر، ونقل العدول الثقات، والكتابة، وليس النقل عن طريق الحفظ أقل صحة وضبطا من الكتابة، خاصة من قوم عرفوا بقوة الحافظة، فاعتمادهم على ذاكرتهم كان أساسا لما ينقلونه ويتدارسونه(143) وقد ورد أن عمر t أراد أن يكتب السنن فاستشار الصحابة ولم يوافقوه(144)، لأن الأمر في ذلك الوقت يقتضي جمع القرآن خشية أن يضيع منه شيء بموت القراء(145)، ثم هناك خلط بين النهى عن كتابة السنة، وحجية السنة ، فالكتابة مطلق خط الشيء، دون مراعاة لجمع الصحف المكتوبة في إطار يجمعها، أما التدوين فمرحلة تالية للكتابة ويكون بجمع الصحف المكتوبة في ديوان يحفظها وأما التصنيف؛ فهو أدق من التدوين، فهو ترتيب ما دون في فصول محدودة، وأبواب مميزة مع انه لا يمكن الجزم بعدم وجود مجموعات كتابية للحديث قبل منتصف القرن الثاني مع وجود ما بين مليون ونصف، وثلاثة ملايين مخطوطة إسلامية في المكتبات في العالم، انها ترجع إلى تلك الفترة، لكن هذا لا يعني عدم وجودها(146)، وإن السنة النبوية - ظلت محفوظة في الصدور لم تكتب إلا في نهاية القرن الأول الهجري في عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز-رحمه الله وعلى صحة القول لم تدون أول الأمر تدوينا رسميا، فقد دونها شخصيا وكان بعض الصحابة يكتبون بعض الأحاديث في حياة النبي ﷺ وبعد وفاته، مثل صحيفة عبد الله بن عمرو بن العاص، وصحيفة همام بن منبه عن أبي هريرة، وصحيفة سمرة بن جندب وغيرها(147)، ولعلَّ النهي عن الكتابة، اول الأمر حفاظاً على كتاب الله عز وجل وإبعاد الأمة عما ارتكبه أهل الكتاب من تبديل التوراة، والإنجيل بوصايا الرسل وجعلوها هي الكتب المنزَّلة و لهذا خشى أن ينكب عليها المسلمون، ويتشاغلوا بها عن القرآن الكريم فيتشبهون بهم(148) وقد كان الصحابة رضي الله عنهم يأخذون الحكام من القرآن الكريم بتطبيق النبي ﷺ لها، وهم قد عاينوا التنزيل وبعد حياته ﷺ كانت المسألة تُعرَضُ للصحابة رضوان الله عليهم فيبحثون في القرآن، فإذا لم يجدوا حكمها، بحثوا في السُنَّة الشريفة وحكموا فيها بما وردت به السُنَّة، وقد كان الصحابة يقطعون المسافات الطويلة ليسألوا رسول الله ﷺ عن حكم الله في بعض ما يعرض لهم(149) وكانوا يلتزمون بما يفعل ويتركون ما يترك دون أن يعرفوا حكمته، ولم يسألوا عنه ، ثقة منهم بأن فعله ﷺ وحي (150) فهم يهابون رواية الحديث لخوفهم من الكذب على رسول الله ﷺ ، أو الخطأ فيه، فالمسؤولية كبيرة، وقد توعد ﷺ على من يكذب عليه (151)، فكانوا حريصين على التثبت والتحري الشديد لكل ما يبلغونه عن الرسول ﷺ ، أما دعوى تهديد عمر حبسه لثلاثة من أصحابه هم عبد الله بن مسعود، وأبو ذر، وأبو الدرداء فهذه رواية ملفقة كاذبة، جاءت بالانقطاع (152)، وهي باطلة لأنها لا تخلو: إما أن يكون عمر اتهم الصحابة، أو نهاهم عن تبليغها، او حبسهم من غير تهمة وهذا كله ظلم، وهو منه بريء ، وقد يقصد بالحبس الاستبقاء فقط وليس السجن على فرض صحة ذلك(153).

السبب الثالث: ان المحدثين يروون من الأحاديث ما توافق أهواءهم، وقد وضعت بعض الفرق أحاديث مزورة حتى تثبت أنها على الحق ، وإن حَمَلَةَ السنة كانوا جنودا للسلاطين والملوك يضعون لهم الأحاديث ما يوافق رغباتهم ويثبت ملكهم(154) فالذي ينظر في مناهج المحدثين يجد الخصائص والسمو الذي اتصفوا به والترفع عن الكذب واستنكارهم له حتى في حياتهم العادية بجانب

141) ينظر: البخاري فضائل القرآن باب جمع القرآن (الفتح)10/9 (4986)، الترمذي كتاب التفسير 283/5 ح 3103، الطبراني في الكبير 163/5 ح4902.

142) ينظر: كتابة السنة النبوية في عهد النبي ﷺ والصحابة ص: 40 الشبهات الثلاثون ص 20 شبهات القرآنيين حول السنة ص 73.

143) ينظر: صيانة صحيح مسلم ص 117 المنهل الروي ص 32 نزهة النظر ص 41 كتابات أعداء الإسلام ومناقشتها ص: 291.

144) رواه البيهقي في «المدخل» (731) جامع بيان العلم وفضله 1 /22، تدريب الراوي 287، تقييد العلم ص50

145) ينظر: السنة الإسلامية بين إثبات الفاهمين ورفض الجاهلين ص 170، حجية السنة ص 456، تيسير اللطيف الخبير ص 68 دلائل التوثيق المبكر ص ٢٨١.

146) ينظر: السنة النبوية.مكانتها.عوامل بقائها.تدوينها. ص 97، دلائل التوثيق المبكر للسنة ص 283 شفاء الصدور في تاريخ السنة ومناهج المحدثين ص108.

147) شفاء الصدور في تاريخ السنة ومناهج المحدثين ص108 السنة النبوية مكانتها للأستاذ الدكتور عبد المهدى عبد القادر ص 97 دراسات في الحديث النبوي 84/1.

148) دلائل التوثيق المبكر للسنة ص 463 الحديث والمحدثون ص 302، والسنة قبل التدوين ص249، ومنهج النقد في علوم الحديث للدكتور نور الدين عتر ص463.

149) ينظر: على سبيل المثال : صحيح البخاري كتاب العلم، باب التناوب في العلم 286/1، برقم 89 أبو داود، كتاب الصلاة، باب الصلاة في النعل 353/2 برقم 636، النسائي كتاب مناسك الحج، الركوب إلى الجمار واستظلال المحرم 270/5.

150) ينظر: منهج النقد في علوم الحديث ص: 25 شبهات القرآنيين حول السنة النبوية ص: 70 حجية السنة ودحض الشبهات التي تثار حولها ص: 44.

151) البخاري كتاب العلم، باب إثم من كذب على النبي ﷺ242/1 رقم 107 كتابات أعداء الإسلام ص: 346، دفع شبهات المستشرقين حول السنة ص: 23.

152) ينظر: المحدث الفاصل ص133، الإحكام لابن حزم 266/2 السنة قبل التدوين ص 110دفاع عن السُنَّة محمد أبو شهبة ص 280.

153) الإحكام فى أصول الأحكام ابن حزم، 2/ 266 السنة قبل التدوين ص 110دفاع عن السُنَّة محمد أبو شهبة ص 280.

154) ينظر: أصول الحديث للدكتور عبد الهادي ص 133 ودفاع عن الرسول ضد الفقهاء والمحدثين ص 292 قراءة في صحيح البخاري لأحمد صبحى ص 41.

خشية الله، كفيلة للرد على هذه المناقضات فهم لم يحابوا في حكمهم على الرجال أحدا لا أبا ولا ابنا ولا أخا ولا صديقا ولا شيخا فهذا عُنوَانُ صدقهم ونزاهتهم وأمانتهم فالحفاظ على السنة النبوية الشريفة عندهم أغلى من كل شيء(155)، فالإمام علي بن المديني قال عن أبيه إِنَّهُ ضَعِيفٌ(156)، وقال أبو داود عن ابنه عبد الله كذاب(157)، وقال زيد بن أبي أنيسة: «لا تأخذوا عن أخي يحيى المذكور بالكذب»(158)، وقال شعبة بن الحجاج: «لو حابيت أحدا لحابيت هشام بن حسان كان خَتَنِي، ولم يكن يحفظ»(159)، وقال أبو عروبة: «في ترجمة الحسين بن أبي السري هو خال أمي، وهو كذاب» (160)، فعلم الرجال اظهر مفاخرة لهذه الأمة دون غيرها بالإضافة الى الشروط التي اشترطوها في الراوي تضمن فيه غاية الصدق والعدالة والأمانة ، مع الإدراك التام لتصرفاته وتضمن الحفظ والضبط بصدره أو بكتابه، مما يمكنه من استحضار الحديث وأدائه كما سمعه متى ما طلب منه، ثم سلامة النقل بين حلقات الإسناد ، وسلامته من القوادح الظاهرة والخفية(161)، فلم يقتصروا على جمع الحديث فقط بل تَعَدَّتْ عنايتهم إلى وسائط روايته واشترطوا أيضا في الرواية المكتوبة شروط الحديث الصحيح ، ولذلك نجد على مخطوطات الحديث تسلسل سند الكتاب من راوٍ إلى آخر حتى يبلغ مؤلفه ، ونجد عليها إثبات السماعات ، وخط المؤلف أو الشيخ المسمَع الذي يروي النسخة عن نسخة المؤلف أو عن فرعها ، فمنهج المحدثين أقوى وأحكم حيطة(162).

السبب الرابع: السُنَّة فيها خليط من الحديث الصحيح والحديث الموضوع وقد التبس ذلك ولا يتميز فوجب ردّه وتركه (163)، وهذا القول مردود ولا يحتاج الى رد بسبب جهلهم بقواعد المحدثين ومناهجهم التي ميزوا بها الصحيح من الضعيف فضلا عن الموضوع وانحساره عما يختلط بغيره، رغم وجود الوضاعين الذين نسبوها إلى رسول الله ﷺ فقد استطاعوا بسعة إطلاعهم، والقواعد التي وضعوها والشروط التي اشترطوها في الراوي والمروي، ان يتحققوا من الحديث وصدق ناقله، وابطال كل ما نسب إلى رسول الله ﷺ كذبا وتلفيقا، وقد اتسعت مباحثهم في تعريفه، وبدايته، وأسبابه، وحكم روايته، وضوابط معرفته، وأشهر المصنفات فيه(164)، فوجود الأحاديث المكذوبة ليس دليلاً على ضعف نظام الحديث بمجموعه، لأن تلك الأحاديث الموضوعة لم تخف على المحدثين ولم يكونوا في غفلة عنها، فلما وقعت الفتنة قالوا: سموا لنا رجالكم(165)، فلم يقبلوا إلا من كان عدلًا ضابطاً، مسلمًا بالغاً عاقلًا سالماً من أسباب الفسق، وخوارم المروءة، متيقظاً غير مغفل، حافظاً إن حدث من حفظه، ضابطاً لكتابه إن حدث من كتابه، وإن كان يحدث بالمعنى اشترط فيه مع ذلك أن يكون عالماً بما يحيل المعاني وعلى ذلك إجماع جماهير أئمة الحديث والفقه والأصول(166)، ولم يهملوا متابعة الرواة والتغيير الذي يطرأ عليهم فقد لازموهم ملازمة شديدة والتأكد من دوام الضبط وعدم التغيير، ومتابعة من ضعف حديثه في بعض الأوقات أو في بعض الأماكن أو عن بعض الشيوخ (167)، فوجود هذه القواعد أكبر دليل على صحة منهجهم والوثوق بما جاء عنهم والحق ان ابتكار المحدثين، في علم مصطلح الحديث، الذى تفردت به الأمة الإسلامية، والتفنن فيه، كان من أكبر النتائج النافعة ضد الحملة الضارية على السنة النبوية المطهرة(168).

السبب الخامس: الإسناد منافٍ للقرآن والعقل: ومن السهل اختلاقه وتوظيفه، ويكفي أن يقول القائل (قال ﷺ) فيسارع الناس بتصديقه، دون تمحيص، والإسلام الصحيح هو دين العقل، بل إن التعقل أو استعمال العقل هو سبب إنزال القرآن، والإسناد أوجد

---

155) ينظر: دلائل النبوة للبيهقي 47/1لمحات من تاريخ السنة وعلوم الحديث للأستاذ أبو غدة ص 160.

156) ميزان الاعتدال 401/2.

157) لسان الميزان 31/4 الكامل 265/4 ، وقال الذهبى :ان صح عنه، فقد عَنَى أنه كذاب في كلامه، لا في الحديث النبوي»: التذكرة 772/2 السير 231/13.

158) الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ للسخاوى ص 83.

159) تهذيب الكمال للمزي 181/30 ميزان الاعتدال 487/3.

160) تهذيب الكمال 468/6 ميزان الاعتدال 536/1.

161) ينظر: لاقتراح في بيان الاصطلاح ص: 5 نزهة النظر ص69 التوضيح الأبهر لتذكرة ابن الملقن في علم الأثر ص: 30.

162) ينظر: مختصر الصواعق المرسلة552/2، مائة سؤال عن الإسلام للشيخ محمد الغزالى43/1.

163) ينظر: الأضواء القرآنية 35/1، دليل المسلم الحزين ص 45 وإعادة تقييم الحديث ص 98، نحو تطوير التشريع ص 44، تأملات فى الحديث ص 131.

164) ينظر: الموضوعات 35/1، وتنزيه الشريعة 15/1لمحات من تاريخ السنة ص 80، السنة ومكانتها فى التشريع ص 76 السنة النبوية. مكانتها. ص 54.

165) ينظر: المحدث الفاصل ص 64 معرفة علوم الحديث للحاكم ص16 الجرح والتعديل20/2، 21، والكفاية في علم الرواية ص 605، والموضوعات 103/1.

166) ينظر: علوم الحديث لابن الصلاح ص 84.

167) ينظر: شرح علل الترمذي 552/2 ضوابط الراوية عند المحدثين ص 122 لمحات من تاريخ السنة وعلوم الحديث للأستاذ عبد الفتاح أبو غدة ص 108 .

168) ينظر: لمحات من تاريخ السنة وعلوم الحديث ص 189 كتاب الأباطيل للجوزقاني الموضوعات لابن الجوزي واللآلئ المصنوعة للسيوطي الدر الملتقط للصغاني تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأحاديث الموضوعة لابن عراق تذكرة الموضوعات لابن طاهر الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة للشوكاني.

خصومة مستحكمة بين المسلمين والتعقل(169)، وهذا تناقض مردود لأن الاسناد حرس الشريعة وعين العقل ، وقد تقرر أن صحة الاسناد لا تستلزم صحة المتن فلم يقل أحد من المحدثين أن إسناد أي قول للنبي ﷺ يعني الحكم بصحته، فهم يروون بالإسناد كل نوع من أنواع الحديث؛ الصحيح والحسن والضعيف بل حتى المكذوب (170)، فالقرآن الكريم منقول بالإسناد أيضاً وهناك فرق بينه وبين الحديث في عدد الرواة فالقرآن منقول بالتواتر، والحديث منقول برواية رجال معدودين، ولكنهم ليسوا مجاهيل بل هم رجال مشهورون، أحوالهم معلومة، وأسانيدهم محفوظة وهذا الفرق يقتضى التفاوت في درجات اليقين، لا في نفس القبول والاعتبار(171)، وأن الأخذ بالحديث الصحيح هو استجابة للأمر القرآني في قوله تعالى: ﴿ وَمَا ءَاتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ (172)، فالقرآن علّق قبول الأخبار بمعرفة أحوال ناقليها، فأمرنا سبحانه أن نتبين في خبر الفاسق ونتثبت منه، حتى يثبت صدقه، وعلى هذا الأصل بنى المحدثون نقلهم لكلام النبي ﷺ وأفراد هذه الأسانيد هم معروفون ولهم تراجم وافية في كتب التراجم وكتب الجرح والتعديل (173) فعن أي عقل يتحدثون والعقل السليم يقبل ما قاموا به من تمحيص.

السبب السادس: ان المحدثين: غلب عندهم النقد الشكلي الخارجي فنقدوا السند دون المتن ، فالقوالب الجاهزة هي التي يحكم بواسطتها على الحديث بالصحة أو بغيرها، فصحة المضمون مرتبطة أوثق الارتباط بنقد سلسلة الإسناد(174) وانهم اختلفوا في التوثيق والتضعيف: ويلزم أن يوثقوا من لا يستحق، ويضعفوا من لا يستحق، فتصحح أحاديث لم تبلغ الصحة (175) وهذه الدعوى باطلة لان القواعد التي تتعلق بنقد المتن أكثر من قواعد نقد السند ومن المقرر عند المحدثين أن صحة إسناد الحديث لا تستلزم صحة الحديث(176) ومن شروط الصحيح ألا يكون شاذا ولا معللا والشذوذ والعلة يكونان في السند كما يكونان في المتن فقد يصح إسناد حديث ما ويكون في متنه علة قادحة تقدح في صحته وهكذا الشذوذ ولذا لم تكن دراستهم قاصرة على الأسانيد(177) فبحثوا في المتون وجمعت أبحاثهم في كتب العلل وهي كثيرة(178) فهم يفصلون بين السند والمتن ومقاييسهم في المتن لا تقل عما في السند فالغالب على السند الصحيح أن ينتهي بالمتن الصحيح، والغالب على المتن المعقول المنطقي الذي لا يخالف الحس أن يرد عن طريق صحيح وفي تعريفهم للصحيح قيد (من غير شذوذ ولا علّة) ولهذا جاءت تسمية الحديث بالمقلوب، والمضطرب، والمدرج، والمعلل، والمصحف، والموضوع، وزيادة الثقة(179)، مع تسميات اخرى خاصة بالمتن كغريب الحديث، وأسباب وروده، ناسخه ومنسوخة، مشكله، ومحكمه، فضلا نقد الصحابة رضوان الله عليهم لبعضهم مضمون روايات بعض، فانتقدت السيدة عائشة روايات بعض الصحابة، وتعرضت بعض رواياتها للنقد من بعض الصحابة الآخرين(180) ولان تعديل الرواة وتجريحهم لم يكن عن هوى، وإنما كان تدينا، وفق شروط مقررة للجميع بحسب اجتهاد الناقد ومنهجه وتتبع كل راوٍ فليست مخفية أو سرّية مع بيان شروط العدالة والضبط في التوثيق وبيان أسباب الجرح في التضعيف وان يفسر الناقد ويوضح ذلك التجريح(181)، فلم يكن عن فوضى ومزاجية ، والأهواء النفسية والتحامل ، مع الأخذ بعين الاعتبار أهلية الناقد ومراعاة ميوله في القدح لقبول قوله والتحقق من ثبوت الجرح أو التعديل عنه وتفقد عبارة الجارح في كل مخالف له في مذهبه، ومنع قبول صيغة الجرح أو التعديل التي لا تنسب إلى ناقد معين ، كما لا يقبل الجرح في حق من عرف مقامه في الدين، وجرح الاقران بعضهم في بعض (182)، فهذا الأمر يتطلب الأهلية والمُكْنة بأحوال الرواة وتاريخهم، وشيوخهم وتلاميذهم، ومقارنة مروياتهم بمرويات غيرهم وإلى غير ذلك من المباحث المبسوطة في كتب المصطلح وعلوم الحديث ، والتي تضمن

169) ينظر: ظهر الإسلام لأحمد أمين 86/3، السنة ودورها في الفقه الجديد ص 12 أضواء على السنة لمحمود أبو ريه ص 62.

170) ينظر: فتح الباري 183/1 تدريب الراوي 160/2، السنة المطهرة والتحديات ص 36، الفكر المنهجي عند المحدثين ص 60.

171) ينظر: مناهل العرفان 416/1، تحقيق معنى السنة وبيان الحاجة إليها ص 10، دارسات في الحديث النبوي 395/2، ضوابط الرواية عند المحدثين ص 64.

172) سورة الحشر: جزء من الآية 7.

173) ينظر: فتح البارى183/1 التدريب160/2، دارسات في الحديث النبوى395/2، السنة المطهرة والتحديات ص36، الفكر المنهجي عند المحدثين ص60.

174) ينظر: ضحى الاسلام 130/2 مقال الدكتور احمد عبد المنعم البهي المنشور في مجلة العربي الكويتية عدد/ 89/ ص13.

175) ينظر: المفصل في الرد على شبهات أعداء الإسلام 11/ 43.

176) ينظر: المنار المنيف، ص 21 التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل 1/ 185 الإرشادات في تقوية الأحاديث بالشواهد والمتابعات ص: 420.

177) ينظر: لاقتراح في بيان الاصطلاح ص: 5 نزهة النظر ص69 التوضيح الأبهر لتذكرة ابن الملقن في علم الأثر ص: 30.

178) ينظر: التاريخ والعلل لابن معين والعلل لابن المديني والعلل للإمام أحمد بن حنبل والمسند المعلل للإمام الحافظ يعقوب بن شيبة والعلل» للإمام الترمذي والعلل» للإمام الخلال علل الحديث» للإمام لابن أبي حاتم الرازي العلل الواردة في الأحاديث النبوية الدارقطني .

179) ينظر: شرح التبصرة 226/1 التدريب 252/1 جواهر الأصول ص48 علوم الحديث ص84 النكت للعسقلاني 771/2.

180) ينظر: علوم الحديث للحاكم 82 تدريب الراوي 254/1 شرح علل الترمذي 93/1مقدمة علل الدارقطني 40/1.

181) ينظر: الإحكام في أصول الأحكام 2/ 146 ذكر من يعتمد قوله في الجرح والتعديل ص: 158 شرح علل الترمذي 877/2.

182) ينظر: الموقظة / 82 الباعث الحثيث 289/1 تحرير علوم الحديث 1/ 217 علم التخريج ودوره في خدمة السنة النبوية - عبد الغفور البوشلي ص: 119.

نزاهته وعدم الحيف في الحكم على الرواة(183)، وأما اختلافهم في الجرح والتعديل فهو أمر طبيعي فمردُّه إلى اختلاف حال الراوي وما يطرأ عليه من تغييرات كونه بشرا يصيبه الوهم والنسيان والغفلة وغيرها بالإضافة الى اختلاف الأنظار ، وتباين الاجتهاد في ذلك، كما تختلف اجتهادات المجتهدين في الأحكام الفقهية ، والمسائل الفرعية ، لأنه دخول وهم الراوي في حيِّز الكثرة أمر لا يوزن بميزان معلوم ، وإنما يرجع فيه إلى التحري والاجتهاد مع تفاوتهم في تطبيقها بين متشدد ومعتدل ومتساهل ، تبعاً لتطبيق هذه القواعد (184)، فمنهم متشدد في الجرح ، متثبت في التعديل، يغمز الراوي بالغلطتين والثلاث ، ويُلَيِّنُ بذلك حديثه ، وإذا ضعف رجلًا فانظر هل وافقه غيره على تضعيفه ، فإن وافقه فهو ضعيف ، وإن وثقه أحد فهذا الذي قالوا فيه : لا يقبل تجريحه إلا مفسراً (185)، وليس كل جرح يكون قادحاً حتى ولو كان مفسراً فلم يجرحوا مخالفيهم من أهل الأهواء والبدع إلا إذا كانت بدعته تؤدي إلى ردٍّ اصل او معلوم من الدين بالضرورة أو أن يكون داعية إلى بدعته لأن الداعية قد يحمله تزيين بدعته على تحريف الروايات وتسويتها على ما يقتضيه مذهبه ، أو لم يكن داعية ولكن حديثه موافق لما يدعو إليه ، ويرون في ذلك كله ما يشكك في صدقه وأمانته ، فالخلاف في التجريح والتوثيق امر يرجع إلى الشك بصدق الراوي وعدالته وضبطه لما يرويه ، وليس إلى مجرد الخلاف، وهو قاعدة ثابتة عند المحدثين (186)، لذلك وجدنا أصحاب الكتب الستة وفي مقدمتهم الشيخان يحتجون بأحاديث جماعة من المبتدعة الثقات في كتبهم ما داموا مستوفين لشروط الرواية، وإنما انطلقوا من قواعد متينة، فاشترطوا في الجارح شروطاً عالية ، ومؤهلات دقيقة ، وجعلوا لذلك آداباً وأحكاماً ، وجوزوه بقدر الحاجة ، ولم يقبلوا منه إلا ما كان موافقاً للأصول والقواعد، فجاءت أحكامهم في منتهى الدقة والنزاهة وأوجدوا لنا من الناحية التاريخية سلسلة لتراجم متصلة لجميع الأشخاص الذين رووا الاحاديث(187).

183) ينظر: اختصار علوم الحديث 293/1 معرفة الرواة المتكلم فيهم بما لا يوجب الرد / 49 هدي الساري / 436 نزهة النظر / 193.

184) ينظر: جامع بيان العلم 2/ 1093 جوابُ المنذري عن أسئلة في الجرح والتعديل ص: 83 ذكر من يُعتمد قوله في الجرح والتعديل ص: 172.

185) ينظر: شروط الأئمة الستة، لابن طاهر ص: 104 الفروسية (ص: 62 ميزان الاعتدال 1/ 2.

186) ينظر: ذكر من يعتمد قوله في الجرح والتعديل ص: 158 شرح علل الترمذي 877/2 تحرير علوم الحديث 1/ 217.

187) ينظر: الشذا الفياح من علوم ابن الصلاح 2/ 742 فتح المغيث 352/4.

الخاتمة

فبعد هذا العرض تبين ما يلي:

- الحداثة اتجاه عقلي له رؤية خاصة في نقد النصوص والموروث الديني والاجتماعي والسياسي وان كانت عشوائية غير منهجية.
- جنى الحداثيون على القواعد والثوابت فأوجد لهم موقفا معاديا لها بالتأويل المنحرف والنقد المنفلت والقراءات التعسفية.
- استند الحداثيون على شبهات السابقين حول حجية السنة النبوية وعدم صلوحيتها للاحتجاج.
- سلك الحداثيون منهج اجتزاء النص والاعتماد على مصادر ليست في مجال البحث والاختصاص ووضعها في غير موضعها، لتمرير مزاعمهم.
- تفتقر مزاعم الحداثيين حول السنة النبوية الى حجج وبراهين صحيحة، وليس مغالطات ملفقة الغرض منها تمرير سياسات عمياء تهدم كل ما هو علمي ورصين.
- صرامة قواعد المحدثين ورصانتها كفيلة بدحض مناقضات الحداثيين فهم لا يتصورون كيف يتم فحص الراوي وفحص حديثه حتى يحكم بأنه ضابط، ولا حتى الأحاديث التي انفرد بها، وكم هي نسبة الانفراد.
- مغالطاتهم حول الإسناد والحكم على الرجال منتفية بمنهج القرآن، لانه الذي دعا الى التثبت في قبول الأخبار.
- البحث عن الإسناد منذ العهد الأول، ووضع الضوابط للرواية كشف الحديث الموضوع .
- حجية القرآن الكريم لم تكن من كتابته، وان وجود السنة النبوية الى جنبه ضرورة دينية لبيانه وتفصيله، وان كانت بعض أحكامه واضحة فلا بدَّ من تفصيل تطبيقي لها.
- حفظ الله تعالى السنة النبوية كما حفظ كتابه، بتوفيق علماء الحديث بوضعهم قواعد علمية دقيقة في نقد السند والمتن معًا للحكم على صحة الحديث.
- النصوص الشرعية متوافقة كلها، فلا تعارض ولا تنافر ولا تضارب بينها، والتعارض الذي يراه الانسان إنما هو بحسب ما ظهر له فقط، لكونه يتوهَّم ما ليس بدليل دليلًا، أو لتصوُّره أنهما يدلَّان على حكمين مختلفين، فقد يكونان متوافقين عند غيره.
- خضعت السنة النبوية لمنهج نقدي دقيق في جميع مراحلها ، وقد وضع علماء الحديث شروطاً لقبولها، ونقلها عبر الأجيال بأمانة واتقان ووصلت سليمة من الشوائب، وهذا ليس له نظير عند غير المسلمين.
- نقد المتن جزء من الحكم على الحديث، بخلوِّه من علة أو شذوذٍ، وان رواية الحديث بالمعنى كانت موضع حرج لا تباح الا بشرط المعرفة بالعربية ومعانيها.
- اشترط المحدثون لقبول الحديث العدالة والضبط، مع سلامة النقل، من القوادح الظاهرة والخفية، ووضعوا شروطاً في الرواية المكتوبة ايضا من تسلسل سند الكتاب من راوٍ إلى آخر حتى يبلغ المؤلِف، وعليها ثبته وسماعاته فهي أكبر دليل على صحة منهجهم ورصانته.
- ضرورة قراءة مناهج المحدثين، والاطلاع عليها للتعرف على دقتهم ومساهمتهم في تكوين الملكة العلمية للمتخصصين وتمكين غيرهم كيفية التعامل مع الشبهات ومحاربة الجهل بأحكام الشريعة والسنن النبوية بنشر الحق.
- العمل على تطوير الخطاب الاسلامي وتقريبه، ودراسة الشبهات وتفنيدها وتنشيط الاستكتاب لمعالجة تلك القضايا، لمنع التأثر بالفلسفات الغربية بما يتلاءم مع روح العصر وأدواته وتوظيف الإعلام لخلق الوعي السليم ونشر الإسلام.

المصادر والمراجع

- الاتجاهات العقلية الحديثة، ناصر عقل، دار الفضيلة، الرياض، الطبعة الأولى، 1422هـ.
- الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، محمد محمد حسين، دار الرسالة، المملكة العربية السعودية، مكة، الطبعة التاسعة، 1992م.
- أحاديث العقيدة التي يوهم ظاهرها التعارض في الصحيحين لسليمان الدبيخي
- الأَحْكَام فِي أُصُول الأَحْكَام . الآمدي ، (ت 631 هـ) ، الطَبْعَة الأُولَى ، دَار الكِتَاب العَرَبِيّ ، بَيْرُوْت ، 1404هـ
- الإحكام في أصول الأحكام: لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد حزم الظاهري (ت456 هـ)، دار الحديث، القاهرة: (1426هـ 2005م).
- أخوان الصفا رواد التنوير في الفكر العربي، الدكتور محمد إسماعيل، عامر للطباعة والنشر، المنصورة، الطبعة الأولى، 1996م.
- الأدب العربي المعاصر في مصر، الدكتور شوقي ضيف، دار المعارف، الطبعة العاشرة.
- أدبنا وأدباءنا في المهاجر الأمريكية، جورج صيدح، معهد الدراسات العربية العالمية، جامعة الدول العربية، القاهرة، 1956م.
- إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول: لمحمد بن علي الشوكاني (ت1250هـ)، دار ابن كثير، بيروت، الطبعة الأولى: 2000م).
- أزمة الفكر الإسلامي المعاصر، الدكتور محمد عمارة، دار الشرق الأوسط للنشر.
- أزهار الشر، شارل بودلير، ترجمة إبراهيم ناجي، دار العودة، بيروت، 1977م.
- الإسلام بين التنوير والتزوير، الدكتور محمد عمارة، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الثانية، 1423هـ/2002م.
- الإسلام شريعة الزمان والمكان، عبد الله ناصح علوان، دار السلام -بيروت، ط1، ب -ت: 5.
- الإسلام هو القرآن وحده» مجلة المنار المجلد 912/9 - 913 و
- الإسلام والحداثة، عبد المجيد الشرفي، الدار التونسية، تونس، الطبعة الثانية، 1991م.
- أسئلة الشعر في حركة الخلق وكمال الحداثة وموتها، منير العكش، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، الطبعة الأولى، 1979م.
- الإشكالات الفكرية والاستراتيجية، د.السيد ولد أباه، الدار العربية للعلوم، بيروت، الطبعة الأولى، 1425هـ/2004م.
- إشكاليات الفكر العربي المعاصر، محمد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الأولى، 1989م.
- أصول السرخسي: لأبي بكر بن محمد بن أبي سهل السرخسي (ت 490هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: 1993م).
- أصول الفقه الإسلامي ، لمحمد أبو زهرة ، (ت 1411 هـ) ، دار الفكر العربي القاهرة ، طبع دار الفكر العربي ، سنة 1958م .
- أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، محمد الطاهر عاشور، المؤسسة الوطنية - الجزائر، ط2، ب-ت
- أضواء على السنة النبوية محمود ابو ريه، دار المعارف القاهرة الطبعة الثالثة
- الاعتصام: لأبي إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي الغرناطي، دار المعرفة، بيروت، لبنان: (1402هـ 1982م).
- إعلام الموقعين عن رب العالمين : للإمام شمس الدين بابن قيم الجوزية (ت 751 هـ)، دار الفكر ، بيروت ط2/ 1977م .
- إلياس أبو شبكة حياته وشعره، رزوق فرج رزوق، دار الكتاب اللبناني، بيروت، الطبعة الأولى، 1956م.
- الأمثال الشعبية في نجد، عبد الكريم الجهيمان، دار أشبال العرب، الرياض، 1403هـ
- الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث ، لأبي الفداء عماد الدين بن كثير ، (ت 774هـ) ، مطبعة الأمان ، بغداد 1989م .
- البحر المحيط في أصول الفقه: لبدر الدين الزركشي: (ت794هـ)، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، الطبعة الأولى: 1989م).
- بدر شاكر السياب ـ رائد الشعر العربي الحديث، حيدر توفيق بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1990م.
- بدر شاكر السياب حياته وشعره، عيسى بلاطة، دار النهار للنشر، بيروت، الطبعة الأولى، 1971م.
- البرهان في أصول الفقه: لأبي المعالي الجويني (ت478هـ)، ، دار الوفاء للطباعة والنشر، المنصورة، الطبعة الأولى: (1418هـ 1998م).
- تأريخ الدعوة إلى العامية وآثارها في مصر، نفوسة زكريا سعيد، دار المعارف، مصر، الطبعة الثانية، 1980م.
- تأملات مالك بن بني، مالك بن بني، دار الفكر المعاصر، بيروت، الطبعة الثانية، 2002م.
- التبصرة في أصول الفقه: لأبي إسحاق الفيروزآبادي الشيرازي (ت476هـ)، ، دار الفكر، دمشق، عن الطبعة الأولى في سنة(1980م).
- التجديد في الشعر الحديث ـ بواعثه النفسية وجذوره الفكرية، يوسف عز الدين، النادي الأدبي الثقافي بجدة، الطبعة الأولى، 1986م.
- التجديد في الفكر الإسلامي، د.عدنان محمد إمامة، دار ابن الجوزي، السعودية / الدمام، الطبعة الأولى، 1424هـ
- تحرير العقل من النقل وقراءة نقدية لمجموعة من أحاديث البخاري ومسلم، سامر إسلامبولي، 2015 م، القاهرة،
- تحرير علوم الحديث: لعبد الله بن يوسف الجديع، مؤسسة الريان، الطبعة الثانية: (1425هـ 2004م).

- تدريب الراوي :للإمام عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت911هـ) ، مكتبة الرياض الحديثة ، المملكة العربية السعودية ، بدون تاريخ .
- التراث والحداثة ـ دراسات ومناقشات، محمد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الأولى، 1991م.
- تفسير الرازي المسمى مفاتح الغيب : للإمام الفخر الرازي ، مكتبة عبد الرحمن محمد ، القاهرة ، ط1/ بدون تاريخ .
- تفسير الطبري :لأبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري (ت310هـ)،دار الفكر بيروت ، ط/1405هـ .
- تقريب الأصول إلى علم الأصول: لأبي القاسم محمد بن أحمد بن جزي (تـ 741هـ)،، دار النفائس، الأردن، بدون رقم وسنة الطبعة.
- التقييد والإيضَاح شَرْح مقدمة ابن الصلاح ، لزين الدِّين العراقي ، (ت 806هـ) ، دَار الفكر للطباعة ، ط1 ، بَيْرُوْت ، 1966م
- تلاقي الأطراف ـ قراءة أولى في نماذج من أدب المغرب العربي الكبير، المغرب, الجزائر, تونس، عبد العزيز المقالح، دار التنوير، بيروت، الطبعة الأولى، 1987م.
- تَهْذِيب الكَمال فِي أسماء الرجال ، المزي ، ، مؤسسة الرِسَالَة ، بَيْرُوْت ، ط1 ، ج 1 سنة 1400 هـ ـ 1980م ، و ج 2 سنة 1982م
- تيسير التحرير: أمير باد شاه ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي: (1351هـ).
- الثابت والمتحول ـ بحث في الأتباع والإبداع عند العرب، أدونيس، وهو من ثلاثة أجزاء: الجزء الأول: الأصول، دار الساقي، بيروت، الطبعة السابعة، 1994م. الجزء الثاني: تأصيل الأصول، دار العودة، بيروت، الطبعة الثانية، 1979م. الجزء الثالث: صدمة الحداثة، دار العودة، بيروت، الطبعة الأولى، 1978م.
- ثرثرات في شتاء الأدب العربي، عبد العزيز المقالح، دار العودة، بيروت، الطبعة الأولى، 1983م.
- جَامِع الْبَيَان عن تأويل آي الْقُرْآن ، مُحَمَّد بن جَرِير الطَّبَري ، (ت 310هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 1 ، 1412هـ .
- الجامع لأحكام القرآن : محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج القرطبي (ت 671 هـ) دار الشعب ، القاهرة ، ط2 / 1372 هـ .
- جدلية الخفاء والتجلي، كمال أبو ديب، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثالثة، 1984م.
- جذور الانحراف في الفكر الإسلامي الحديث، جمال سلطان، مركز الدراسات الإسلامية، برمنجهام/ بريطانيا، الطبعة الأولى، 1412هـ/ 1991م.
- جماعة أبوللو وأثرها في الشعر الحديث، عبد العزيز الدسوقي، معهد الدراسات العربية، القاهرة، الطبعة الأولى، 1960.
- جوابُ المنذري عن أسئلة في الجرح والتعديل ص: 83
- الحجاب، جمال البنا، دار بترا، دمشق، الطبعة الأولى، 2007م.
- حجية السنة: للدكتور عبد الغني عبد الخالق، دار القرآن الكريم، بيروت، الطبعة الأولى: (1407هـ 1986م).
- حداثة السؤال بخصوص الحداثة العربية في الشعر والثقافة، محمد بنيس، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، الطبعة الثانية، 1988م.
- الحداثة في الشعر المعاصر، محمد القدوسي، بيت الحكمة، القاهرة.
- الحداثة في الشعر، يوسف الخال، دار الطليعة، بيروت، الطبعة الأولى، 1978م.
- الحداثة في النقد الأدبي المعاصر، عبد المجيد زراقط، دار الحرف العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1991م.
- الحداثة في ميزان الإسلام، عوض القرني، دار هجر، الجيزة، الطبعة الأولى، 1408هـ/1988م.
- الحداثة مناقشة هادئة لقضية ساخنة، محمد خضر عريف، دار القبلة، جدة، الطبعة الأولى، 1412هـ
- الحداثة والتراث، محمد مصطفى هدارة، وهي محاضرة ألقيت عام 1406هـ/1986م وهي مطبوعة لدى مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.
- الحداثة وما بعد الحداثة، د. عبد الوهاب المسيري ود. فتحي التريكي، دار الفكر، دمشق، 2003م.
- حركة الحداثة في الشعر العربي المعاصر، كمال خير بك، دار المشرق، بيروت، الطبعة الأولى، 1982.
- حوار المشرق والمغرب، حسن حنفي ومحمد عابد الجابري وآخرون، مكتبة مدبولي، القاهرة، الطبعة الأولى، 1990م.
- درء تعارض العقل والنقل، لشيخ الإسلام -ابن تيمية- (تـ728هـ)، دار الحديث، القاهرة، (1427هـ 2006م).
- دراسات نقدية في ضوء المنهج الواقعي، حسين مروة، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، الطبعة الثالثة، 1986م.
- الدليل الأدبي ـ خلاصات وخصائص عصور وأدباء، جان الديك وسامي خوري، الأهلية للنشر، بيروت، الطبعة الأولى، 1974م.
- رأيهم في الإسلام ـ حوار صريح مع أربعة وعشرين أديباً عربياً، روك باربولسكو وفيليب كاردينال، تعريب ابن منصور العبد الله، دار الساقي، لندن، ط2، 1990م.

- الرسالة: محمد بن إدريس الشافعي (تـ 204 هـ)، بتحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان.
- روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه: لموفق الدين بن قدامة، مؤسسة الريان، للطباعة، بيروت، الطبعة الأولى : (1998 م).
- زاد المعاد في هدي خير العباد : للإمام شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت751هـ) ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط1410/14هـ1990-م .
- سُبُل السَّلام شَرْح بلوغ المَرَام من جمع أَدلَّة الأَحْكَام . الأمير الصَّنْعاني ، ، دَار إِحْيَاء التُّرَاث العَرَبِيّ ، الطَّبْعَة الرابعة ، بَيْرُوْت ، 1960م .
- سُنَن أَبِي دَاوُد . لأبي دَاوُد سُليمان بن الأشعث السِّجِسْتَاني الأزدي ، (ت 275هـ) ، دَار الفكر للطباعة والنشر ، بلا تاريخ :.
- سُنَن التِّرْمِذيّ ، لأبي عيسى مُحَمَّد بن عيسى التِّرْمِذيّ السُّلَمِيّ ، (ت 279هـ) ، دَار إِحْيَاء التُّرَاث العَرَبِيّ ، بَيْرُوْت ، بلا تاريخ .
- سير أعلام النبلاء ، مُحَمَّد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي ، (ت 748هـ) ، الطبعة التاسعة ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1413هـ
- شبهة تعارض السنة مع القرآن // المصدر : منتديات أئمة الأوقاف المصرية // الكاتب: ش يوسف زهران https://a2ma.alafdal.net/ .
- الشعر العراقي الحديث ـ مرحلة وتطور، جلال خياط، دار الرائد العربي، بيروت، الطبعة الثانية، 1987م.
- الشعر المعاصر، محمد بنيس، دار توبقال، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1990م.
- شعرنا الحديث إلى أين، غالي شكري، دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الثانية، 1978م.
- شفاء الصدر بنفي عذاب القبر إسماعيل منصور 117/1، و
- الصحابة والمجتمع، خليل عبد الكريم، د.ت، ص 380 مجلة المنار المجلد97/19
- الصحوة الإسلامية وهموم الوطن العربي والإسلامي، د.يوسف القرضاوي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثالثة، 1418هـ/1997م.
- صَحِيْح الْبُخَارِيّ ، مُحَمَّد بن إسماعيل الْبُخَارِيّ الجعفي (ت 256هـ) ، دَار ابن كثير ، ودار اليمامة ، بَيْرُوْت ، ط3 ، 1987م .
- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- صحيفة (المسلمون) ع1412/4/3524,25هـ ص9.
- صحيفة الحوار المتمدن، يومية الكترونية، تصدر عن مؤسسة الحوار المتمدن : www.ahewar.org.
- صحيفة الندوة، يومية، المملكة العربية السعودية ـ مكة.
- صحيفة عكاظ، يومية، المملكة العربية السعودية ـ جدة.
- صيانة صحيح مسلم من الإخلال والغلط ، عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري ، الطبعة الثانية ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1408هـ.
- الطرق الحكمية : ابن قيم الجوزية ، (ت 751 هـ) ، دار المدني ، المملكة العربية السعودية ط/بدون تاريخ .
- طلبة الطلبة في الاصطلاحات الفقهية: لأبي حفص عمر بن محمد النسفي (تـ537 هـ)، دار النفائس، للطباعة، الطبعة الأولى: 1995 م.
- عالم ما بعد 11 سبتمبر 2001 ـ
- العصرانية في حياتنا الاجتماعية، عبد الرحمن بن زيد الزنيدي، دار المسلم، الرياض، الطبعة الأولى، 1415هـ
- العصرانيون ـ بين مزاعم التجديد وميادين التغريب، محمد حامد الناصر، مكتبة الكوثر للنشر والتوزيع، الرياض،الطبعة الثانية، 1422هـ/2001م.
- علم أصول الفقه: عبد الوهاب خلاف، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية: (2008م).
- علم التخريج ودوره في خدمة السنة النبوية - عبد الغفور البوشلي ص: 119.
- علوم الحديث ، لابن الصلاح ، (ت 643 هـ) ، دار الفكر ، دمشق ، 1986م .
- فاتحة لنهايات القرن ـ بيان الحداثة، أدونيس، دار العودة، بيروت، 1980م.
- فَتْح البَاري شَرْح صَحِيْح الْبُخَارِيّ ، بن حَجَر العَسْقَلاني ، (ت 852 هـ) دَار المَعْرِفَة ، بَيْرُوْت ، ط1 ، 1379هـ .
- فلسفة التنوير ـ بين المشروع الإسلامي والمشروع التغريبي، أ.د. محمد السيد الجليند، دار قباء، القاهرة، 1999م.
- في الشعر والنقد، منيف موسى، دار الفكر اللبناني، بيروت، الطبعة الأولى، 1985م.
- في قضايا الشعر العربي المعاصر ـ دراسات وشهادات، محمود أمين العالم وآخرون، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، ط1، 1988م.
- القاموس المحيط : لمحمد بن يعقوب الفيروزآبادي ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، دار المعرفة ، بيروت ، ط1401/2 هـ - 1981 م .
- قبل السقوط، د. فرج فودة، دار ومطابع المستقبل، الفجالة الاسكندرية ـ مصر، الطبعة الثانية، 2004م.
- القديم والجديد في الشعر العربي الحديث، واصف أبو الشباب، دار النهضة العربية، بيروت، 1988م.

- قضايا الشعر الحديث، جهاد فاضل، دار الشروق، بيروت، الطبعة الأولى، 1984م.
- قضايا وشهادات ـ كتاب ثقافي دوري، هيئة التحرير: عبد الرحمن منيف، فيصل دراج، سعد الله ونّاس، جابر عصفور، العدد الأول والثاني والثالث، إصدار مؤسسة عيبال، قبرص، 1990م.
- قول في النقد وحداثة الأدب، يوسف عز الدين، دار أمية، الرياض، الطبعة الأولى، 1407هـ/1987م.
- الكامل في ضعفاء الرجال : عبد الله بن عدي الجرجاني ، (ت 395 هـ) ، دار الفكر ، بيروت ، ط 3/ 1409 هـ ـ 1988 م .
- الكشاف عن حقائق الترتيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: الزمخشري ، مكتبة مصر ، رقم الإيداع: (10650)لسنة: (2000م).
- كشف الأسرار شرح المصنف على المنار: لأبي البركات النسفي (ت710هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، بدون رقم وسنة الطبعة.
- الكفاية في علم الرواية ، أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي ، (ت 463 هـ) ، المكتبة العلمية ، المدينة المنورة ، بلا تاريخ .
- كلا ثم كلا ـ كلا لفقهاء التقليد كلا لأدعياء التنوير، جمال البنا، دار الفكر الإسلامي، القاهرة.
- اللآلئ المصنوعة فِي الأَحَادِيْث الموضوعة ، عبدالرحمن بن أَبِي بَكْرٍ السيوطي ، (ت 911 هـ) ، دَار المَعْرِفَة لَبْنَان ، ط3 ، 1981م .
- لِسَان العَرَب ، جمال الدِّين مُحَمَّد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري ، (ت 711هـ) ، دَار صادر ، بَيْرُوْت ، ط1 ، 1968م.
- لسان الميزان: بن حجر العسقلاني ، دائرة المعرف النظامية، الهند، مؤسسة الأعلمي، للمطبوعات، بيروت، الطبعة الثالثة: 1986 م).
- لمحات من تاريخ السنة وعلوم الحديث للأستاذ أبو غدة ص 160.
- مائة سؤال عن الإسلام للشيخ محمد الغزالى43/1.
- المجتمع المتكافل في الإسلام، د.عبد العزيز الخياط، مؤسسة الرسالة -بيروت، ط2 ، 1401هـ1981-م
- المجتمع المسلم كما يبينه الإسلام في الكتاب والسنة : ص 12.
- مجلة الآداب، شهرية، لبنان ـ بيروت.
- مجلة الأسبوع العربي، أسبوعية، لبنان ـ بيروت.
- مجلة البحوث الإسلامية، فصلية، الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية.
- مجلة الدستور، أسبوعية، بيروت، ثم انتقلت إلى لندن.
- مجلة الفيصل، شهرية، المملكة العربية السعودية ـ الرياض.
- مجلة المنار المجلد 851/11، شيخ المضيرة ص117.
- مجلة روزاليوسف العدد 3559 ص 48،
- مجلة فصول، فصلية، مصر ـ القاهرة.
- مجلة قضايا إسلامية معاصرة، فصلية، مركز دراسات فلسفة الدين، العراق-بغداد.
- المحصول في علم الأصول: محمد بن عمر بن الحسين، فخرالدين الرازي(ت606هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى: 1999م
- مدخل إلى الشعر العربي الحديث ـ دراسة ونقد، نذير العظمة، دار البلاد والنادي الأدبي الثقافي بجدة، الطبعة الأولى، 1408هـ/1987م.
- المدخل إلى توثيق السنة وبيان مكانتها في بناء المجتمع الإسلامي: رفعت فوزي - مطبعة السعادة- مكتبة الخانجي- الطبعة الأولى 1978م
- مدخل، لكتاب: ((الحداثة وما بعد الحداثة))، ابو اصبع، الدكتور صالح: (((لاحظ قائمة المصادر والمراجع العربية، الرقم 6).
- المذاهب التوحيدية، والفلسفات المعاصرة، محمد سعيد رمضان البوطي، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، 1429هـ/2008م.
- المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف المسلم منها، د. غالب بن علي عواجي، المكتبة العصرية الذهبية، جدة، ط1، 2006م.
- مذكرة في أصول الفقه على روضة الناظر لابن قدامة: محمد أمين الشنقيطي، مكتبة العلوم والحكم، دمشق، سوريا، الطبعة الثالثة2004م).
- المذهبية الإسلامية والتغير الحضاري، د. محسن عبد الحميد، دار الكتب القطرية، 1984م.
- المرأة واللغة، د. عبد الله الغذامي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ـ بيروت، الطبعة الثالثة، 2006م.
- المستصفى من علم الأصول: لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي (ت505هـ)، ، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، لبنان.
- مستقبل الثقافة في مصر، د. طه حسين، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثانية، 1996م.

- مسلم كتاب الحيض باب الوضوء مما مست النار 271/1 يرقم 352 .
- مُسْنَد أَحْمَد بِن حَنْبَل ، لأبي عبدالله أَحْمَد بن حنبل الشَّيْبَانِيّ ت 241هـ) ، دَار المعارف للطباعة والنشر بمصر ، 1368 هـ ـ 1949م .
- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير : أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي ، المكتبة العلمية ، بيروت ، ط/بدون تاريخ .
- معارك أدبية قديمة ومعاصرة، عبد اللطيف شرارة، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الأولى، 1984م.
- مَعَالِم التَّنْزِيل المعروف بـ(تَفْسِيْر البغوي) ، الحسين بن مسعود الفراء البغوي ، (ت 516هـ) ، دَار المَعْرِفَة ، بَيْرُوْت ، ط2 ، 1987م
- المعتمد في أصول الفقه: محمد بن علي بن الطيب البصري (ت436هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: (2004 م).
- معرفة علوم الحديث ، مُحَمَّد بن عبد الله الحاكم النيسابوري ، (ت 405 هـ) ، الطبعة الثانية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1977م
- مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة: السيوطي (المتوفى: 911هـ)الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة الطبعة: الثالثة، 1409هـ/1989م
- مقدمة في تطور الفكر الغربي والحداثة، سفر الحوالي، نسخة (word)، وهو منشور على موقعة: www.alhawali.com .
- مقدمة للشعر العربي، أدونيس، دار العودة، بيروت، الطبعة الرابعة، 1983م.
- من محمد الإيمان إلى محمد التاريخ، العفيف الأخضر، 2014 م، مكتبة بغداد، منشورات الْمل، الطبعة الأولى
- منهاج المحدثين في القرن الأول الهجري وحتى عصرنا الحاضر : على عبد الباسط مزيد: الهيئة المصرية العامة للكتاب
- منهج التوثيق والترجيح بين مختلف الحديث وأثره في الفقه الإسلامي عبد المجيد الوسنة.
- المنهل الروي في مختصر علوم الحديث النبوي ، بن جماعة ، الطبعة الثانية ، دار الفكر للطباعة والنشر ، دمشق ، 1406هـ .
- الموافقات فِي أُصُول الْفِقْه ، لأبي إسحاق إبْرَاهِيم بن موسى الشاطبي ، (ت 790هـ) ، ، دَار المَعْرِفَة ، بَيْرُوْت ، بلا تاريخ .
- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، الندوة العلمية للشباب الإسلامي، الرياض، الطبعة الثانية، 1409هـ/1989م.
- الموقظة : عبد الكريم الآلوسي ، مطبعة الخلود ، العراق ، ط1/ 1992 م .
- الموقف من الحداثة ومسائل أخرى، د. عبد الله الغذامي، الطبعة الثانية، 1412هـ/1991م.
- مِيْزَان الاعْتِدَالَ في نقد الرجال ، لأبي عبدالله شمس الدِّين الذَّهَبي ، (ت 748هـ) ، دَار الكتب العلمية ، بَيْرُوْت ، ط1 ، 1995م .
- نبت الصمت ـ دراسة في الشعر السعودي، شاكر النابلسي، العصر الحديث، بيروت، الطبعة الأولى، 1412هـ/1992م.
- ندوة مواقف ـ الإسلام والحداثة، حسن حنفي، ومحمد أركون وآخرون، دار الساقي، لندن، الطبعة الأولى، 1990م.
- نزهة النظر ، شهاب الدين أحمد بن علي بن محمّد الكِنَاني العَسْقلاني (ت 852هـ) ، مكتبة التوعية الإسلامية ، بيروت ، 1989م .
- نظرية البنائية في النقد الأدبي، صلاح فضل، إلانجلو المصرية، القاهرة، 1978م.
- نظرية البنائية في النقد الأدبي، صلاح فضل، إلانجلو المصرية، القاهرة، 1978م.
- النقد الأدبي الحديث، محمد غنيمي هلال، دار الثقافة/ دار العودة، بيروت، 1973م.
- نقد الخطاب الديني أبو زيد، الدكتور نصر حامد: ، ط4، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2003م.
- نقد ثقافي أم نقد أدبي؟، د. عبد الله محمد الغذامي ود. عبد النبي صطيف، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، 1425هـ/2004م.
- النكت والعيون، أبو الحسن علي بن محمد الماوردي (ت: 450هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان
- نيل الأوطار : لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت1250هـ) ، دار الجيل ، بيروت ، ط/1972م .
- الهجوم على السنة النبوية هدفه التشكيك في الإسلام، جمال سالم، https://www.alkhaleej.ae/،
- هذه مشكلاتهم، محمد سعيد رمضان البوطي، دار الفكر المعاصر، بيروت، ودار الفكر، دمشق، الطبعة السابعة، 1427هـ/2006م.
- يغالطونك، إذ يقولون ـ أسلوب حوراي يكشف عن مغالطات خطيرة في موضوعات هامة، محمد سعيد رمضان البوطي، دار الفارابي ـ دار اقرأ، دمشق، الطبعة الثالثة، 1421هـ/2000م.

البحث التاسع

المشروع الحداثي لقراءة السنة النبوية:
إنكار وحيية السنة ومفهوم الأنسنة

Modernity project to read the Sunnah:
Denial of the Sunnah and the concept of humanisation

د. حنان خياطي: أستاذة التعليم العالي مساعد-جامعة شعيب الدُكَالي.
مختبر دراسات الفكر والمجتمع -كلية الآداب والعلوم الإنسانية -الجديدة / المغرب.

Dr. Hanane khiyati- Researcher in Islamic Thought

Thought and Society Studies Laboratory - Faculty of Letters and Human Sciences - El Jadida/ Morocco

Email: khiyatih@gmail.com

الواتساب :212660288391

الملخص:

اهتمَّ المسلمون بالسُّنّة النبوية اهتماما فائقا، وقدّموا في سبيل خدمتها جهدا معتبرا، ولعلّ من أبرز جهود المعاصرين في خدمتها؛ دفعُ شبهاتِ وردُّ طُرُوحات وكشف مفتريات الحداثيين العرب، الذين كانت لهم عديدُ المحاولات الآثمةِ التي تهدفُ إلى العبثِ بها ونبذها ومحاولة إلغائها وجعلها قابلة للنّقد والردّ، إنّ العناية بهذا الجانب تُعتبر من الجهود المعاصرة الضرورية في النهوض بها، والتي تَنظَمُّ وتُضاف إلى جهود العلماء الأوائل في الذود عن السنّة المطهّرة. هذا وإنّ الحداثة العربية في حقيقتها تمثّلُ امتدادًا للحداثة والاستشراق الغَرْبِيين، حيث ردّدت شبهات الغرب حول السُّنة وزادت عليهم الكثير، فأنكرت صفة الوحي عن السّنة وادّعت عدمِ حجيتها وشكّكت في طريقة تدوينها، ودعت إلى تسويتها بسائر الخطابات البشرية، وزعمت أنها مجرّدُ تراثٍ لغوي، وأنها سببُ تخلّف المسلمين، كما طعن رُوّادُها في المحدّثين ومصنفاتهم، وانتقصوا من المناهج التُّراثية النَّقدية لعلم مصطلح الحديث، واستبدلوها بمناهج غرْبيَّة غرِيبَة عن التصور الإسلامي، كالمنهج التاريخي، والهرمنيوطيقي، والتفكيكي، لقد كان للقراءة الحداثية الأثر السَّيئ على السُّنة، حيث استطاعت أن تجلب إليها جمهرةً واسعةً من المثقفين المسلمين الذين انخدعوا بطروحاتها، مما يستوجب بذل الجهد الكبير لأجل صدِّ وتعرية هذا الفكر المنحرف وحماية الأُمَّةِ منه.

الكلمات المفتاحية: السنة النبوية -الحداثة -القراءة الحداثية -إنكار الوحي.

Abstract :

Muslims paid great attention to the Sunnah of the Prophet, and made great efforts in its service.

Perhaps one of the most prominent efforts of contemporaries in its service; Raising suspicion and exposing the fabrications of the Arab modernists, who made many attempts to manipulate it and try to cancel it and make it subject to criticism and response.

Paying attention to this aspect is one of the necessary contemporary efforts to advance the Sunnah of the Prophet.

The modernist reading had a bad effect on the Sunnah of the Prophet, as it was able to bring to it a large number of Muslim intellectuals who were deceived by its words, which calls for making a great effort to repel this deviant thought, and protect the nation.

Keywords: The Sunnah of the Prophet - modernity - modernist reading - denial of revelation

مقدمة:

تعرضت السنة النبوية لهجمات شرسة ,تمثلت في إثارة الشبهات حول حجيتها ,فسلك منكروها طرقا متعددة لإنكارها جملة وتفصيلا بعد التشكيك فيها ,فزعم بعضهم أن القران الكريم شمل كل ما يحتاج إليه المسلمون في حياتهم ,فلا حاجة لإقحام السنة في التشريع ,وأنها لم تكن وحيا منزلا ,وأن التحاكم إلى السنة والقضاء بوقفها يؤدي إلى الإشراك في الحكم ,وقد نهى الله عنه بقوله: (قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِ، مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ، إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ، يَقُصُّ الْحَقَّ، وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ) الأنعام 57, وغير ذلك من الشبهات المثارة حول السنة وحجيتها ,والقصد من ذلك هو هدم أسس الإسلام وتشكيك المسلمين في دينهم.

وإذا كان الله قد تكفل بحفظ القرآن من التحريف والتبديل، فإنه قد حفظ السنة أيضا، بأن وفق علماء الأمة من الصحابة والتابعين وتابعيهم من الفقهاء والمحدثين بحفظ ما نقل عن الرسول ﷺ، فكانوا جنودا حقيقين ندبوا أنفسهم لخدمة السنة والدفاع عنها وتوطيد دعائمها، ووضعوا بثاقب نظرهم في هذه المعركة مرتكزات علمية وفكرية انطلقوا منها للذب عن حياض السنة النبوية، فجددوا المصطلحات والمفاهيم التي أصبحت معالم في الطريق، وركيزتهم في المعركة لدحض كل شبهة يثيرها خصوم الإسلام.

ولا تقل جهود المعاصرين في خدمة السنة النبوية والدفاع عنها من خلال مواجهة الحداثيين العرب ودفعُ شبهاتِهم وردُّ طُرُوحاتهم وكشف مفترياتهم، وهم الذين كانت لهم عديدُ المحاولات الآثمةِ التي تهدفُ إلى العبثِ بها ونبذها ومحاولة إلغائها وجعلها قابلة للنّقد والردّ، إنّ العناية بهذا الجانب تُعتبر من الجهود المعاصرة الضرورية في النهوض بها، والتي تَنظَمُّ وتُضاف إلى جهود العلماء الأوائل في الذود عن السنّة المطهّرة. هذا وإنّ الحداثة العربية في حقيقتها تمثّلُ امتدادًا للحداثة والاستشراق الغَرْبِيين، حيث ردّدت شبهات الغرب حول السُّنة وزادت عليهم الكثير، فأنكرت صفة الوحي عن السّنة وادّعت عدمِ حجيتها وشكّكت في طريقة تدوينها، ودعت إلى تسويتها بسائر الخطابات البشرية، وزعمت أنها مجرّدُ تراثٍ لغوي، وأنها سببُ تخلّف المسلمين، كما طعن رُوّادُها في المحدّثين ومصنفاتهم، وانتقصوا من المناهج التُّراثية النَّقدية لعلم مصطلح الحديث، واستبدلوها بمناهج غرْبيَّة غرِيبَة عن التصور الإسلامي.

وتهدف هذه الدراسة إلى الدفاع عن السنة النبوية وما تتعرض له من شبهات وتحريفات في فهمها وتفسيرها بهدف إبعادها من دائرة التأثير، تمهيدا لإقصائها جملة وتفصيلا فوجب التصدي لهم ومناقشتهم فيما ذهبوا إليه حتى لا تغتر بهم العامة ويظن الناس أن ما ذهبوا إليه صحيح ومقبول.

أهمية الموضوع:

كان للقراءة الحداثية الأثر السَّيئ على السُّنة، حيث استطاعت أن تجلب إليها جمهرةً واسعةً من المثقفين المسلمين الذين انخدعوا بطروحاتها، مما يستوجب بذل الجهد الكبير لأجل صدِّ وتعرية هذا الفكر المنحرف وحماية الأُمَّةِ منه.

من أهداف البحث:

بيان حجية السنة، والمساهمة في الذود عنها، وصد الهجمة المنظمة عليها، والتعريف بأوهام الحداثيين وافتراءاتهم واستجلاء مواقفهم منها.

ومن الإشكالات التي أود الإجابة عنها: ما مفهوم الحداثة وكيف نشأت؟ ما موقفها من السنة؟ ما هي دلائل الحداثيين في إنكار السنة النبوية؟ ولماذا الدعوة إلى أنسنتها كمدخل لرفضها مطلقا؟

الدراسات السابقة:

في حدود اطلاعي على الموضوع وجدت دراسات سابقة ومنها:

- القراءة الحداثية العربية للنص الديني (محمد أركون ونصر حامد أبو زيد نموذجا): محمد خالد الشايب، جاءت الدراسة للوقوف على النص الديني عند اثنين من أعلام الحداثة.
- الصلة بين الوحي والواقع في فكر حسن حنفي، محاولة للتفهم: بلال مقنعي: جاءت هذه الدراسات لمناقشة فكر علم من أعلام الحداثة، حسن حنفي من زاوية ثنائية الواقع والوحي.
- القراءة الحداثية للسنة النبوية عرض ونقد: الدكتور محمد بن عبد الفتاح الخطيب، حاولت الدراسة الوقوف ضد كل من يدعي قراءة النص المؤسس للشرعية في الإسلام.
- رد شبهات حول عصمة النبي في ضوء السنة النبوية الشريفة: عماد السيد محمد إسماعيل الشربيني، رسالة دكتوراه، حاول فيها الباحث الرد على الطاعنين في عصمة رسول الله صلى الله عليه وسلم.
- الحداثة في ميزان الإسلام: عوض بن محمد القرني، تكلم فيه عن الحداثة وجذورها التاريخية وعن أساليب الحداثيين في نشر فكرهم.
- مصطلح الوحي في الفكر العربي المعاصر بين الفكر والمحايثة: إلياس قويسم، أبرز فيه بعض تصورات النخب الفكرية العربية في قراءتها للنص الديني.
- الحداثة وموقفها من السنة النبوية، رسالة دكتوراه، إعداد: الحارث فخري الحارث عيسى عبد الله، استعرض فيه الباحث مواقف الحداثيين العرب من السنة النبوية بهدف استجلاء مواقف الخطاب الحداثي ومناقشته.
- مفهوم التأويل في فهم الحديث النبوي، دراسة تأصيلية نقدية تطبيقية: د عمار الحريري، بحث أعد للمشاركة في المؤتمر الدولي بعنوان التعامل مع النصوص الشرعية (القرآن والحديث) عند المعاصرين حاول من خلاله الباحث الوقوف على دلالة التأويل في الحديث النبوي، وكيف تعاملت معه الفرق والمذاهب لنصرة مذاهبها

منهج البحث: تسير هذه الدراسة على المنهج التاريخي، بالوقوف على مفهومي السنة والحداثة، والمنهج الوصفي النقدي، بوصف شبهات الحداثيين العرب من إنكار وحيية السنة ومفهوم الأنسنة، ثم الرد على هذه الشبهات.

وقد تضمن البحث العناصر التالية:

أولا: مفهوم السنة النبوية وأهميتها وحجيتها.

ثانيا: التعريف بالحداثة والحداثيين العرب.

ثالثا: القراءة الحداثية للسنة بين إنكار الوحي والأنسنة.

المبحث الأول: التأصيل المصطلحي لمفهوم السنة النبوية:

المطلب الأول: تعريف السنة لُغَةً واصطلاحا:

1 - في معنى السنة لغة:

وأما لُغَةً: فَهِيَ الطَّرِيقَةُ الْمَسْلُوكَةُ، وَأَصْلُهَا مِنْ قَوْلِهِمْ سَنَنْتُ الشَّيْءَ بِالْمِسَنِّ 1إِذَا أَمْرَرْتَهُ عَلَيْهِ حَتَّى يُؤَثِّرَ فِيهِ سَنًّا أَيْ: طَرِيقًا، وَقَالَ الْكِسَائِيُّ: مَعْنَاهَا الدَّوَامُ فَقَوْلُنَا: سُنَّةٌ مَعْنَاهُ الْأَمْرُ بِالْإِدَامَةِ مِنْ قَوْلِهِمْ: سَنَنْتَ الْمَاءَ إِذَا وَالَيْتَ فِي صَبِّهِ.

قَالَ الْخَطَّابِيُّ2:أَصْلُهَا الطَّرِيقَةُ الْمَحْمُودَةُ، فَإِذَا أُطْلِقَتِ انْصَرَفَتْ إِلَيْهَا، وَقَدْ يُسْتَعْمَلُ فِي غَيْرِهَا مُقَيَّدَةً كَقَوْلِهِ: «مَنْ سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً» وَقِيلَ: هِيَ الطَّرِيقَةُ الْمُعْتَادَةُ، سَوَاءٌ كَانَتْ حَسَنَةً أَوْ سَيِّئَةً، كَمَا فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ: «مَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمَنْ سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ».3

2 - في معنى السنة اصطلاحا:

وَأَمَّا مَعْنَاهَا شَرْعًا: أَيْ: فِي اصْطِلَاحِ أَهْلِ الشَّرْعِ فَهِيَ: قَوْلُ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفِعْلُهُ وَتَقْرِيرُهُ، وَتُطْلَقُ بِالْمَعْنَى الْعَامِّ عَلَى الْوَاجِبِ وَغَيْرِهِ فِي عُرْفِ أَهْلِ اللُّغَةِ وَالْحَدِيثِ، وَأَمَّا فِي عُرْفِ أَهْلِ الْفِقْهِ فَإِنَّمَا يُطْلِقُونَهَا عَلَى مَا لَيْسَ بِوَاجِبٍ، وَتُطْلَقُ عَلَى مَا يُقَابِلُ الْبِدْعَةَ كَقَوْلِهِمْ: فُلَانٌ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ.

قَالَ ابْنُ فَارِسٍ فِي «فِقْهِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ»4: وَكَرِهَ الْعُلَمَاءُ قَوْلَ مَنْ قَالَ: سُنَّةُ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، وَإِنَّمَا يُقَالُ: سُنَّةُ اللَّهِ وَسُنَّةُ رَسُولِهِ.

وَيُجَابُ عَنْ هَذَا بِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ قَالَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ: «عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْهَادِينَ عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ» 5. وَيُمْكِنُ أَنْ يُقَالَ: إِنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرَادَ بِالسُّنَّةِ هُنَا الطَّرِيقَةَ.

وَقِيلَ فِي حَدِّهَا اصْطِلَاحًا هِيَ: مَا يُرَجَّحُ جَانِبُ وُجُودِهِ عَلَى جَانِبِ عَدَمِهِ تَرْجِيحًا لَيْسَ مَعَهُ الْمَنْعُ مِنَ النَّقِيضِ.

وَقِيلَ هِيَ: مَا وَاظَبَ عَلَى فعله النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ تَرْكٍ مَا بَلَا عُذْرٍ.

وَقِيلَ هِيَ: فِي الْعِبَادَاتِ النَّافِلَةُ، وَفِي الْأَدِلَّةِ مَا صَدَرَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ غَيْرِ الْقُرْآنِ مِنْ قَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ أَوْ تَقْرِيرٍ، وَهَذَا هُوَ الْمَقْصُودُ بِالْبَحْثِ عَنْهُ فِي هذا العلم.

وتعريف السُّنَّة عند أهل الحديث يختلف عن تعريف السُّنَّة عند الأصوليين والفقهاء، إذ السُّنّة عند علماء الحديث أوسع من السُّنّة عند الفقهاء، وسيأتي تفصيل ذلك فيما يأتي:

تعريف السنة عند الأُصوليّين:

السنة في اصطلاح الأصوليين هي: ما نقل عن النبي -صلى الله عليه وسلم- من قول أو فعل أو تقرير مما يصلُح أن يكون دليلاً لحكم شرعي6، فعلماء أصول الفقه بحثوا عن النبي -صلى الله عليه وسلم- من حيث أنّه مشرِّع يبيِّن للناس دساتير حياتهم، ويُمهّد السبيل للمجتهدين من بعده، لأجل ذلك يبحث الأصوليون عن أقوال النبي -صلى الله عليه وسلم- وأفعاله وتقريراته التي تُثبت الأحكام الشرعية7.

---

1 - حجر يحدد به. أبي نصر إسماعيل بن عماد الجوهري الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، مراجعة: محمد محمد تامر، القاهرة، دار الحديث، (1430هـ2009-م)، مادة سنن.

2 - هو حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي، العلامة، فقيه، محدث. توفي سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة هجرية، وهو من ولد زيد بن الخطاب «أخي عمر»، وكانت ولادته سنة تسع عشرة وثلاثمائة هـ، من آثاره: «معالم السنن في شرح سنن أبي داود» «غريب الحديث» «أعلام السنن». ا. هـ سير أعلام النبلاء «17/ 23» معجم المؤلفين «2/ 61» الأعلام «2/ 273».

3 - أخرجه مسلم من حديث جرير بن عبد الله، كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة «1017». وابن ماجه، المقدمة «203». والترمذي، كتاب العلم، باب ما جاء فيمن دعا إلى هدى فاتبع أو ضلالة «2675» وقال: حسن صحيح. والنسائي كتاب الزكاة، باب التحريض على الصدقة «2553» 5/ 75. وابن حبان في صحيحه «3308».

4 - واسمه «فقه اللغة» لأبي الحسين، أحمد القزويني المعروف بابن فارس المتوفى سنة خمس وتسعين وثلاثمائة هـ وهو المسمى بالصاحبي؛ لأنه ألفه للصاحب كشف الظنون «2/ 288» ابن عباد.

5 - أخرجه الترمذي من حديث العرباض بن سارية، كتاب العلم، باب ما جاء في الأخذ بالسنة «2676» وقال: حسن صحيح. ابن ماجه في المقدمة «43». وأبو داود، كتاب السنة، باب لزوم السنة «4607».

الإمام أحمد في المسند «4/ 126». ابن حبان في صحيحه.

6 - ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط1، (1422هـ2001-م)، ص61.

7 - رواه الالباني، في منزلة السنة، عن مالك بن انس، الصفحة أو الرقم:13، حسن

تعريف السنة عند المُحدّثين:

إنّ للسُّنَّة عند المحدثين اصطلاحات عِدّة، فيُطلق عليها الحديث ويطلق عليها الأثر، وفيما يأتي آراء علماء الحديث في معنى السنة والأثر والخبر:8 يرى جمهور علماء الحديث أنّ السُّنّة والحديث والأثر بمعنى واحد، وهو الأولى بالاعتبار9.

ذهب بعضهم إلى أنّ السُّنة هي الأحاديث التي تُؤخذ منها التشريعات، فلا يدخل فيها الحديث المنسوخ، ولا صفات النبي -صلى الله عليه وسلم- الخَلقية، لأنّه لا يُؤخذ منها أحكام شرعية.

ذهب بعضهم إلى أنّ الخبر أوسع من الحديث، فهو يشمل ما ورد عن النبي -صلى الله عليه وسلم- وما ورد عن غيره، والحديث هو فقط ما نُقل عن النبي -صلى الله عليه وسلم-، فكلّ حديث خبر، وليس كلّ خبر حديثاً.

قال بعضهم الأثر هو ما نُسب إلى الصحابي أو التابعي، والحديث هو ما نُسب إلى النبي -صلى الله عليه وسلم-.

وإجمالاً فالحديث في اصطلاح المحدِّثين هو ما أُضيف إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- من قول، أو فعل، أو تقرير، أو صِفة خَلقية أو خُلقية، 10فيكون إطلاق السُّنَّة عند المحدثين أوسع منه عند علماء الأصول والفقهاء؛ لأنَّهم يبحثون عن النبي -صلى الله عليه وسلم- كونه قدوة، فكلّ ما يتَّصل به من سيرة، وشمائل، وخُلق، وأخبار، وأقوال، وأفعال، هو موضع اهتمامهم سواء كان يُثبت به حكم شرعي أم لا.11

تعريف السنة عند الفقهاء:

السُّنّة في اصطلاح الفقهاء هي: الصفة الشرعية للفعل المطلوب طلباً غير جازم بحيث يُثاب المرء على فعله، ولا يُعاقب على تركه.

وقد تُطلق السُّنّة عندهم على ما يقابل البدعة، مثل تقسيمهم الطلاق إلى طلاق سُنّي، وطلاق بِدعي؛ أي غير موافق للسُّنّة والأمر المشروع، فيُقال: إنّ هذا العمل سُنّة؛ أي مشروع له أصل في الشرع، سواء كان شَرْعه في الكتاب أو في السُّنة.12

والفقهاء بحثوا عن أفعال الرسول -صلى الله عليه وسلم -التي تدلُّ على حُكم شرعي؛ من وجوب أو حُرمة أو ندبٍ أو إباحة أو غير ذلك، فالسُّنة عندهم حُكم، أي هذا الفعل حكمه السُّنية والندب، فهو ليس فرضاً ولا واجبا.13

المطلب الثاني: أهمية السنة وحجيتها:

السنة مصدر في التشريع الإسلامي، وحجة في الفكر الإنساني، ولولاها ما اتضحت معالم الإسلام، ولا ظهرت معاني القرآن، ولا استنبطت أحكامه، ولم يقدم ايّ' كتاب أو حديث من الخير والهدى والصلاح للناس مثل ما قدم القرآن والسنة، وكيف لا وهما وحي من الله تعالى.

روى الأوزاعي عن حسان بن عطية أنه قال :(كان جبريل ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم بالسنة كما ينزل عليه بالقرآن)14

ولا يختلف المسلمون في حجية السنة وأهميتها. قال الشوكاني (إن ثبوت حجية السنة المطهرة، واستقلالها بتشريع الأحكام ضرورة دينية، ولا يخالف في ذلك إلا من لا حظ له في الإسلام)15,فكل سنة مجمع على صدورها من النبي صلى الله عليه وسلم فهي حجة شرعية لا يجوز ردها، وإن إنكار حجيتها موجب للرّدّة، كما قرّر ذلك علماء الإسلام16.

---

8 - عبد الكريم زيدان، المدخل إلى دراسة الشريعة الإسلامية، بيروت، لبنان، مؤسسة الرسالة ناشرون، ط1، (1425هـ2005-م)، ص180.

9- طاهر الجزائري الدمشقي، توجيه النظر إل أصول الأثر، بيروت، مكتب المطبوعات الإسلامية، ط1، (1416هـ1995-م)، ص 40.

10 - مصطفى السباعي، السنة ومكانتها في التشريع، المكتب الإسلامي، دار الوراق للنشر والتوزيع، ص 49.

11- محمود الطحان، تيسير مصطلح الحديث، الإسكندرية، مركز الهدى للدراسات ،1415هـ، ص ١٨-17.

12 - جمال الدين القاسمي، كتاب قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط 1، (1425هـ2004-م)، ص 61.

13 - محمد الشوكاني، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، تحقيق علي عبد الباسط، القاهرة، دار ابن الجوزي، ص 95.

14 -عبد الله بن بهرام الدارمي السنن القاهرة، مصر، دار إحياء السنة النبوية، ط1346/1, ج145/1.

15 - إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، المرجع السابق، ج 189/1.

16- ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله، تحقيق أبي الأشبال الزهيري، القاهرة، دار ابن الجوزي.

وقد تحدث السلف عن أهمية السنة، ومن ذلك قول الأوزاعي :(الكتاب أحوج إلى السنة من السنة إلى الكتاب)17

هذا وحققت السنة غايات كثيرة في مختلف مجالات الحياة ف (السنة النبوية فإنها جاءت بدعوة وهداية للإنسانية، تشمل جميع مناحي الحياة، وآفاق الإنسان والحضارة والثقافة، حتى إن طرقت شيئا من أبواب الأغراض الإنسانية المعروفة، فإنما تطرقه من باب سمة الإبلاغ لهذه الرسالة، وبيان الحكم الإلهي، أو الموعظة أو العبرة)18,كما لا يقتصر الحديث النبوي على الوعظ والترهيب والترغيب، بل (إن الأحاديث تقدم للإنسان علوما ومعارفا جديدة كل الجدة على المعارف العربية، بل على المعارف العالمية والإنسانية)19.

المبحث الثاني: الحداثة المفهوم والنشأة:

باتت «الحداثة «من أهم المصطلحات الفلسفية والفكرية المعاصرة إثارة للنقاش والأخذ والرد والجدل، ولذلك

سنسعى من خلال هذا المبحث إلى محاولة إيضاحها عن طريق تناول البعد الاشتقاقي لكلمة «الحداثة «ومن ثمة الإحاطة بمفهومها الاصطلاحي الغربي والعربي، ثم التطرق إلى سياقها التاريخي عبر ذكر أهم محطاتها وأسسها الفكرية.

يجمع أقطاب الخطاب الحداثي ونقاده, أن الحداثة العربية وليدة الحضارة الغربية ,وهي امتداد فكري وثقافي لما حدث ووقع في الغرب ,فقد نمت وترعرعت هناك ثم انتقلت الينا ,ف (في أصلها ونشأتها مذهب فكري غربي ولد ونشأ في الغرب ثم انتقل منه إلى بلاد المسلمين وكل ما يقوله الحداثيون في المجتمع العربي ليس إلا تكرارا ونقلا لما قاله حداثيو أوروبا وأمريكا ,وهم مجرد نقلة لفكر أعمدة الحداثة الغربية خضوعا مطلقا غير مبرر ,كموقفهم من نبوة محمد صلى الله عليه وسلم والوحي ,كما أنهم استعادوا المقولات الاستشراقية كلها ,كالتشكيك في مصدر القران)20

وإذا أردنا التدقيق أكثر في الجذور الأولى للحداثة العربية في هذا السياق، يقول بلقزيز:»ولدت الرؤية الحداثية في الثقافة العربية بتأثير فكرة الحداثة الغربية علينا، ودخلت أبوابنا من مدخل ادبي وفني يشهد على ذلك مسرح توفيق الحكيم وروايات نجيب محفوظ وشعر نازك الملائكة، وحركة (مجلة شعر).

وهو ما أشارت إليه الكاتبة الحداثية خالدة سعيد بقولها:» إن البداية الحقيقية للحداثة من حيث هي حركة فكرية شاملة قد أطلقت يوم ذاك؟»21

وقد تحول الحداثيون العرب إلى أداة لحماية الأفكار الغربية، وتقويض البنى الفكرية والفنية التقليدية وتشابك خليط الثقافات المستجلبة عبر وسائل الإعلام ومنتجاتها المدعمة للتصريح الثقافي الحداثي الغربي22 .وبالتالي فالحداثة العربية لم تنشأ وفق مقتضيات فكرية فلسفية عربية أصيلة، بل هي نتاج فكري غربي حاول الحداثيون العرب أقلمته مع المناخ العربي وأول الانطلاقة كانت بضرب الثوابت والتشكيك فيها.

المطلب الأول: مفهوم الحداثة الغربية والعربية:

أولا: الحداثة الغربية:

1 - الإشتقاق اللغوي للحداثة الغربية:

يمكن القول إن كلمة «حديث» هي الترجمة العربية للمصطلح الغربي Moderne وأشباهه في اللغات الأوروبية فكلمة Moderne مشتقة من الظرف الزماني اللاتيني Modo يعني «توا», والتي عبرت عن الاعتراض على ما هو قديم والذي كان يميز العصور اليونانية والرومانية القديمة عندما ظهرت في القرن 14م23,أما في اللغة الفرنسية فكلمة حداثة Modernité فمشتقة

17 - ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله، مرجع سابق، ص ١٩٣/1.

18 -نور الدين عثر، مكانة المجتمع في مقاصد السنة الأساسية، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية، دبي الإمارات، العدد 9 ,1995, ص 68.

19 -المصدر نفسه، ص 68.

20 -قاسم شعيب، فتنة الحداثة، المغرب، نشر المركز الثقافي العربي، ط 1 ,2013 م، ص 93.

21 -خالدة سعيد، الملامح الفكرية للحداثة، مجلة فصول، 1984م، العدد :3.

22 -إيمان أحمد الغزاوي، الحداثيون العرب وموقفهم من القرآن، ظاهرة الوحي أنموذجا، مجلة، دراسات وعلوم الشريعة والقانون، مجلد 43,عدد 1, 2016 , ص3.

23- محمد الدين أفاية، الحداثة والتواصل في الفلسفة النقدية المعاصرة، بيروت، إفريقيا الشرق,1998م، ص 107.

من الجذر Mode وهي الصفة والشكل، أو هوما يبتدئ به الشيء24 .أما عن أول من استعملها ,فيشير القاموس Le robert أن الروائي الفرنسي بلزاك أونوريه ,وهو أول من استعمل لفظ Modernité وذلك سنة 1823م.25

لتدرج بعد ذلك في القواميس والموضوعات الغربية.

الأمر هنا يتعلق في الجانب اللغوي بالحديث عن مصطلح يحمل بعدا زمنيا في طياته، فهو تعبير عن تحقيب أو تصنيف تاريخي معين، قامت بمقتضاه الأزمنة والعصور بالتسمية والتقسيم.

2 -التعريف الاصطلاحي للحداثة الغربية:

عند تعريف الحداثة اصطلاحا نجد أننا أمام كم هائل من التعريفات،

فعلى صعيد اللسان الغربي نجد أن الحداثة عند أهل الغرب تعني: «تجسد صورة نسق اجتماعي متكامل، وملامح نسق صناعي منظم وآمن وكلاهما يقوم على أساس العقلانية في مختلف المستويات والاتجاهات «26 وهذا التعريف عند (ماركس وإميل دور كايم، وماكس فيبر).

وهي عند «جيدن»: تتمثل في نسق من الانقطاعات التاريخية عن المراحل السابقة حيث تهيمن التقاليد والعقائد ذات الطابع الشمولي الكنسي»27

ويعرف الفيلسوف الألماني « كانت « الحداثة في سياق إجابته عن سؤال ما الأنوار فيقول: «الأنوار أن يخرج الإنسان من حالة الوصاية التي تتمثل في استخدام فكره دون توجيه من غيره» 28وباعتبار أن (كانت) من آباء الحداثة الغربية فإنه يؤكد «في كل أعماله أن شرط التنوير والحداثة هو الحرية.... بمعنى أن العقل يجب أن يتحرر من سلطة المقدس ورجال الكهنوت والكنيسة وأصنام العقل»29 ويعرف (رولان بارت) الحداثة بأنها:» انفجار معرفي لم يتوصل الإنسان المعاصر إلى السيطرة عليه فيقول: « في الحداثة تنفجر الطاقات الكامنة، وتتحرر شهوات الإبداع في الثورة المعرفية مولدة في سرعة مذهلة، وكثافة مدهشة أفكارا جديدة، وأشكالا غير مألوفة، وتكوينات غريبة، وأقنعة عجيبة، فيق بعض الناس منبهرا بها، ويقف بعضهم الآخر خائفا منها، هذا الطوفان المعرفي يولد خصوبة لا مثيل لها، ولكنه يغرق أيضا «. «30

ويصف لنا (جوس أورتيكا كاسيت) الحداثة قائلا: «إن الحداثة هدم تقدمي لكل القيم الإنسانية التي كانت سائدة في الأدب الرومانسي والطبيعي، وأنها لا تعيد صياغة الشكل فقط بل تأخذ الفن إلى ظلمات الفوضى واليأس»31 والحداثة عند(توريين) باختصار كما يقول في كتابه نقد الحداثة «تستبدل فكرة الله بفكرة العلم، وتقصر الاعتقادات الدينية على الحياة الخاصة بكل فرد»32

كما عرفها «جان بوديار» بقوله: «ليست الحداثة مفهوما سوسيولوجيا أو مفهوما سياسيا أو مفهوما تاريخيا بحصر المعنى، وإنما هي صيغة مميزة للحضارة تعارض صيغة مميزة للحضارة تعارض صيغة التقليد ومع ذلك تضل الحداثة موضوعا عاما يتضمن في دلالته إجمالا الإشارة إلى تطور تاريخي بأكمله، وإلى تبدل في الذهنية»33

24 -صفدي مطاوع، نقد العقل الغربي، الحداثة وما بعد الحداثة، بيروت، مركز الانتماء القومي ,1990م، ص 223.

25 -بلزاك اونوريه: (1799م1850-)، كاتب وروائي فرنسي، من أبرز أعماله: الرواية الفلسفية.

26 -علي أسعد وطفة، مقاربات في مفهوم الحداثة وما بعد الحداثة، مجلة فكر ونقد، عدد 34 ص2,.

27 - المصدر نفسه، ص 1.

28 المصدر نفسه، ص 11.

29 - مقاربات في مفهوم الحداثة وما بعد الحداثة، المرجع السابق، ص 11.

30 - عدنان علي رضا النحوي: تقويم نظرية الحداثة، ط 1 ,992م، السعودية، دار النحوي للنشر والتوزيع، ص35.

31 - المصدر نفسه، ص 35.

32 - مقاربات في مفهومي الحداثة وما بعد الحداثة، المرجع السابق، ص 16.

33 - انظر: محمد سمير عبد السلام: قراءة في فكر جان بودياروwww.arabworldbook.com

ثانيا: الحداثة العربية:

-1الإشتقاق اللغوي للحداثة العربية:

الحداثة من فعل «حدث» ويرد في اللغة العربية بالمعاني الاتية:

-جاء في معجم لسان العرب: «الحديث نقيض القديم، حدث الشيء، يحدث حدوثا وحداثة، وأحداثه هو محدث وحديث، وكذلك استحدثه «34

-وفي معنى اخر للحداثة: «حدثان الشيء بالكسرة: أوله، وهو مصدر حدث يحدث حدوثا وحدثانا»35

-كما ورد في معجم الوسيط: «الحدثان: يقال: حدثان الشباب، وحدثان الأمر: أوله وابتداؤه «36واستخدام هذا المعنى بكثرة كناية عن سن الشباب، فالحداثة «سن الشباب»37

-والحديث: الجديد من الأشياء، أما الحديث في معنى اخر: الخير يأتي على القليل والكثير، والجمع أحاديث»38

هذه بعض الدلالات المعجمية لكلمة حداثة نوجزها فيما يلي: الحداثة نقيض القدم، وتعني الجدة، والحداثة أول الأمر وابتداؤه، والحداثة كناية عن أول الأمر وسن الشباب، والحديث الجديد من الأشياء، والحديث هو الخير.

2 -التعريف الاصطلاحي للحداثة العربية:

الحداثة في التداول العربي مصطلح يتسم بالغموض الدلالي، والتناقض و»اللاوحدة « و»النسبية»39,ويتميز: بعدم الانضباط وعدم الوضوح وعدم الاستقرار على حال ثابت 40

عرفها المعجم الفلسفي العربي بأنها: (نزعة تأخذ بأساليب جديدة في نواحي الحياة الفكرية والعملية)41

عرفها الباحث محمد رشيد ريان بأنها :(محاولة الإنسان المعاصر رفض النمط الحضاري القائم، والنظام المعرفي الموروث، واستبدال نمط -جديد معلمن -تصوغه حصيلة (خليط) من المذاهب والفلسفات الأوروبية المادية الحديثة به على كافة الأصعدة الفنية والأدبية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية والفكرية)42 وعرفتها خالدة سعيد ,أنها (وضعية فكرية لا تنفصل عن ظهور الأفكار والنزعات التاريخية التطورية ,وتقدم المناهج التحليلية ,وهي تتبلور في اتجاه تعريف جديد للإنسان عبر تجديد جديد لعلاقته بالكون .إنها إعادة نظر شاملة في منظومة المفهومات والنظام المعرفي.....ويمكن أن يقال إنها: إعادة نظر في المراجع والأدوات والقيم والمعايير)43.

ويقول أنس سليمان المصري هي:(منهج فكري أدبي علماني، مبني على عدة عقائد غربية ومذاهب فلسفية، يقوم على الثورة على الموروث ونقده وتفسيره بحسب وجهة نظر القارئ)44.

من خلال هذه التعاريف نخلص إلى أن الحداثة حركة فكرية تقوم على رفض التراث وإحداث قطيعة معرفية مع الماضي وتجاوز التقاليد المألوفة، وإعادة صياغة العلوم والمناهج والقيم وفق مصادر معرفية غربية حديثة، لأجل الخروج برؤية جديدة عن حقيقة الإنسان والكون والطبيعة والحياة، وتختلف عن الرؤية السابقة.

وقد قامت الحداثة برفض وتغيير كل ما هو قائم وكل ما هو موجود ولم تخص حقلا معرفيا أو مجالا علميا بعينه، بل هي حركة شاملة، امتدت إلى كل مجالات الحياة كالدين والفكر، والاجتماع.

---

34 -ابن منظور، لسان العرب، القاهرة، دار المعارف، ط1، (د-ت)، مادة (ح د ث)، ص 796.

35 -المصدر نفسه ص 796.

36 -شوقي ضيف واخرون، المعجم الوسيط، ط4 ,مصر، مكتبة الشروق الدولية,2004م، مادة (ح د ث) ص 160.

37 - شوقي ضيف واخرون، المعجم الوجيز، مصر، وزارة التربية الوطنية ,2004م، مادة (ح د ث) ص138.

38 -ابن منظور، لسان العرب 798.

39 - طرد الكبيسي، كتاب المنزلات- الجزء الأول-منزلة الحداثة، بغداد، العراق، دار الشؤون الثقافية العامة، ط 1992/1 ص 11.

40 -عبد الغني بارة، إشكالية تأصيل الحداثة في الخطاب النقدي العربي المعاصر، القاهرة، المصرية العامة للكتاب، 2005 م، ص 15.

41 -المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية، الهيئة العامة لشؤون المطامع الأميرية، القاهرة مصر، 1983 ,مادة تجديد.

42 -محمد رشيد ريان: الحداثة والنص القرآني، رسالة جامعية غير منشورة، جامعة الأردن 1997 ص 15.

43 -خالدة سعيد، الملامح الفكرية للحداثة، مجلة فصول، المجلد الرابع، 1984، العدد 3,ص 26.

44 -أنس سليمان المصري، المنطلقات الفكرية والعقدية لدى الحداثيين للطعن في مصادر الدين، مجلة دراسات علوم الشريعة والقانون، 2015، مج 42، العدد 1، ص 81.

المبحث الثالث: القراءة الحداثية للسنة النبوية بين نفي الوحي والأنسنة:

نقصد بالقراءة الحداثية للسنة النبوية تلك: النزعة الفكرية التي تتبنى عدة قواعد فكرية غربية معاصرة في التعامل مع السنة، بغية رفضها وإلغائها كمصدر من مصادر الدين، وإحداث قطيعة معرفية معها ومحاولة تفسيرها وتأويلها بعيدا عن قواعد علم الحديث وأصوله.

ولقد وقف الحداثيون تجاه السنة النبوية موقف المعادي الشديد العداء 45 ،وهم في هذا متفاوتون فمنهم من يردها جملة ومنهم من يرد بعضها إن خالف أفكارهم مرددين حججا واهية مع التقليد لأقوال المستشرقين والزيادة عليها46 وقد صدرت منهم شبهات عديدة، يصعب حصرها هنا، ومن أبرزها التالي:

المطلب الأول: نفي صفة الوحي عن السنة النبوية:

من أهم المسائل التي خاض فيها أرباب الفكر الحداثي، القول بنفي وحيية السنة؛ وعدم اعتبارها مصدرا تشريعيا حيث يقول نصر حامد أبو زيد: « ليست السنة مصدرا للتشريع وليست وحيا، بل هي تفسير وبيان لما أجمله الكتاب47» ، ويسعون من خلال ذلك إلى إلغاء وحييتها بالتركيز على أنسنة النصوص؛ أي التحرر كليا من مرجعيتها الدينية، و»نقلها من الوضع الإلهي إلى الوضع الإنساني، وعدها غير قابلة للفهم والتحليل مالم يخلع عنها طابع الأزلية والقدسية والغيبية»48، وإعطائها البعد البشري، فتنتقل من نص متعال عن الزمان والمكان إلى نص يتحكم فيه الإنسان، وهو الذي يحدد معناه، مما يغيب المعنى الحقيقي للنصوص النبوية، فهي في نظر الحداثيين إما نصوص ناتجة عن تفكير بشري؛ أي بشرية المصدر، أو أن بعضها وحي، لكن بمجرد انفصاله عن مصدره يتأنسن فهما وتطبيقا، فيخضع لمفاهيم البشر49 ، ويكون النص الديني قابلا للقراءة وفق مفاهيم متعددة فيصبح بإمكان القارئ له أن يتعامل معه ويحلله وفق ما فهمه منه بعيدا عن قدسيته ووحييته.

وينطلق الحداثيون في تأكيد وحيية السنة من مبدأ التسليم بعصمة النبي صلى الله عليه وسلم فالقول بمبدأ العصمة هو ما أدى-حسب زعمهم- إلى اعتبار كل ما صدر عنه، يرتقي إلى منزلة الوحي الإلهي ونفي صفة البشرية عنه50 ، حيث «تعتبر عصمة النبي أحد المستندات النظرية العقلية الرئيسية التي أسس بواسطتها الأصوليون حجية السنة51» ،ومنه ينبغي قراءة السنة على أنها نتيجة لتعامل النبي صلى الله عليه وسلم كبشر غير معصوم مع خطاب ما من منطلق إنسانيته، في وقت معين وبيئة معينة لا يتعداهما، غير لازم بالاتباع والطاعة؛ مما يسوغ لأي بشر قراءتها بما يتلاءم ومعطيات العصر الذي هو فيه، لذا فالنتيجة التي يريد أن يصل إليها الحداثيون بإنكار صفة الوحي عن السنة هو اعتبارها خطاب عادي قابل للنقد والتفكيك، ونزع هالة القداسة عنها، ومن ثم العمل على تقويض بنيانها وإلغاء البعد التشريعي لها.

«فالحداثي ينظر إلى النصوص على أنها إما بشرية ابتداء أو بعضها وحيا إلهي المصدر، ولكنه عندئذ يقول بأنسنتها، فهما وتطبيقا بمجرد تجسده بالوضعية البشرية، وبلغة بشرية، وخضوعه لأفهام البشر».52

فهم يهدفون إلى النفي التام للقول بأن السنة مصدر إلهي ووحي كالقرآن الكريم وبدل ذلك يعتبرونها «نصوص لغوية شأنها شأن أي، نصوص أخرى في الثقافة وأن أصلها الإلهي لا يعني أنها في درسها وتحليلها تحتاج إلى منهجيات ذات طبيعة خاصة تتناسب مع طبيعتها الإلهية.. هنا نتبنى القول ببشرية النصوص الدينية»53

فبعد تفكيكهم لحجية السنة وتفكيك مفهومها ذهبوا للقول بأن: (السبب الكافي وراء النزوع إلى جعل السنة في مستوى واحد مع

45 -الحارث فخري عيسى، الحداثة وموقفها من السنة النبوية، القاهرة، مصر، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، ط1/1992, ص 820.

46 - جمال الدين الخضور، مأساة العقل العربي: دراسة في البناء الأنثروبولوجي الثقافي المعرفي العربي المعاصر، دمشق، دار الحصاد، 1995، ص119.

47 - نصر حامد أبو زيد، الإمام الشافعي وتأسيس الأيديولوجية الوسطية، القاهرة، مطبعة مدبولي، ط2، 1996م، ص 39.

48 -محمد عبد الفتاح الخطيب، القراءة الحداثية للسنة النبوية وضرورة تأسيس أجرومية لفقه البلاغ النبوي، ورقة مقدمة في ندوة علمية دولية بعنوان: «السنة النبوية بين ضوابط الفهم السديد ومتطلبات التجديد، دبي، الامارات العربية المتحدة، ط1، (1430هـ2009-م)، ص 285.

49 -الحداثة وموقفها من السنة، المرجع السابق، ص 119.

50 - محمد بن حجر القرني، موقف الفكر الحداثي من أصول الاستدلال في الإسلام، مكة المكرمة، جامعة أم القرى، ط1، 1434هـ، ص 391

51 -جمادي الذويب، السنة بين الأصول والتاريخ، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2013 م، ص81.

52 - الحارث فخري عيسى عبد الله، الحداثة وموقفها من السنة النبوية، أطروحة دكتوراه، الجامعة الأردنية، كلية الدراسات العليا, 2010 م، ص 119

53 - نصر حامد أبو زيد، نقد الخطاب الديني، القاهرة، مكتبة مدبولي، ط4، ص 206.

النص القرآني، فلعله تمثل في النظر إلى السنة على أنها أكثر تشخيصا وتخصيصا من النص القرآني، وبالتالي أكثر طواعية منه)54 أي؛ أن ما فصلته، السنة وخصصته مما أجمله القرآن أو عمّه وما سوى ذلك كان هو السبب لاعتبارنا في جعل السنة ثاني الوحي وأنه غير صائب. فالنبي ﷺ لم يأت بالجديد بل بلغ ما أوحي به إليه وما جاء به خاضع للنقد، ومنه ما هو صائب وما هو عكس ذلك حتى إنهم ضبطوا وحيية السنة بأن تكون كالقرآن يجب أن يكون نصها (قرآنا يقرأه المسلم عند أدائه فروض صلاته) 55

فما من كلام مقدس عندهم سوى ما جاء عنه ﷺ وكان عدم قراءة السنة في الصلاة دليل على بشريتها أو على انتفاء صفة الوحي عنها، وذلك لا يستقيم إذ بالضرورة أن يكون كل وحي صالحا أو تجوز قراءته في الصلاة56

ولنفي صفة الوحي عن السنة النبوية استدل الحداثيون بأمور عدة منها:

1. رفض الآيات التي استدل القائلون بأن السنة وحي، وتأويلها وقراءتها قراءة حداثية، ومنها قوله تعالى: (وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى) النجم:3 - 4، واستدلالهم ببعض تلك الآيات لا يستقيم فقد حرفوا الكلم عن مواضعه وغيروا معانيها، ونفي صفة الوحي عن السنة النبوية بدليل عدم كتابة النبي ﷺ لها، بل ونهيه عن ذلك، ورفض حديث النبي ﷺ: (ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه)57 واستدلالهم بهذا الحديث (لا يستقيم لأن وجود الشيء ومثله لا يفهم منه أن هذا المثل مكملا للأصل أو للآخر وأن الأصل غير مكتمل، بل يعني أن هذا المثل يختلف عن مثله، وهو جسم آخر مغاير للأصل الذي يماثله)58.
2. القول بأنها أقوال منسوبة للنبي ﷺ، وانه لم ينزل عليه ﷺ سوى القرآن وحيا بواسطة جبريل وكذا قولهم أُمرنا بإتباع الوحي فقط والسنة ليست كذلك ونبيكم لم يوت- ﷺ غيرُ القرآن.

وادعوا بأن الأحاديث الموضوعة تنفي الوحيية عن السنة النبوية لأنها غير صائبة، وأنكروا تقسيم الوحي، وأقروا بعدم وجوده فالقران وحده وحي، والوحي لا يتغير والأحاديث تروى بالمعنى.

وما يرد على كلامهم هو أن الحديث التشريعي وحي من الله تعالى لأنه سبحانه قال في كتابه الكريم: (الْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) النحل: 44،

فقد بينه ﷺ أحسن بيان، وبذلك بيان رسول الله ﷺ هو بيان الله تعالى، وبيان الرسول لا يكون بيان الله إلا بوحي جلي متلو منه سبحانه عز وجل وهو القرآن، وشتان بين الأحاديث المنقولة إلينا بالأسانيد المتصلة المقبولة عقلا وعرفا بل وفطريا.

وكذلك قولهم أن:

السنة خاصة بزمن النبي ﷺ:

فلو كانت خاصة بزمنه لم ﷺ اهتم بأمر تبليغ سنته لمن بعده حيث قال: «نضر الله عبدا سمع مقالتي، فوعاها، ثم أداها لمن لم يسمعها، فرب حامل فقه لا فقه له، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه)59، وقوله أيضا: « ألا ليبلغ الشاهد الغائب منكم» 60

وكذلك ما رواه أبو هريرة: « إني قد تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما: كتاب الله وسنتي» 61

وكيف غاب عنهم اهتمام الصحابة بالسنة، ما قام به أبي بكر الصديق بميراث الجدة، عملا بحديث رسول الله:» اقض بما في كتاب الله. وكتابة عمر ابن الخطاب إلى قاضيه شريح 62:»اقض بما في كتاب الله، فإن لم يكن في كتاب الله فبسنة رسول الله ﷺ «63.....وغيرها كثير من نماذج الصحابة لاهتمامهم بالسنة.

54 -طيب تيزيني، النص القرآني امام إشكالية البنية والقراءة، دمشق، دار الينابيع -دمشق، ط1، ص 106.

55 -زكرياء اوزون، جناية البخاري إنقاذ الدين من أمام المحدثين، بيروت، لبنان، يناير 2004 ,ط1، ص 14.

56 -الحداثة وموقفها من السنة النبوية، مرجع سابق، ص 120.

57- حديث صححه الإمام الألباني، أخرجه الإمام أحمد، مسند الشاميين، حديث المقدام بن معدي كرب الكندي أبي كريمة، عن النبي ﷺ ,17174,ج28,ص 418.

58 - جناية البخاري إنقاذ الدين من أمام المحدثين، مرجع سابق، ص 14.

59- رواه الإمام احمد، مسند المكثرين من الصحابة، مسند أنس بن مالك، ر13350,ج21,ص 60.

60 - الإمام البخاري، كتاب العلم، باب: ليبلغ الغائب الشاهدٍ،105,ج1,ص33.

61 - رواه الحاكم كتاب العلم ,319,ج1,ص172.

62 - ابن سعد الطبقات الكبرى، ت، محمد عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1 ,1410ه1990-م، ج6,ص 182.

63 -رواه الإمام النسائي، كتاب آداب القضاة، الحكم باتفاق أهل العلم، 5399 ,ج 8 ,ص 231.

أن القرآن الكريم لم ينقد والسنة النبوية نقدت: لكن علماء الحديث الذين نقدواُ الحديث أرادوا ألا ينسب إليه ﷺ ما لم يصدر عنه كما أم أرادوا التثبت مما ثبت ومما لم يثبت عنه ﷺ كل ذلك لتجنب الكذب عن أشرف خلق الله ﷺ.

ومحمد شحرور يعتبر السنة النبوية: (قرارات نابعة من الظرف الموضوعي المعاش في المجتمع العربي في العصر النبوي؛ في حين أن السنة لم تكن كذلك بل هي أوامر من الشارع لعباده على لسان نبيه ﷺ ,و اجتهاد في تقييد الحلال لا يحتاج إلى وحي، و اجتهاد في حقل الحلال يخضع للخطأ والصواب من حيث أنه ليس وحيا ,ومن حيث أن الخطأ فيه قابل للتصحيح)64، وكأنه يعتبر السنة مجرد محاكاة لما يحصل في المجتمع النبوي، وأنها اجتهاد جاء منه ﷺ لا يحتاج لوحي، فهو لا يعتبر السنة وحيا بل ينفي تماما حاجتها له، كما أنه يعتبرها قابلة للخطأ والصواب من حيث أنها ليست كذلك. وفي آخر مطافه اعتبرها قانونا مدنيا تسير عليه دولة العهد النبوي.

وكذلك نصر حامد أبو زيد هو الآخر ينكر أن تكون السنة وحيا ويطلق عليها اسم مصطلح «النص الثانوي»، كما يقول: (إن الرسو ل ﷺ حامل رسالة بلغها عن ربه هي القرآن وفي هذا البلاغ يكمن الوحي، أما سنته فمنها ما هو شرح وبيان، ومنها ما هو اجتهاد، وفي هذا القسم الأخير اختلف المختلفون. وما فعله الإمام الشافعي إزاء هذا الاختلاف هو أنه أدمج كل العناصر في مفهوم كلي وضعه في المستوى نفسه المقدس للوحي؟ أي لكلام الله، وبهذا الصنيع صار كل ما ينطق به ً محمد وكل ما يفعله وحيا، واختفت الحدود والفواصل بين الإلهي والبشري، ودخل الأخير دائرة المقدس)65 ، وكأنه يريد بذلك أن الإمام الشافعي لم يكن عليه أن يدمج ويجمع بين البشر والإله. وذلك غير صائب، وأنكر على الإمام فيما فعله من ضم السنة إلى القرآن واعتبارها وحيا حيثّ يقول: (الإمام الشافعي بما قام به من إدماج السنة في الوحي حول التقاليد والأعراف والعادات القرشية إلى وحي)66 ، فهو هاهنا اعتبرها عادات وتقاليد ولد من المجتمع القرشي تربى عليها النبي ﷺ وفرضها عليهم والإمام الشافعي اعتبر تلك العادات وحيا وذلك لا يجوز.

كما أنه قال:(وليست بل هي تفسير وبيان لما أجمله الكتاب... وهو اعتبار السنة وحيا من نمط مغاير عن وحي الكتاب. إن وحي السنة هو «الإلقاء في الروع» أي الوحي بالمعنى اللغوي، الذي هو الإلهام، وليس بالمعنى الاصطلاحي أي عن طريق الملك جبريل)67فهو أنكر وحيية السنة ويعتبرها مجرد بيان لما جاء به القران الكريم، كما أنه يبين أنه حتى وإن اعتبرت السنة وحيا فلن تكون كالقران بل وحيا بالمعنى اللغوي 68 فالسنة لم تكن مصطلح ثانوي ولا يمكن فصلها عن القران، فهي وحي منه سبحانه وتعالى والإمام الشافعي أصاب فيما فعل حين ضمها للقرآن الكريم.

المطلب الثاني: أنسنة السنة النبوية:

اتجه الحداثيون إلى التصدي والوقوف أمام شرع الله وتحديه، بنسب ما لا ينسب له ولا يليق. إذ بادروا بتلفيق مواصفات للسنة النبوية ولنبي الله ﷺ لأجل إنكارها وتنفير أهل الإسلام منها لكنهم لم يفلحوا بذلك وظلت سنة رسوله صامدة لم يغيرها شيء وكيف لها أن تتغير وقد قال سبحانه وتعالى فيها :(إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) الحجر9.

ومن مثل ما قالوه في ذلك:

1. قولهم بأن السنة ليست إلا تجربة بشرية سرت على بشر عادي وبإمكانها أن تفشل تلك التجربة و بفعل صاحبها، والقول بأن القرآن والإسلام كله إنما هو من صنع محمد - ﷺ -بحكم تجربته البشرية وهي تجربة رجل يتمتع في آن واحد بأنه رجل دين وممارسة ونضال منخرط في قضايا التاريخ وعندما جاء وجد مجتمعا بعادات وتقاليد ودين وثقافة...، فأراد- كما يقول أركون :تغييره والانتقال به إلى إطار مؤسساتي آخر 69، ومخالطته للأقوام والأديان السابقة، ومعايشته لواقع قومه وذلك بدليل سفر النبي ﷺ المتعاقب في رحلات التجارة إلى الشام، بل ذهب - جعيط - إلى أنه قد مكث في الشام وأقام فيها متتلمذا على يد رهبانها وأحبارها 70

64 - الإمام الشافعي وتأسيس الأيديولوجية الوسطية، مرجع سابق، ص 35.

65 - المصدر نفسه، ص 44.

66 - الإمام الشافعي وتأسيس الأيديولوجية الوسطية، مرجع سابق ص 83.

67 - المصدر نفسه ص83.

68 -بمعنى الإلهام.

69 -محمد أركون، العلمنة والدين، الإسلام المسيحية الغرب، بيروت، لبنان، دار الساقي ط3 ,1996م، ص 46.

70- هشام جعيط، تاريخية الدعوة المحمدية في مكة، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط1 ,يناير2007، ص 150.

2. السنة بالنسبة لهم حديث نفس وليس وحيا، بالمعنى أنها عملية استرجاع لتلك التجربة الشخصية لمحمد ﷺ لاحتكاكه بالتجارب وما يعايشه قومه، حتى صار كل ما يشعر به بداخله خارجا وهي نوع من الإلهام والإيحاء و (كل ما اختزنه محمد في ذاكرته يسترجع عن طريق الوحي، في حالة الإيحاء الداخلي، عن طريق الصوت ، الداخلي الملهم في فترات الانخطاف والذي اعتبره محمد بكل حماس وحيا إلهيا من الخارج)71 بينما الصواب عكس ذلك، فهم يعتبرون شخصية النبي ﷺ الفذة والقائدة والمفكر والعبقري وغيرها من المواصفات التي تعظمه وتبجله كافية تماما بان تغطي وتحجب ذكر صفة الوحي والنبوة عنه ﷺ فالقول بأن السنة وحي من الله عندهم (فيه سلب النبي- ﷺ -خصائصه من الفهم الثاقب والرأي الصائب)72.

3. يرفضون مبدأ عصمة النبي ﷺ عن الوقوع في الخطأ، واستندوا بدعواهم إلى وجود آيات بها عتاب شديد للنبي ﷺ وبالروايات التي يخبر النبي ﷺ عن نفسه قال: « إنكم تختصمون إلي، ولعل بعضكم ألحن بحجته من بعض، فمن قضيت له بحق أخيه شيئا، بقوله: فإنما أقطع له قطعة من النار فلا يأخذها «73 .

4. ذموا شخصيته ﷺ بالنيل من شخصه ونزع القداسة والمكانة عن السنة النبوية، فقد حاولوا كثيرا لتشويه صورته ومما فعلوه:

-الطعن بسبب اليتم: لكن طعنهم هذا لا يجدي نفعا لان في اليتم اعتماد على النفس وتعلم ذلك، بل وبه يكون الشخص نفسه دون الاتكال على غيره.

-شك النبي ﷺ في أمر نبوته: استدلواً بقوله تعالى: (فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ) يونس/ 94 ظنا منه انه سبحانه عز وجل يعاتبه رسوله ﷺ ولكن هذه الآية نزلت على أقوام الأنبياء السابقين تخبره ﷺ أنه إن كذبه قومه فلهم نفس جزاء أولئك الأقوام.

وللرد على مزاعم الحداثيين وادعاءاتهم:

ليس إلا بالقول أنه مادام لم ينكر شرع الله عز وجل ووحيه -القران الكريم-ما أقر به ﷺ من أحكام وتكاليف لعباده فما شأن أولئك في الطعن بأقواله وأفعاله ﷺ وما صدر عنه (ومتى اجتهد النبي ﷺ وسكت الوحي عن اجتهاده اعتبر هذا إقرارا من الله عز وجل له واكتسب صفة ما أوحى إليه به ,وبهذا المعنى يعتبر كل ما صدر عن النبي ﷺ وحيا ,مصداقا لقوله تعالى:(وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى (1) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى (2) وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (3) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى (4) عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى (5) ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى (6) وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى (7) ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى (8) فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى (9) فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى (10) مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى (11) أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى (12) وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى (13) عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى (14) عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى (15) إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى (16) مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى (17) لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى (18)) النجم 1-18.

وقد عني الصحابة رضي الله عنهم والأمة الإسلامية بتبليغ السنة النبوية حفظا وفهما وفقها وبلغوها بلفظها - وهو الغالب والأصل - أو بمعناها إلى من جاء بعدهم من التابعين، وبلغهاً التابعون لتابعي التابعين وهكذا.

71 - هشام جعيط، تاريخية الدعوة المحمدية في مكة، مرجع سابق، ص155.

72 - الحارث فخري عيسى عبد الله، الحداثة وموقفها من السنة النبوية، مرجع سابق 128-131.

73 - محمد أبو شبهة، دفاع عن السنة ورد شبه المستشرقين والكتاب المعاصرين، ط2, 1406-1985م، مجمع البحوث الإسلامية- القاهرة، ص4

الخاتمة:

جنت الحداثة العربية على السنة جنايات كبيرة، فقد مارست عليها أشكال من التشكيك والتشويه والتمييع، وضروبا من النقد المنفلت والتأويل المنحرف والقراءة التعسفية وتبقى من أسمى الأهداف التي سطرها الفكر الحداثي سعيه لتكريس أنسنة الإلهي ورفض المصدر الإلهي للوحي، وعدها مجرد ظواهر اجتماعية، وإنسانية تاريخية برزت ضمن ظروف ومعطيات تاريخية معينة، والسعي لإلغاء، وتمييع كل المتعاليات، والمقدسات بالطعن والتشكيك في الأمور الغيبية، والمعجزات، وعدها مجرد خرافات، وأساطير عفا عليها الزمن، ومن ثم الدعوة لإعادة النظر في هذه الأمور، وتجديدها بما بتوافق، والرؤية التجديدية التنويرية، وتفسيرها تفسيرا علميا إنسانيا يتوافق والواقع, ولا عجب في ذلك فقد قامت الحداثة لأجل الثورة على الدين وإبادته, واستهدف الدين الإسلامي عبر التاريخ دون غيره من الأديان بحملات من التشوية والتشهير للنيل منه ,والتهوين من شأنه ,ولعل أسباب تلك الحملات تعود في المقام الأول لما يتمتع به الدين الإسلامي من نظام تشريعي متكامل صالح بمبادئه وأصوله أن يلبي متطلبات الحياة الإنسانية في كل زمان ومكان .

ومن هنا نتوجه بتوصيات للحفاظ على السنة النبوية الشريفة من مثل تلك الادعاءات:

- ضرورة الدفاع عن السنة النبوية بالحفاظ عليها وصونها من شبهات هؤلاء الحداثيين.
- تصحيح وتصويب أفكار ذلك الاتجاه بنشر السنة الصحيحة ودحض ما رسموه عنها.
- إنشاء كتب ومؤلفات تعنى بدراسة هذا الاتجاه وتبيّن أفكاره الخاطئة وخطورته .
- الدَّعم التعليمي والإعلامي لكل المشاريع العلمية والبحثية والإعلامية التي تبرز تراث الأمة العظيم دينيا وسياسيا وعلميا.

المصادر والمراجع:

- ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله، تحقيق أبي الأشبال الزهيري، القاهرة، دار ابن الجوزي.
- ابن منظور، لسان العرب، بيروت، دار صادر، ط1.
- أنس سليمان المصري، المنطلقات الفكرية والعقدية لدى الحداثيين للطعن في مصادر الدين، مجلة دراسات علوم الشريعة والقانون، مج -42ع 2015/1.
- إيمان أحمد الغزاوي، الحداثيون العرب وموقفهم من القرآن، ظاهرة الوحي أنموذجا، مجلة، دراسات وعلوم الشريعة والقانون، مجلد 43,عدد 1, 2016.
- جمادي الذويب، السنة بين الأصول والتاريخ، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2013 م.
- جمال الدين الخضور: مأساة العقل العربي: دراسة في البناء الأنثروبولوجي الثقافي المعرفي العربي المعاصر، دمشق، دار الحصاد، 1995.
- جمال الدين القاسمي، كتاب قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط 1، (1425هـ2004-م).
- الحارث فخري عيسى الحداثة وموقفها من السنة النبوية، القاهرة، مصر، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، ط1992/1.
- خالدة سعيد، الملامح الفكرية للحداثة، مجلة فصول، المجلد الرابع، العدد 1984/3.
- زكرياء اوزون، جناية البخاري إنقاذ الدين من أمام المحدثين، ط1 ,يناير 2004 ,بيروت، لبنان.
- شوقي ضيف واخرون، المعجم الوجيز، (د ط)، مصر، وزارة التربية الوطنية ,2004م.
- شوقي ضيف واخرون، المعجم الوسيط، ط4 ,مصر، مكتبة الشروق الدولية,2004م.

- صفدي مطاوع، نقد العقل الغربي، الحداثة وما بعد الحداثة، بيروت، مركز الانتماء القومي ,1990م.
- طاهر الجزائري الدمشقي، توجيه النظر إل أصول الأثر، بيروت، مكتب المطبوعات الإسلامية، ط1، (1416هـ1995-م).
- طيب تيزيني، النص القرآني امام إشكالية البنية والقراءة دمشق، دار الينابيع، ط1 1997م.
- عبد الغني بارة، إشكالية تأصيل الحداثة في الخطاب النقدي العربي المعاصر، القاهرة، المصرية العامة للكتاب، 2005.
- عبد الكريم زيدان، المدخل إلى دراسة الشريعة الإسلامية، بيروت، لبنان، مؤسسة الرسالة ناشرون، ط1، (1425هـ2005-م).
- عبد الله بن بهرام الدارمي السنن، القاهرة، مصر، دار إحياء السنة النبوية، ط1/1346.
- عدنان علي رضا النحوي: تقويم نظرية الحداثة، السعودية، دار النحوي للنشر والتوزيع، ط 1 ,1992م.
- علي أسعد وطفة، مقاربات في مفهوم الحداثة وما بعد الحداثة، مجلة فكر ونقد، عدد 34.
- علي نايف بقاعي، الاجتهاد في علم الحديث وأثره في الفقه الإسلامي، دار البشائر الإسلامية.
- قاسم شعيب، فتنة الحداثة، المغرب، المركز الثقافي العربي، ط 1 ,2013.
- محمد أبو شبهة، دفاع عن السنة ورد شبه المستشرقين والكتاب المعاصرين، القاهرة، مجمع البحوث الإسلامية، ط2, 1406-1985م.
- محمد أركون، العلمنة والدين، الإسلام المسيحية الغرب، دار الساقي ط3 ,1996م، بيروت -لبنان.
- محمد الدين أفاية، الحداثة والتواصل في الفلسفة النقدية المعاصرة، بيروت، إفريقيا الشرق ،1998م.
- محمد بن حجر القرني، موقف الفكر الحداثي من أصول الاستدلال في الإسلام، مكة المكرمة، جامعة أم القرى، ط1، 1434هـ.
- محمد بن علي الشوكاني، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، تحقيق علي عبد الباسط مزيد القاهرة، دار ابن الجوزي.
- محمد رشيد ريان: الحداثة والنص القرآني، رسالة جامعية غير منشورة.
- محمد عبد الفتاح الخطيب، القراءة الحداثية للسنة النبوية وضرورة تأسيس أجرومية لفقه البلاغ النبوي، ورقة مقدمة في ندوة علمية دولية بعنوان: «السنة النبوية بين ضوابط الفهم السديد ومتطلبات التجديد، دبي، الامارات العربية المتحدة، ط1، (1430هـ2009-م).
- محمود الطحان، تيسير مصطلح الحديث، الإسكندرية، مركز الهدى للدراسات ،1415هـ، ص 17-18.
- مصطفى السباعي السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، المكتب الإسلامي، دار الوراق للنشر والتوزيع.
- المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية، الهيئة العامة لشؤون المطامع الأميرية، القاهرة، مصر،1983.
- نصر حامد أبو زيد، الإمام الشافعي وتأسيس الأيديولوجية الوسطية، ط 2 , 1996,القاهرة، مكتبة مدبولي.
- نصر حامد أبو زيد، نقد الخطاب الديني، ط4,مكتبة مدبولي -القاهرة.
- نور الدين عثر، مكانة المجتمع في مقاصد السنة الأساسية، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية، دبي الإمارات، العدد 9 1995,
- نور الدين عثر، منهج النقد في علوم الحديث، دمشق، دار الفكر، ط2، 1399 هـ1979-م.
- هشام جعيط، تاريخية الدعوة المحمدية في مكة، بيروت، لبنان، دار الطليعة، ط1 ,يناير 2007.

البحث العاشر

The Conformity of Milk Products to the Jordanian Standards and Safety Requirements in Alaqaba, Jordan (2017- 2018)

Ihsan Mohammad Mahmoud Al-Jarrah[1]; Elrashied Elgaili Mohamed Ali[2]; Arafa Elgorashi. M[3]

[1] Master of Food Safety and Health, Department of Food Safety and Hygiene, Ihsan Mohammad Mahmoud Al-Jarrah, Faculty of Health and Environmental Sciences, University of Gezira, Sudan. ehsan.aljarah@yahoo.com

[2]Assistant Professor, Department of Food safety and Hygiene. Dr. Elrashied Elgaili Mohamed Ali, Faculty of Health and Environmental Sciences, University of Gezira, Sudan. rashiedmohamedali@yahoo.com

[3]Associate Professor in Food Safety and hygiene, Department of Food safety and Hygiene. Dr. Arafa Elgorashi. M, Faculty of Health and Environmental Sciences, University of Gezira, Sudan. arafaelgorashi.m@hotmail.com

ARTICLE INFO

Article History:
xxxxxxxxxx

Key words:
Milk Products, Jordanian Standard and Safety Requirement, Milk fat, Vitamins

ABSTRACT

Milk products are considered one of the most important consumed foods in Jordan. Because of the spread of adulteration and impurities in milk products that may lead to food poisoning and serious diseases affecting human health, this descriptive experimental study was conducted in Aqaba city in order to assess the conformity of milk products to the Jordanian standard and safety requirements in the period. (2017 - 2016) The data were collected by laboratory investigation of (36) samples of sour cream, cheese, and dry yoghurt, taken from three areas with different economic status. A questionnaire was also used to collect data from (160) households randomly selected from the three areas. In addition, some data were collected from the records of the Aqaba international laboratories (Bin Hayyan) in the period 2014- 2016.The result of the study showed that (16.6%) of the sour cream and dry yoghurt samples violated the Jordanian standard and safety requirements respectively. In the wealthy neighborhood (district of malls), sour cream samples contained vegetable oils, and in the medium wealthy neighborhood sour cream contained Sorbic Acid (98.9 ppm) that are not from their original ingredients. In addition, the dry yoghurt samples from the wealthy neighborhood (district of malls) contained starch, and those from the medium wealth neighborhood contained mold and yeast (2 × 104cuf/g). The result also showed that all tested samples of cheese were in conformity with the Jordanian standard and safety requirements. The data collected through the questionnaire indicated that the majority of households are able to distinguish clean and unclean milk products by appearance, flavor, and smell. They also know of the causes of the spoilage of milk products, the difference between good and spoiled milk products, and the harmful preservatives used in milk products. The study offered some recommendations concerning the importance of investigating the sources of milk products, moving and keeping milk products in refrigerated storage, activating the role of health monitoring on factories of milk products, imposing serious punishments on factories that violate the safety requirements, encouraging future research that concerns promotion of milk products and replacing chemical preservatives with natural ones.

Copyright©2019 ***Ihsan Mohammad Mahmoud Al-Jarrah et al.*** *This is an open access article distributed under the Creative Commons Attribution License, which permits unrestricted use, distribution, and reproduction in any medium, provided the original work is properly cited.*

INTRODUCTION

Milk is the only food that God gave to the infant at the beginning of his life so that he can rely on other food. Milk represents an important component of the food of many people of the world because it contains all the nutrients that are necessary for man at various stages of his life. Milk is a complex food that contains all the necessary nutrients of the human body to build balanced and balanced, it includes the protein necessary for the composition of the cells of the body and multiply, and the vitamins important for the activity of vital and elements of heat and energy, and the verses of God and miracles,

Corresponding author:* **Ihsan Mohammad Mahmoud Al-Jarrah
Master of Food Safety and Health, Food Safety and Health Department, Faculty of Health and Environmental Sciences, Al-Jazira University in Wad Madani, Sudan

Ready to digest and not lost during absorption in the intestines very little (Alnemr, 2007). Milk is the most complete food found on the surface of the earth. It is designed to be a diet for all lactobacilli, such as cattle, goats and sheep, and humans at the Stages of their lives (Almousawi, 2007).

The word milk is Mentioned in the Holy Quran in several verses Including

Allaah says (interpretation of the meaning): "And if you are in the cattle for a journey, we will help you from what is in His womb, from between the inheritance and the blood of a pure son for the drinkers." God said in the description of Paradise: (rivers of water is not teeth and rivers of milk has not changed taste) (Surah: Muhammad - verse: 15).In the Sunnah, the Messenger of Allaah (peace and blessings of Allaah be upon him) mentioned the virtue of milk (milk) on other foods. He

said: "Whoever drinks food for Allaah, let him say: O God, bless us in it, and grant us better than him. I do not know what to eat and drink except milk. "Narrated by Ahmad and Abu Dawood.

Moreover, human beings have known milk for thousands of years. Its health benefits are mentioned in the Ayurvedic texts of India, a system of traditional medicine that originated in the Indian subcontinent 6,000 years before the birth of Christ. However, the importance of lactic acid bacteria Milk production only in the 20th century by the Bulgarian doctor (StisGrigorov, Fisberg, 2015).

The milk in the language: (is white liquid is in the females of humans and animals), which is what people call the name (milk), and has several labels where it is called in Turkey Yahurt and in Europe in Yagurt and in Armenia Kazun and in Arab countries such as Egypt name Yoghurt and Syria, Distinguishing it from milk (Pasha, 1990).Ibn al-Qayyim describes the milk of sheep as the heaviest of milk and moisturize it. It contains dizziness and starvation, which is not in goat's milk and cow's. It should be drunk with water, and goat's milk is a mild, absolute stomach, beneficial for throat ulcers, dry coughs and blood transfusions. Cow's milk nourishes and fertilizes the body, The abdomen is called moderately and is the best dairy and the best among the milk of sheep and goats in tenderness, fatness and fat. The milk of the pollen or camels is the thinnest dairy, the most watery and the least nutritious (Ibn al-Qayyim al-Jawziyya, 2004).

On the other hand, dairy products are considered the main sources of food in the Arab world because they contain the basic components needed by the body in building protein, fats, sugars, minerals and vitamins. Milk is also one of the cheapest types of animal protein and is an important source of relevant manufacturing industries and for the subsistence of a large sector of small rural and urban producers, whose importance varies in the value of agricultural and livestock production from one country to another. A large proportion of traditional producers rely on this sector for their income and livelihood. The dairy sector provides jobs for more than 28% of the labor force in some Arab countries such as Syria. And that the future resources and possibilities available for the development of the dairy sector in the Arab countries could create a surplus of milk and its products in the future, which will contribute to encouraging the local private sector, foreign and Arab to invest in it, and to provide a lot of free currency spent in the import of dried milk and some dairy products. (Syed Ahmed, *et al*., 2003).

Research Problem

Milk and dairy products are among the most common foods leading to many diseases worldwide. For the first time, the incidence of Listeria-related cheeses in the United States was recorded in 1985 as a result of Mexican soft cheese (Ryser and Marth, 1991) United States of America Pasteurized milk contaminated with Listeria monocytogenes causes 49 cases of death (CDC, 2001). Since most cases of Listeria in the world have been taken with raw milk, a range of cases were recorded in Germany in 1981 (Shehata, 1999) The same, recorded in Canada 85 cases, including 29 h (1987). In 1987, 50% of the cases in Switzerland were found to be related to processed foods (FDA, 2002). In 1988 there were also cases in Britain due to the use of unprocessed goat milk 60% of the cases in France were linked to soft soft cheeses in 1992, which deprived pregnant women of feeding on soft cheeses in Europe (Shehata, 1997).

Moreover, the presence of Listeria bacteria in white cheeses is attributed to the presence of Lysteria bacteria in raw milk. In 2012, when testing samples of powdered milk imported to Nigeria, the researchers found that 80% of the samples tested contained aflatoxin (M1) (Ppb 0.5) and the effect of these fungal toxins on humans, especially children (Adebayo *et al*., 2013) and a study in the region of Puglia (southern Italy) to examine the presence of aflatoxin (M1) on 265 samples of cheese made from milk Cows, buffaloes, goats and sheep, the researchers found that 16.6% of the samples tested contained Aflatoxin (M1) (Maria *et al*., 2008). In Egypt, the concentration of lead was higher than that of buffalo and cow milk and the low concentration of copper in buffalo milk (Enb *et al*., 2009). (Nasr *et al*., 2007). In 2013, 9 million people were infected with tuberculosis More than 95% of TB deaths occurred in low- and middle-income countries. Of the five leading causes of death among women between the ages of 15 and 44, it is estimated that 550,000 children Tuberculosis, and that 80,000 non-HIV-positive children died from tuberculosis. TB ranks second after the virus HIV / AIDS is the leading cause of death, and it is estimated that lead exposure accounts for a mortality rate of 143,000 deaths per year that weighs heavily on developing regions. It is estimated that children's lead exposure annually contributes to about 600,000 (WHO, 2015). The global burden of cholera was estimated at 2.8 million, with 91,000 deaths annually in 51 settler countries (Ali *et al*., 2015).

On the level of Asia, in 2008 a Chinese dairy company was said to be adding a melamine (rich in nitrogen) to its dairy products to show that the milk is high in protein and that has led to the deaths of some children and the injury of thousands of kidneys through the formation (Emmanuel, 2008). The Sri Lankan Ministry of Health recorded two batches of Angkor dried milk after effects of DiCyanDiamid (DCD), a nitrogen-rich chemical compound used by farmers to promote the growth of cattle pastures because it raises The level of protein in grassland is therefore pasture In Iraq, in the city of Afak (Diwaniyah), 56 milk samples were shown to be contaminated with lead (Ghazi *et al*., 2009). Pakistan When collecting samples from three sites in the city of Faslabad, lead concentrations were higher in cow's and goats' milk than in previous research in the same city (Javed *et al*., 2009) (Aslam *et al*., 2011).

As well as the monitoring program carried out by the Food and Drug Administration in 2015 to investigate the presence of bacterial, chemical and physical pollutants in all governorates except the city of Aqaba for carefully selected food samples based on global surveys of potential risks to food, including dairy products, (66) samples of yoghurt and the number of samples in violation (12) samples by (18%) for the increase in the total number of yeast and molds in (9) samples and the increase in the total number of (60)% of the total number of violations, which were summarized in the presence of fat is not of the origin of the product and the containment of some (24%) were in violation of the health requirements, with the total number of coliforms (16%), violations of health and standard conditions, and (49) (53%) violations of the standard requirements were summarized Contain the starch product in (24) sample and high salt ratio in (2) sample. (34) samples of the liquid serum, and the number of violations (11) samples

and (32%) violations of the standard requirements for the presence of starch in (8) samples and the presence of preservative Sorbic acid in (1) sample and violation of health requirements in (2) (40) samples of boiled cheese and the number of violations was (6) samples and (15%) violations of the standard requirements due to the low rates of salt addition in (2) sample, and (2) (2) samples for violating the sanitary conditions of E. coli bacteria, and 37 samples of powdered cheese were examined. (2) samples for containment of banned formalin, (1) sample of lead element, and (6) samples for violation of hygienic conditions of E. coli bacteria (JFDA, 2015).

As well as the monitoring program carried out by the Food and Drug Administration in 2016 to investigate the presence of bacterial, chemical and physical pollutants in all governorates except the city of Aqaba, as follows: yoghurt and summarized the number of samples in violation of the health requirements in (1) The total number of yeasts and molds and the total number of coliforms and E. coli bacteria in (1) samples, as well as the different types of milk, and summarized the number of violations of standard requirements in the presence of fat not of the product in (3) samples and containing some samples on preservatives (6) samples and the total number of coliforms and E. coli bacteria in (6) samples of violations of health requirements and solid calcification and summarized the number of violations of the standard requirements by containing the product on starch in (2) sample and the high salt content in (7) Samples. (3) samples of the height of the total number of the seasoning, yeast and staphylococcus Iris, as well as the boiled cheese and summarized the number of violations of the standard requirements due to the low rates of salt addition in (3) samples of the presence of the lead element, the presence of formaldehyde in (1) sample and (2) sample to violate the health requirements of E. coli bacteria and Staphylococcus iris, pasteurized cheese and summarized the number of violations of standard requirements for the presence of lead element in (5) samples and the presence of formaldehyde In (1) And (5) samples for violation of hygienic conditions of E. coli bacteria and Staphylococcus iris (JFDA, 2016).

Research Objectives

The general objective is to ascertain the extent to which dairy products comply with the Jordanian health and standard requirements in the city of Aqaba in the period 2016-2017 through:

Specific objectives are

1. Laboratory examination of samples of dairy products and their products in the city of Aqaba.
2. Identification of the extent of compatibility of milk and dairy products in the city of Aqaba for health and standard requirements.
3. Study the laboratory records in the city of Aqaba to identify the extent of compliance with the health and standard requirements in the period (2014 - 2016).

Literature Review

Milk as a food substance and its importance in human nutrition

The milk is very important drink, The Prophet (peace and blessings of Allaah be upon him) loved milk. "The Prophet (peace and blessings of Allaah be upon him) drank milk at once and drank water, because it is of great benefit in keeping the body healthy, The Prophet (peace and blessings of Allaah be upon him) said in the hadeeth of Abu Daoud and Ibn Majah: "Whoever prays to Allaah, may Allaah bless him and grant us peace, may God bless him and grant us more benefit from it. I do not know what to eat and drink except Milk ", that is, there is nothing enough to push hunger and thirst together from food and drink except milk (Awn's interpretation of the idol). He said: "The Messenger of Allaah (peace and blessings of Allaah be upon him) came to the night of his family with a bowl of wine and a cup of milk. He looked at them and then took the milk. (Ibn al-Qayyim, 2004). Milk is one of the ayatollahs in this universe, as mentioned in Surah Al-Nahl (verse 66). It is also one of the pleasures and pleasures of the people of Paradise, As stated in Surat Muhammad, verse (15). Because of its nutritional importance. The milk is formed in the cattle in strict coordination between the digestive system, the circulatory system and the reproductive system through the lactic glands and others, where God has made each organ function to form the pure milk of the drinkers through (digestion, extraction from the fur, extraction from the blood,), And these secrets of the composition of milk and the contents of food items that were hidden from humans did not discover them after a long journey of experiments and scientific research, which lasted centuries but the Koran revealed to the readers, and the flag of Muhammad peace be upon him among the people at that time Except those who know M secret of heaven and earth and knows what secrets of the creation of objects (reformer and Sawy, 2008). Milk and milk products are considered to be the best natural foods in human nutrition. Milk also plays an important role in the nutrition and growth of children. Milk and milk products are of great nutritional value to humans in general and especially to the elderly. Milk is a suitable and useful food for all ages. It is easy and quick to digest, easy and quick to digest (except for lactose intolerance or allergies), (Alnemer, 2007). Here we will mention the elements of food milk and its importance to the human body.

Ingredients of milk and its Importance to the body

Water

Water is approximately 85% to 90% of mammalian milk, and some components of milk are either dissolved in water such as certain vitamins, enzymes and lactose, or on a water-suspended image such as fat granules or protein molecules. Water has an important and vital role in human life as it has its physiological functions in the human body. Many of the tissues of the body contain water. It also regulates body temperature. Water is also the appropriate medium for the diffusion and ionization of various elements in the body. The processes of digestion, demolition and construction occurring in the body (Alnemr, 2007).

Milk Protein

Milk proteins provide the human body with essential amino acids that can not be formed at high concentrations. Milk proteins are also rich in phosphorus, which helps absorb calcium from the digestive tract. Thus, the body benefits from calcium, which helps fight bone diseases, rickets and weak teeth. Milk proteins are highly digestible and absorbent and contain high levels of essential amino acids, which the body can not build and need to be fed. The protein protein mixture (kasine and whey proteins) complements each other. Casein is

rich in amino acid content (tyrosine and phenylalanine), while shark proteins are rich in cysteine and methionine content, all essential amino acids, A large calcium phosphate makes it a buffer in the children's stomach, keeping the pH at 3.75, the ideal number of protein digestion (Alnemr, 2007).

Milk fat

It is easy to digest because it is found in the form of small granules with a high specific surface which exposes them to rapid enzymatic degradation and contains a high percentage (10% of total fatty acids), short chain fatty acids (4-10) carbon atom, compared to other animal fats, High (30% of total fatty acids) of unsaturated fatty acids that are not harmful to health, and also contains a good proportion (4% of the total fatty acids) of essential fatty acids (alanolic and linolenic) that can not be synthesized in the body, Fatty vitamins in fat (A, D, E, K), and there are fatty acids Milk contains a lot of vital nutrients such as (essential fatty acids, vitamins dissolved in milk fat, phosphatic fatty compounds), and the ratio between fat and sugar in milk is very important as it stimulates the growth of milk Probiotic beneficial intestinal bacteria (Alnemr, 2007).

Milk Sugar (Lactose)

Milk contains the lactose sugar, which breaks down in the digestive tract to sugar (glucose and glucose glutose). Glucose is absorbed faster than galactose. Therefore, the intake of lactose to the metabolism is slow. This is indicated by the fact that blood glucose concentration does not increase directly when consuming milk. (Lactose) from other sugars, as well as the ability to ferment useful in nutrition, as well as the containment of milk sugar on galactose sugar is important for the formation of brain and nerve cells, and is characterized by milk sugar (lactose) ability to stimulate the growth of useful species and friendly to humans from bacteria lactic acid , WA Lactic acid, which is the result of beneficial microorganisms, helps to represent and absorb calcium. It also promotes the passage of certain metal elements through the lining of the intestines, specifically the latter part of the small intestine, while the monosaccharides produced from Lactose is considered an alternative to vitamin D in helping to absorb calcium (Leopard, 2007).

Vitamins

Milk is an important source of many vitamins, which help to take advantage of food and prevent diseases, and there are some vitamins milk soluble in fat, vitamins (K, E, D, A) and others are dissolved in milk water, vitamins C, B, B2) B vitamins act as enzymatic accompaniment. Vitamin C acts as a barrier to blood vessel walls and antioxidants and contributes to the building and repair of tissues and nutrients between cells and strengthens the body's immunity against infection. Vitamin K facilitates the absorption of calcium and phosphorus of the intestines and keeping their level in the blood, and vitamin E also works on maturity and separation The cells are called steroid inhibitors. It plays a role in metabolizing amino acids containing sulfur. It is an antioxidant. It protects vitamin A from oxidation in the gastrointestinal tract, so it reduces the withdrawal of vitamin A in the liver and plays a role in reducing (K) on the formation of prothrombin in the liver and accelerate the transformation of prothrombin to thrombin and blood clotting, and the milk is a poor source of this vitamin, and not so important as the microorganisms in the large intestine, as well as plant materials entering the food supplies the body needs of the feta Min. Milk is an important source of vitamin A, which is very important in human life. This vitamin is found in a large percentage of milk, in addition to carotene, which turns into vitamin A in the body through oxidation. "It is very necessary for growth, and recent experiments in mice have shown that the lack of this vitamin causes the cessation of growth and then death, as well as vitamin A is very important in the process of vision, known as the anti-vitamin (night blind), and the benefits of vitamin A) Also that it earns the human body immune infection of some diseases, and has an impact In addition, vitamin A deficiency affects fertility, reproduction and reproduction, and milk contains a percentage of vitamin D. This vitamin helps to precipitate calcium and phosphorus in the body, that is, it helps the growth of bones, as well as it prevents the rickets The milk is rich in vitamin B2 and riboflavin, which causes greening of the cheese. Vitamin B2 deficiency leads to the appearance of vitamin D, Palagar disease, so called this vitamin inhibitor of the disease Cholines are an important factor in the formation and use of lipids in the body. Therefore, choline deficiency causes leucithin to be a significant factor in the formation of cells. Slow growth and accumulation of fat around the liver and dysfunction in body fat metabolism (Alnemr, 2007).

Mineral Salts

Milk is rich (calcium and phosphorus) and the ratio between them is balanced with the highest uptake in the digestive tract. This is an advantage for the elderly. Their milk consumption helps to prevent osteoporosis. These minerals also include skeletal formation, (Magnesium, sodium, potassium, chlorine and sulfur), but the milk is poor in the element (iron), and a small percentage of (rubidium, lithium, barium, manganese, strontium, aluminum and Fluorine, copper, iodine, zinc and cobalt), contains a lot of milk enzymes that help digest food and absorb (Alnemr, 2007).

Properties of Milk physical

These natural qualities of milks are of great importance either in giving indications on the manifestations of its quality or the success of technological transactions for milk, and the following are the most important attributes:

Organoleptic properties

Color

1. Buffalo milk and sheep are white for their ability to convert vitamin A (a), a carotene into vitamin A.
2. Clove milk tends to yellow for the inability of cows to convert carotene to vitamin (A).
3. Milk Color The result of the reflection of radiation on the granules of fat and colloids such as casein.
4. The color of the yellowish greenish greenish milk due to riboflavin.

Taste

Milk taste tends to light sweetness of the presence of sugar lactose and any other taste in milk is an indication of the incidence of contamination of milk or change the balance of salts and the increase of chlorides.

Aromatherapy

For the smell of yogurt absorption of smells any smell of milk indicates the lack of productivity on health conditions because good natural milk qualities do not contain odors strange (Alnemr, 2016).

Standard Natural Qualities of milk

Density and Specific Gravity

The density is the mass of the volume unit in grams / cm3, and the specific weight is the ratio of the density to the water density at 15.5 ° C, chemical constants. The specific weight is the sum of the specific weights of its components. For example, the specific weight of cow milk swings between (1.025 - 1.034) as these ratios are in a certain range. This is used in detecting milk cheating. For example, the addition of water to milk is equal to one true less than the specific weight of milk. Specific weight is an indicator of the addition of water to milk.

Surface Tension

It expresses the forces that influence the surface of the fluid, where it attracts the surface layer to give it the spherical shape and is especially visible on the surface. The surface tension of the milk is 40-60 dine / cm at 20 ° C. The surface tension is especially important in the manufacture of butter. Where increasing quantities of surfactant and coated to the fat granules in addition to increasing adhesion, which works on the difficulty of free fat out of the grain and the formation of butter blocks.

Viscosity

Is the fluid resistance of the fluid and suspended on the particles of liquid and depends on the movement and the internal surface and unit of measurement Centibuz, and the milk viscosity between (1.4 - 2.2) centipose / 20 m, depending on the particles of colloidal milk, especially proteins and fats, and the importance of the wife as the characteristics that are judged On the severity of the product and quality, and the most famous technological processes that increase the viscosity is naturalization, which will break the granules of fat to the granules less than the absorption of protein molecules on them, which increases the presence of these grains in the middle and thus increase the wife.

Acidity

There are two criteria for judging the acidity of the milk: 1 - the value of the logarithm of hydrogen ion concentration in grams per liter, known as PH, where the value of fresh milk is between (6.6 - 6.8) and this value is determined by PH - meters, PH) for the equalizer (7) is mainly due to the acidity of essential milk constituents such as casein, especially amino acids and phosphates, called natural acidity, 2 - Determination of the acidity of the milk itself by acid and alkaline reactions, where the base material is used to calibrate the acid with milk (Estimated as a lactic acid) and in existence a clear evidence of the end of the interaction and often The phenol-phthalene index is called the acidity ratio and is usually used for fresh milk (about 15% -17%). The increase is due to the change in the milk components, especially the lactose sugar and its conversion to lactic acid. The real (developed acidity).

Refractive Index

This refraction or deviation is an expression of the intensity of these components to infer the quality of the milk sample. The refractive index (the relationship between the angle of fall and the refraction angle) of the milk is 1.34 - 1.36. This value may be due to the presence of lactose, Simple effect, the device used by the estimate is called (refractometer).

Oxidation - Reduction Potential

This standard expresses the oxidative or reduction capacity of the milk components and is expressed in EH. It is measured by the potentiometer of the potentiometer (Potentiometer) and is of milk value (23-25 volts). Thus, the value of EH is a sign of microbial presence. This standard is closely related to the microbial presence in the milk and the agent's consumption of oxygen in the medium to complete its vital processes followed by reduced oxygenation and reduction as a result of this oxygen consumption.

Electrical Conductivity

It is the inverse of the value of the electrical resistance where the MOH passes it, mainly due to milk in the ions, such as chlorides mainly, dissolved salt ions as well as the molecules of the electrical charge protein. Fresh milk is between 45-48 × 10 4MOH, (10-13) x 10 5MOH, in the case of mastitis, increases the rate of chlorides during infection, hence the importance of estimating the electrical conductivity of the milk.

Osmotic pressure

The effect of milk on the most widely distributed soluble molecules, mainly lactose and soluble salts, has an effect on osmotic pressure. Therefore, changes in osmotic pressure may help to track changes in lactose and salts especially in case of infection with mastitis.

Thermal Constants for milk Thermal constant

These parameters include the freezing point (-15 ° C), the boiling point (100.17 ° C), and the specific heat is the temperature required to heat 1 g of milk (○○) and is measured by the price. (15-18m○), thermal conductivity (the amount of heat per kilowatt-hour in the unit of time during the brightness unit of a specific distance of a given substance, and this depends on the composition of the milk, which explains to us that fat products such as butter and ghee cool slowly because of low thermal conductivity of milk fat). The difference in these thermal constants may be due to water content due to solid milk content Structure (TS) (Total solid) are the cause of those changes (Alnemr, 2016).

Methodology

Research Methodology:
Experimental descriptive study.

Study Area

The city of Aqaba is located in the southern part of the Hashemite Kingdom of Jordan at the head of the Gulf, which is named after it, the second Gulf of the Red Sea, which is 160 km long. Aqaba has played a major role in the history of the region for its Mediterranean position linking the two continents of Asia and Africa and its participation in borders with three countries: Saudi Arabia, Egypt and Israel. Aqaba is 325 km away from Amman. The city of Aqaba is characterized by hot and dry climate in summer, and warm winter, making it

a distinct tourist area frequented by the people of the Kingdom from all governorates, as well as foreigners to enjoy its winter. Aqaba is a prominent tourist landmark in the Middle East and the main tourist destination for easy access. Land, sea and air. The presence of tourism facilities in the city has been helped by the presence of tourism facilities. The presence of diving, skiing, sailing and sailing associations has contributed to the promotion of marine tourism in the waters of the Gulf of Aqaba. The city of Aqaba is about 375 km 2 and the sea front is 27 km. The population of the city of Aqaba is 148398 people (the general population and housing census for 2015). The royal high interest in the Aqaba Governorate was crowned by the transformation of the city of Aqaba into a special economic zone with the aim of upgrading the region and creating an investment environment capable of attracting capital to make Aqaba an investment destination and a developed regional center. . Your contract is defined in Map No. (1) (Source: Ministry of Interior / Aqaba Governorate 2016).

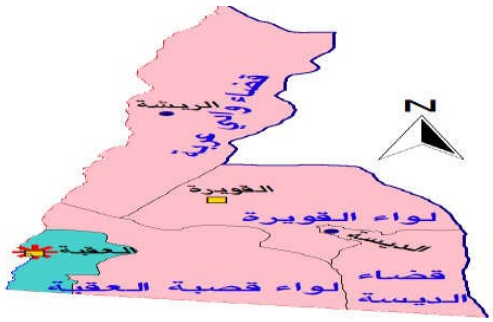

Map No. (1): Administrative Divisions of Aqaba Governorate

Study Population

Households of dairy households and their products, and samples of dairy products (milk, cheese, jamid) from the city of Aqaba.

Methods of sampling

Parametric tests

The researcher collected samples of dairy products from the city of Aqaba. The samples were taken from three neighborhoods, which were in the neighborhoods of the rich classes (Males) and the middle classes and the classes were less than the average (normal). The total number of samples collected from the city of Aqaba was 36 samples 12 samples of cheese, 12 samples of cheese, and 12 samples of Al-Jameed, distributed between areas as follows.

Table 1 Milk Products

Percentage %	Total	hard milk material	Cheese material	Milk material	Region
% 25	9	3	3	3	Expensive region
% 33.3	12	4	4	4	Middle region
% 41.7	15	5	5	5	Normal region
% 100	36	12	12	12	Total

Where samples were kept and transferred to the laboratory in conditions appropriate to the methods of conservation. Table 1 showed the samples were collected into a number of laboratory, microbiological, chemical and physical tests by the food laboratory technicians of the SFDA / ShafaBadran and according to the laboratory tests included for each sample. A food item within the sampling plan. Upon completion of the examination of the samples, the laboratory will issue a paper laboratory report, and the methods of laboratory testing (germ, chemical and physical) shall be followed to follow the technical standard rules and the approved international methods for each. In order to evaluate the results, the standard values were adopted according to the Jordanian standard specifications and technical regulations for each foodstuff and instructions issued by the Food Directorate in addition to the global instructions in these fields. The physical, microbial and chemical tests were conducted according to the references and methods mentioned below.

Table 2 Physical tests

METHOD	TEST
JS 2010	Statement card
JS 2010 / FDA 2004	Odor
JS 2010 / FDA 2004	Textures
JS 2010 / FDA 2004	Tasting
JS 2010 AOAC / 2000 CHP .16	Impurities
JS 2010	Live and dead insects
JS 2010	Packing and packaging
JS 2010	The visible molds

Tale 3 Microbiological tests

METHOD	TEST
ISO 4832 : 2006	Total Coliform (CFU/g)
ISO 6888 – 1 : 1999	Staphylococcus aureus (CFU/g)
FDA / BAM 2002 CHP 4	Escherichia coli (MPN/ g)
ISO 6579 : 2002 ISO 6785 : 2001	Salmonella spp / 25g
ISO 7954 : 1987	Total Yeast & mold (CFU/g)
ISO 11290 – 1 : 1996	Listeria monocytogenes / 25g
FDA / BAM 2001CHP 21A	Incubation Test (swelling)

Table 4 Chemical tests

METHOD	TEST
Pearson – 1991 (titration with NAOH) by (GC)	١ACIDITY
J. CH. A – 2005 by (HPLC)	Sorbic and Benzoic acid
ISO 9233 – 2007 by (HPLC)	Natamycin
AOAC – 2000	NaCl
Pearson – 1991 by (GC)	Formalin&H2O2
IOOC , 2001 by (GC)	Fatty acid profile
AOAC 935. 24	Starch

Note: Most used references are calibrated with the exception of GC fatty acids and HPLC preservatives.

Records

The data and results of food samples from dairy products that were withdrawn from the markets of the city of Aqaba, randomly and inspected at Aqaba International Laboratories (Bin Hayyan) during the period from 2014 to 2016 through the Department of Health Control in the city of Aqaba. To investigate the presence of bacterial, chemical and physical contaminants in the city of Aqaba and the extent of their conformity with the Jordanian health and standard requirements, where 170 samples of dairy products.

FINDINGS AND DISCUSSIONS

Dairy products are one of the most important foodstuffs consumed in Jordan. Yoghurt is one of the most important products consumed, especially in children's breakfast, as well as cheeses and dairy products, and dairy products are included in many meals. Address this issue in the city of Aqaba to

ascertain the compatibility of milk and its products to the Jordanian standard and health requirements.

Analysis and Discussion of Parametric tests

Through the sampling of dairy products in the city of Aqaba and examined in the laboratories of the General Organization for Food and Drug and were as follows:

Table 5 shows the extent of conformity of the Lebanese samples to the Jordanian health and standard requirements in the city of Aqaba for the year 2017.

Chemical Test		Bacteriological Test		Physical Test		Milk' Samples	Region
Not identical	identical	Not identical	identical	Not identical	identical		
1	2	0	3	0	3	3	Expensive region
0	4	0	4	0	4	4	Middle region
1	4	0	5	0	5	5	Normal region
2	10	0	12	0	12	12	Total

Table 5 showed the tested milk samples that a sample of lactate contained in the rich (mullet) area was based on vegetable oils not of the product origin. The sample is considered to be in violation of the Jordanian standard requirements, the table also indicates that a sample of the brick material in the normal (living) area contains the preservative substance (88.9ppm) and is considered to be in violation of the Jordanian standard requirements according to Article (4-5). Without any color or preservative material.Standard No. (108/2003) for the year 2004 has been adopted for dairy products. This is due to the greed of traders to profit, and misleading and deceiving the consumer where they are placed in refrigerators display and sell as fresh Albanians in malls and shops, as this brick is free of the basic elements of the original brick, such as animal fat and replaced with vegetable oil, The nutritional value of the original daughter, and give the human very high doses of these oils, as well as the addition of preservatives to prolong the age of the brick because it increases the validity of the brick for the longest period and improve the strength and taste of the brick and protect it from rot, causing long-term adverse effects on human health, And the possibility of being infected with many diseases. This is in line with what Mehyar (1996) in Jordan said about the starch and (al-Fishawi, 2001) on the margarine.

Table 6 shows the extent to which cheese samples are compatible with the Jordanian health and standard requirements

Chemical Test		Bacteriological Test		Physical Test		Cheese Sample	Region
Not identical	identical	Not identical	identical	Not identical	identical		
0	3	0	3	0	3	3	Expensive region
0	4	0	4	0	4	4	Middle region
0	5	0	5	0	5	5	Normal region
0	12	0	12	0	12	12	Total

Table 6 showed that all the samples were in conformity with Jordanian health and standard requirements. This is due to good health conditions during manufacturing, good heat treatment for milk, salt addition and good storage. This is in line with what Muhammad (2002) in Sudan and Karim *et al*. (2007) reported in Syria.

Table 7 Shows the extent to which Al Jamid samples are compatible with Jordanian health and standard requirements.

Chemical Test		Bacteriological Test		Physical Test		Samples of Jamid	Region
Not identical	identical	Not identical	identical	Not identical	identical		

Table 7 showed the samples of milk mansef (liquid acid) in the rich (mullet) area was present on the starch. The sample is considered to be in violation of Jordanian standard requirements and according to Jordanian standard For liquid gaseous substance Article (4-2) and provides that it is free of fillers such as starch and flour. The table also showed that a sample of liquid fluid in the normal (living) area contains molds and yeast in total number (cuf / g 2 × 10 4).

The sample is considered to be in violation of Jordanian health requirements and is not suitable for human consumption. Article (5 - 3): The total number of yeasts shall not exceed 100 units of colony / g in the pasteurized and refrigerated product. This is because of the greed of traders and profit taking, where Mansaf is considered the most famous meals in Jordan, and is characterized by the use of milk For a freezer made from milk after converting it to a milk powder, a liquid or reflux center that is re-prepared before consumption, adding fillers such as origin and others to increase the acidity of milk and milk and to show it more severely and hide the defects resulting from cheating milk and prolong its validity, as well as not taking into account the health issues in the processing of liquid milk And to contain the high humidity and poor storage, which leads to the growth of molds and yeast, and this corresponds to what Qasim (1996) in Jordan.

Analysis and Discussion of Records

Of the data in Table 8 through the International Laboratories of Aqaba International Laboratory for samples randomly collected by the Health Control Department in Aqaba from 2014 to 2016 to investigate the presence of bacterial, chemical and physical contaminants of samples Milk and dairy products, to demonstrate their conformity with the Jordanian standard and health requirements.

It is also noted from Table 8 that the most non-conforming samples are (Solid Jamide). It was found that the number of infringing samples (15) samples and percentage (88.2) The samples of the violation (9) samples and percentage (36), followed by (white cheese boiled), where it was found that the number of samples in violation (4) samples and percentage (23.5) followed by the substance (brick of different types) 7) samples and percentage (20.5), followed by a substance (yoghurt) where it was found that the number of samples in violation (4) samples and percentage (20), followed by the article (butter) where It was found that the number of samples in violation (1) and 16.6%, followed by milk (1) and 10% 1) Sample and percentage (5.5). The sample was found to be (1) sample and 5.2%, and (4) samples were tested. It was found that there were no irregularities and all samples conformed to health and standard conditions. This is due to the fact that the most common solid steel material is due to its use in the

Percentage of Not identical sample	Total		2016		2015		2014		Foodstuff
	Not identical	identical	Not identical	id entical	Not identical	id entical	Not identical	identical	
10	1	9	1	1	0	4	0	4	Milk
20	4	16	1	4	1	6	2	6	yoghurt
5.2	1	18	0	7	0	7	1	4	Shaninah
0	0	4	0	0	0	2	0	2	cream
20.5	4	27	1	9	1	8	2	10	condensed yoghurt
	3	0	0	0	1	0	2	0	condensed yoghurt with oil
23.5	4	13	0	2	4	6	0	5	White cheese
5.5	1	17	1	4	0	6	0	7	Cheese cooked
88.2	15	2	3	1	5	1	7	0	Solid Jamide
36	9	16	2	5	3	5	4	6	Liquid Jamide
16.6	1	5	0	2	1	1	0	2	Butter
----	43	127	9	35	16	46	18	46	Total

* Source: Department of Health Control / Aqaba Special Economic Zone Authority 2017.

Jordanian mons of dish and the way it is manufactured by manual methods, which makes it susceptible to pollution as well as the addition of preservatives to it due to the lack of control over this product, as well as the liquid gums and the cheese and the cheese. Manufacturing, and adding fillers such as flour and flour to make profits. This is in line with what Al-Qurum (2002) said in Jordan.

RESULTS AND RECOMMENDATIONS

RESULTS

It was found that 16.6% of the tested milk samples were in violation of the Jordanian standard requirements. A sample of milk was found in the rich area (mulat) of vegetable oils that were not of the origin of the product. (Live) on the clipboard surbic acid.

It was found that the percentage of (16.6%) of the samples of the liquid fluid examined was in violation of the Jordanian health and standard requirements. A sample of milk mansef (liquid fluid) in the living area contains starch, and the sample is contrary to the requirements A sample of liquid gaseous substance in the normal (living) area contains molds and yeast. The sample is considered to be in violation of Jordanian health requirements and is not suitable for human consumption.

3. It was found that all samples of the cheese material examined were in conformity with Jordanian health and standard requirements.

Most of the results of the examined samples of the Jordanian health and standard requirements in Aqaba city, which were collected randomly by the Health Control Department in the period from 2014 to 2016, were not found.

Recommendations

The consumer should pay attention to the place where he buys milk and its products, to be from reliable shops, to read the history of production and consumption, and to pay attention to the color and cleanliness of the product and cleanliness of the shop.

To activate the role of the health control on the dairy factories and factories sector, and to focus on the detection and guidance on the laboratories to ensure that they comply with good manufacturing practices and standard manufacturing conditions that affect the quality of the product and its nutritional value. And its products.

Contribute to the work of scientific research and joint studies with the relevant departments specialized in the production and processing of milk and its products in the colleges of agriculture and agricultural and veterinary institutes to improve the specifications of milk and its products and to ensure the safety and health of the consumer.

CONCLUSION

Due to the importance of dairy products, dairy products are considered one of the most important foodstuffs in Jordan. It is an integrated diet for adults and young people because of its benefits in the health, food and other fields. It is almost devoid of any table at any meal, despite its different types and methods of manufacture. The most important of these products is consumption, especially in children's breakfast, as well as cheeses, dairy products and yoghurt. It is used in many meals, including snacks, including breakfast, as well as various types of milk in the Jordanian Mansaf, The dairy industry is one of the most important industries based on the needs of the local market.

Because of the spread of methods of cheating in dairy products and mislead the consumer at the time of purchase, as cheating milk by the addition of substances that increase the density of starch and others, but there are ways to cheat with formalin and boric acid and oxygen water, which is one of the most dangerous substances that enter the body and only show the effect in the long term where used These substances to preserve the milk so as not to spoil the seller, especially in the summer and the motives of the use of this kind of toxic substances, keeping the milk for the longest period without visible damage, and the introduction of bright white color, and increase personal income by increasing the amount of milk, greed, And try to win the largest number of customers and customers.

References

Adebayo-Tayo, B.C., Ofosiata, U.C., and Ebenezer, A.A. (2013).valuation of Microbiological Quality and AflatoxinMi (AFM1) Contamination Of Milk Powder Samples Sold In Nigeria Market. Academia Arena:5(1). 1-9.

Al-Fishawi, Fawzi Abdul Qadir, (2001), the plight of the industrial ghee. *Assiut Journal of Environmental Studies*, No. 21, pp. 23-33.

Al-Fishawi, Fawzi Abdul Qadir, (2001), the plight of the industrial ghee. Assiut Journal of Environmental Studies, No. 21, pp. 23-33.

Ali M., Nelson A.R., Lopez A.L., Sack D. (2015).PLoSNegl Trop. Dis. 9(6): e0003832. doi:10.1371/journal.pntd.0003832. Updated global burden of cholera in endemic countries.http://www.who.int/topics/ ar/ .

Al-Maslah, Abdullah Bin Abdul Aziz, Al-Sawy, Abdul Jawad (2008), Scientific Miracles in the Qur'an and The Sunnah, First Edition, Dar Jiyad Publishing and Distribution, pp. 124-126, 129.

Alnemr, Tariq Murad (2007), the encyclopedia of dairy products and techniques, Stan Knowledge Library for Publishing and Distribution, p. 9, 10-11, 15-20.

Alnemr, Tariq Murad (2016), Lactic Manufacturing (basics - and techniques), Knowledge Library For publication and distribution, pp. 27-31.

Aslam, B.; Javed, I.; Khan, F.H.; Rahman, Z. (2011). Up take of heavy metal. residues from sewerage sludge in the milk of goat and cattle during summer season. Pakistan Vet. J., 31, 75 – 79.

Center for Disease Control and Prevention (CDC). (2001). "Epidemiologic Notes and Reports Update–Listeriosis and Pasteurized milk" www.cdc.gov/mmwr preview /mmwr .html.

Editorial, (2013).Dicyandiamide contamination of milk powders. Sri Lanka Journal of Child Health, 2013; 42(2): 63-64ume 8 N.

Emmanuel, O.A. (2008). Melamine Contamination of Infant Formula in China The Causes, Food Safety Issues and Public Health Implications. Ajfand.

Enb, A.; Aboudonia, M.A.; Abd- Rabou, N.S.; Abouarab, A.K.; EL- Senaity, M.H. (2009), Chemical composition of raw milk and heavy metals behavior during processing of milk products. Global Veterinaria, 3(3), 268 - 275.

Fisberg M., Machado R. (2015), "History of yogurt and current patterns of consumption."US National Library of Medicine.

Food and Drug Administration (FDA). (2002). "Chapter 10: Listeria monocutogenes" www.cfsam. fda.gov/ ebam/bam-10.html.

Gava, P. Saralegui, C., Medina, M. (1996). "Occurrence of Listeria monocytogenes and other Listeria ssp in raw caprine milk. "departamento de tecnologia de alimentos. 79: (1936 – 1941).

Ghazi, Ali Mohammed, Mohammed, Hassan Shamran, Naama, Ahmed Jassim, Hussein, Ibrahim (2009) Detection of some microbial contaminants and heavy elements in raw milk in Afak City, Basra Journal of Veterinary Research, p. 8 (2), 42 - 50.

Ibn al-Qayyim al-Jawziyya, Imam Abi Abd Allah Shams al-Din, his conversations came out Sheikh / Mr. Abdul Ghani Zayed (2004), Prophetic Medicine, *Um Al-Qura Foundation for Publishing and Distribution*, pp. 314 - 315, 193.

Ibn al-Qayyim al-Jawziyya, Imam Abi Abd Allah Shams al-Din, his conversations came out Sheikh / Mr. Abdul Ghani Zayed. (2004), Prophetic Medicine, Um Al-Qura Foundation for Publishing and Distribution, pp. 314 - 315, 193.

Jaber, MahaMetrouk, (1990). Yeast effect on the quality of the brick and its potability. Master Thesis Faculty of Graduate Studies, University of Jordan, Jordan.

Javed, I.; Jan, I.; Muhammad, F.; Rahman, Z. (2009).Heavy metal.residues in the milk of cattle and goot's during Winter season. Bulletin. Environ. Contam -Toxic, 82, 616 – 620.

Karim, Yousri, Abu Ghra, Sayah, Sulayek, Samir, (2007). Study the characteristics of some white cheeses Syrian fresh (municipal and Akkawi) manufactured from cow's milk. Damascus University Journal of Agricultural Sciences, Vol. 23, No. 2, pp. 299-315.

Kassem, Jihad Mohammed Rafiq Abdullah, (1996). A study to improve the quality of the epidermis and its solubility. Master of Graduate Studies, University of Jordan, Jordan.

Maria T.M., Christian N., Osvalda De Giglio, Roberta I., and Giovanna B. (2008): Occurrence of Aflatoxin M1 in Dairy Products in Southern Italy. Int. J. Mol. Sci. 9(12): 2614–2621.

Mehyar, GhadirFawzi, (1996), The use of sorbate salts and benzos to prevent the growth of yeast in milk (packaged and unpackaged). Master of Graduate Studies, University of Jordan, Jordan.

Mohamed, Nabila El-Haj Deefallah (2002), Explain the effect of heat treatment of milk on properties Chemical and microbial and sensory quality of white cheese. Master Thesis, College of Graduate Studies, Aljazeera University, Sudan.

Musawi, Sami Noah Hassan, (2007), a miracle of the Koran between medicine and modern science,1, Dar Al-Sayab Publishing and Distribution, p. 197.

Nasr, I.N.; Sailam, A.A.; Abd El- Khair, A.A. (2007). Monitoring of Certain pesticides residues and some heavy metals in Fresh Cow's milk at gharbia govern orate, Egypt. J. APPL. Sci, 7, (20), 3038 – 3044.

Pasha, Suhail, (1990), Microbiology of Food and Dairy, University of Aleppo Publications, Faculty of Agriculture.

Qurum, Rania Mohammed, (2002). Application of Hazard Analysis and Critical Control Points (HACCP) During the manufacture of Aljamid. Master of Graduate Studies, University of Jordan, Jordan.

Ryser, T. E., Marth, E. (1991). "Listeria, Listeriosis and food safety" Marcel dekker Inc. New- York .

Sayed, Al Shibli, Ahmed, Hattar, Khartoum December (2003), Development of production, processing and marketing of milk Small Farmers in the Arab World, Arab Organization for Agricultural Development (p. 1).

Shehata, Abdo, (1997). Cheese technology - scientific foundations, the academic library for publication and distribution Cairo, pp. 350-357.

Shehata, Abdo, (1999). Foodborne Diseases, Academic Library of Publication And Distribution - Cairo, p. (127 - 132).

Shehata, AnasAdibSadiq, (2004), Serological studies on milk to diagnose infectionBrucella in Assiut Governorate. Master Thesis, Faculty of Graduate Studies, Assiut University, Egypt.

World Health Organization (Lead Poisoning and Health), Fact Sheet No. 379, took place Revised in August 2015 at http://www.who.int/topics/en/.

World Health Organization (WHO), (TB), Fact Sheet No. 104, revised in March 2015 http://www.who.int/topics/en/.

الجامعة الإسلامية بمنيسوتا بأمريكا / الفرع الرئيسي
برئاسة الدكتور جراح محمد محمود الجراح
نائب رئيس الجامعة للشؤون التعليمية و الأكاديمية